التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد
ابن بكر الأشعري المالقي الأندلسي
المتوفى سنة ٧٤١ هـ

راجعه

الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي
الأستاذ بجامعة الإمام والأزهر

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي
أحمد فتحي حجازي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

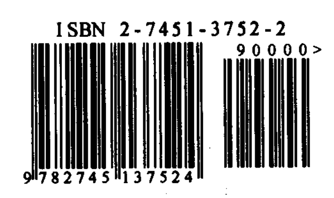
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3752-2



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربّ العالمين... صاحب المُلْك والملكوت... الحيّ الذي لا يموت... وصلّى الله تبارك وتعالى على نبيّه المُصطَفى... والرسول المُجتَبَى... إمام الهُداة... وقائد المهديين من بعده... سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهَديِه إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الكون كله بيد الله زمانًا ومكانًا فلا يملك مَن مَلَكَ إلا بإذنه سبحانه ولا يكون هناك أمرٌ إلا على وِفق مُراده جلّ وعلا فالمُلْك مُلكه.

هذه السطور التي بدأت بها في تقديم هذا الكتاب لتكون موعظة وإرشادًا لكل مَن تُسَوِّل له نفسه فيكون طامِعًا في مُلْك أو مُستبدًّا برأيٍ فهذا الكتاب يحمل بين طيّاته فترة حَرِجة مرّت على الإسلام والمسلمين يعرضها المصنّف من خلال الكلام على سيّدنا عثمان، والطامِعِين وما فعلوه معه.

وأكثر الأمور التي لاحَت على هذا المصنّف أن مؤلّفه أبي بكر المالقي كان معتدلًا وسطًا لا فعاليًا ولا متعصّبًا هادىء الأسلوب في حديثه عن الفتن غير ذاهب إلى مذهب ولا مُنتَحِل لبِدعة من البِدَع.

وهذا الكتاب فيه طائفة كبيرة من أخبار عثمان فهو مادة دسمة لمَن أرادها... وحقائق تاريخية لمَن اطّلع عليها. فالمصنّف جمع من بطون التاريخ ثمرات وقُطوف دانيات لذّة للعقول وهواية للباحثين عن الحق.

وقد طُبِعَ الكتاب ووقعت فيه على عدة أخطاء لا تليق بقيمته فعمدنا إلى تحقيقه ودراسته. وفيما يلي منهجنا في التحقيق.

منهجنا في التحقيق

١ ـ صحّحنا الأخطاء والتصحيفات التي كانت في المطبوعة.

٢ ـ أبقينا على زيادات الطبعة إذا وافقت المصادر وإن لم توافق المصادر قمنا بحذفها.

٣ ـ وجدنا أن الطبعة الموجودة لم تهتمّ بتخريج الحديث بهذا المصنّف فخرّجنا حديثه وآثاره بِعَزوِها إلى مخرجيها.

٤ ـ التوثيق التاريخي مهمة دقيقة فحاولنا أن نوثّق الروايات التاريخية كما حملتها لنا المصادر وكان اعتمادنا على تاريخ دمشق والطبقات لابن سعد وتاريخ الطبري وغيرها مما ساعدنا على توثيق الكتاب تاريخيًا.

الإضافة الجديدة في هذا الكتاب

نقول مُستَعينين بالله لقد وفّقنا الله إلى جزء من نهاية هذا الكتاب لم يُطبَع من قبل فوفّقنا الله إليه وأضفناه في نهاية الكتاب ليكون تامًا وهذا الجزء هو خاتمة في ذكر الرافضة ألّفها المصنّف لتكون خاتمة لكتابه.

وبعد...

فهذا عملنا نقدّمه إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فإن كان الصواب حليفنا فهو كرم من ربّنا أما إذا كانت الأخرى فنستغفره سبحانه من كل خطأ وزَلل وندعوه سبحانه أن يردّنا إلى الحق ويجنّبنا الباطل ويعصمنا من الخَلَل.

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المحقّقان

اشتمتم ابا بكر وعمر وتكفرون جميع الصحابة وتقولون هم في النار الا ستة نفر و
منهم من يرى السيف على المسلمين وإن لم يقدروا خنقوهم حتى يقتلوهم
روى هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري [illegible] في كتاب السنن باسناده عن
عبد العزيز القرشي قال سمعت سفيان الثوري يقول من قدم عليا على ابي بكر وعمر
احدًا فقد ازرى على اثني عشر الفا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وروى ايضا باسناده عن الشافعي
قال ما احد اشهد على الله بزور من الرافضة وفي رواية اخرى عنه قال ما
رايت في الاهواء قوما اشهد بالزور من الرافضة وروى ايضا باسناده
عن محمد بن يوسف قال اخبرني رجل من قريش ان بعض الخلفاء احضر رجلين من
الرافضة فقال لهما والله لئن لم تخبراني بالذي حملكما على تنقص ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما لاقتلنكما فابيا عليه فتقدم احدهما فضرب عنقه ثم قال للآخر والله
لئن لم تخبرني لالحقنك بصاحبك قال فتؤمنني قال نعم قال فانا لا
اردنا النبي عليه الصلوة والسلم فقلنا لا يتابعنا الناس عليه فقصدنا هذين
الرجلين فتابعنا الناس على ذلك قال محمد بن يوسف ما ارى الجهمية
والرافضة الا زنادقة قال [أبي حنيفة؟] فهلكت الرافضة حتى افرطت
في علي رضي الله عنه وقالوا مثله كمثل عيسى بن مريم عليه السلم ما قتلوه كما يقولون
يقولون ولكن رفعه الله فهو في السحاب الى وقت الرجعة فاذا جاء الوقت
رد الى الدنيا ومعه الحسن فيقتل اعداءه وينشر ابا بكر وعمر غضين طريين
فيصلبهما ويحرقهما قالوا فنفتنهما ذلك اليوم اذا اخرجا طريين اشد

[illegible]

صورة صفحة من المخطوط المُستدرَك على المطبوع

على اهل الدنيا وعلى الناس من فتنتهما اليوم قال بشر بن المعتمر لابن
شبابة من اين اكفرت الرافضة فقال من جهة اوجه اولها ايمانهم
بالرجعة بعد الممات الى الدنيا قبل يوم القيمة [illegible] والروافض
كلها تدين بالرجعة ويحتج لهم ايمتهم بآي من القران نحو قوله عز وجل
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا وقوله هو
الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون والوجه الثاني قولهم بالتجسيم
فانهم كلهم مجسمون ربهم ويقولون طوله سبعة اشبار جعد قطط
يقولون هو ضوء سبيكة نور على العرش مستوى بحدود وانه [illegible]
واضعا احدى رجليه على الاخرى ويقولون هذه الجلسة لا تحل
ولا تصلح لاحد من المخلوقين عن ابن سيرين وكعب وغيرهما والوجه
الثالث البدا قالوا ان ربهم يبدو له البدوات فيقدم ما يشاء
ويوخر ويحتجون بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وبقوله ما
ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وبقوله واذا بدلنا اية مكان
اية والله اعلم بما ينزل وبقوله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنو
لينك قبلة ترضاها قالوا فرض الصلاة الى قبلة بيت المقدس
المقدس ثم بدا له فصرفها الى الكعبة فهذا عندهم بدا وقوله و
اجعلوا بيوتكم قبلة وقوله فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون
في الارض فهذا عندهم بدا وهو كفر عندنا لانه عز وجل لا يحل به الحوادث
ولا تبدو له البدوات ولا يحويه مكان ولا يوصف ولا ذات [illegible]

صورة صفحة من المخطوط المُستدرَك على المطبوع

ان عليا في السحاب منهم قال كنت نقول هذا وهو مما لا اختلاف فيه عندنا
لانه في اليوم الذي غسلوه وكفنوه اخرجوه ليدفنوه [illegible] حفروا له الى ان [illegible]
قبر انجات الملائكة فحملوه على عواتقهم ثم [illegible] دفوا به حتى رفعوه
في الجو فهو في السحاب حتى يوم الرجعة وكل من مات من شيعته لعنهم تحشر
روحه حتى يرجع اذا رجع الجاحظ وناظرني رجل من الرافضة لا اسميه
لعسكر فقال ان الله لم يبعث رسولا ولا نبيا الى امة من الامم السالفة حتى بعث
مع الرسول نبي لا يوحى اليه يقويه ويوازره على امر الرسالة حتى يبلغها
فالوحي من الله على رسوله ينزل وفي الوحي الكتاب ويكون النبي معه صامت و
ذلك قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى اي اثنين اثنين فبعث الله
ابراهيم ومعه اسمعيل عليهما السلام ثم بعث اسحق ومعه يعقوب اسرائيل الله عليهما السلام
ثم بعث موسى ومعه هرون عليهما السلام وبعث لوطا ومعه ايوب عليهما
وبعث داود ومعه سليمن عليهما السلام وبعث يونس ومعه ذو الكفل عليهما السلام
وبعث زكريا ومعه دانيال عليهما السلام وبعث حزقيل ومعه ارميا عليهما السلام
وبعث عيسى ومعه يحيى بن زكريا عليهم السلام وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ومعه علي
بن ابي طالب رضي الله عنه فمحمد الرسول نزل عليه الوحي ناطق به وعلي صامت
وعلى باب الجنة مكتوب لا اله الا الله المؤيد بعلي بن ابي طالب قلت
وبعض غلاة الرافضة يقول ما بعث الله نبيا قط الا وعلي معه سرا وبعث
مع محمد صلى الله عليه وسلم جهرا وهذا كفر بالله تعالى وقد روى عبد الرزاق عن معمر
عن راشد يرفعه قال لما استفتح جبريل عليه السلام باب السماء الدنيا قالوا له من هذا

معمر

صورة الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط المُستدرَك على المطبوع

معك قال محمد فقالوا ومن محمد فقال نبيك علي بن أبي طالب

فقال لهم كفرتم بالله العظيم ونمزق هم وافرطهم

نعوذ بالله من الكفر والله أعلم

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين والعماق

والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه

وأزواجه وذرياته وأتباعه وسلم

تسليماً دائماً كثيراً كثيراً

صور

ووقع من جمعه وتأليفه الفقير إلى الله محمد بن يحيى بن أبي بكر غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وذلك في يوم الثلاثاء خامس عشرين ذي القعدة من سنة تسع وتسعين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

نجز كتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط المُستَدرَك على المطبوع

ترجمة المؤلّف

اسمه ومولده:

هو: محمد بن يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي الأندلسي ولد عام أربعة وسبعين وستمائة.

كنيته ونسبه:

يكنى أبا عبد الله، ويُعرَف بابن بكر من ذرية بلج بن بجير بن خالد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن أبي بردة واسمه عامر بن أبي عامر بن موسى واسمه عبد الله بن قيس صاحب رسول الله ﷺ. ذكره ابن حمزة من جملة مَن دخل الأندلس من العرب.

علمه:

كان من أعلام الفضلاء وفي مقدمة العلماء، فسيح الدرس، أصيل ودمث الخلق، واضح المذهب، مؤثِرًا للإنصاف، عارفًا بالأحكام، بارعًا في الحديث تاريخًا وإسنادًا وتعديلًا وتجريحًا، حافِظًا للأنساب والأسماء والكِنى، عارفًا بالعربية قائمًا عليها، مشارِكًا في الأصول والفروع واللغة بفروعها عارفًا بالحساب، حافظًا للمُتون وبطون الشعر.

وكان عزيز النفس يطرح التصنّع والتكلّف. نافذ البصر راجح العقل اختير فتقلد الشياخة ببلدة مالقا ناظرًا في أمور الحل والعقد ومصالح العامة.

ثم تولى القضاء فكان عزيز التصرّف بترك الهوادة وينقاد للحق.

تولّيه القضاء:

تولّى القضاء والخطبة بغرناطة في العشر الأول من المحرم سنة سبعة وثلاثين وسبعمائة، فقام بالوظائف، وصدع بالحق، وجرح الشهود واشتد عليهم فزيف منهم ما يفوق على السبعين رجلًا فأصبح مستهدفًا بالعداء والكراهية فصبر وصابر وتحمّل وضيّق عليه حتى أنه كان يمشي إلى الصلاة ليلًا فلا يطمئن على حاله.

والمُطّلع على أحواله سيجد له من الحكايات في قضائه الدالّة على عدله وعلى خوفه من الظلم وتحديد الحق.

شيوخه:

له شيوخ كثيرون منهم:

١ ـ الفقيه الوزير أبو القاسم بن محمد بن الحسن.

٢ ـ الخطيب أبو محمد بن أبي السداء الباهلي.

٣ ـ أبو محمد بن عياش الخزرجي القرطبي سمع منه الحديث.

٤ ـ أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن السكوت.

٥ ـ أبو عبد الله بن ربيع.

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الطنحابي.

٧ ـ أبو الحسن بن أبي الحجاج.

٨ ـ أبو جعفر بن الزبير.

٩ ـ أبو عبد الله بن رشيد.

١٠ ـ أبو الحسن بن فضيلة. وغيرهم الكثير.

وله شيوخ من أهل إفريقية منهم:

١ ـ أبو عبد الله بن هارون.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن محمد المالقي.

٣ ـ محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري.

٤ ـ عثمان بن عبد القوي البلوي من أهل مصر.

٥ ـ شرف الدين بن عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.

وغيرهم من المصريين والشاميين والحجازيين.

وفاته:

توفي رحمه الله ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة[1].

---

(١) انظر في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ١٢٥ ـ ١٢٩)، والدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢٨٤)، وبغية الوعاة للسيوطي (ص ١٤٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقـدمة

ربِّ يسِّر بعونك. الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على محمد خاتم النبيّين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه المُنتَخَبين، وأزواجه الطاهرات أُمهات المؤمنين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد هذا كتابٌ أذكر فيه مصرع الإمام الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان وأحواله وبعضَ سيرته متوخيًا العدل في ذلك من غير ميل وتعصب، بل أذكر ما نقله الأئمةُ العلماءُ في كتبهم وتواريخهم مثل طبقات أبي عبد الله محمد بن سعد، وكتاب الفتوح لسيف بن عمر التميمي، وكتاب الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي، وكتاب المقتل لعمر بن شبّة النميري، وكتاب التاريخ للشيخ عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري، وغيرهم من أصحاب الكتب المشهورة الموثوق بصحتها. ومن الله تعالى، أستمدُّ المعونة فيما أقصده، فهو حسبي ونِعمَ الوكيل.

وقد جعلته اثني عشر بابًا:

الباب الأول: في ذكر نسبه وأولاده وأزواجه.

الباب الثاني: في ذكر إسلامه وهجرته.

الباب الثالث: في ذكر بيعته وقصة الشورى.

الباب الرابع: في ذكر الخوض في أمره وما نقموه عليه من الأمور التي حدثت في خلافته.

الباب الخامس: في ذكر من سار إليه وحَصره.

الباب السادس: في ذكر ما قيل له في الخلع وما قال لهم.

الباب السابع: في ذكر قتله وموضع قبره.

الباب الثامن: في مبلغ سنه وخلافته.

الباب التاسع: في ذكر صفته ولباسه.

الباب العاشر: في ذكر سيرته وفضائله.

الباب الحادي عشر: في ذكر ما رُثي به من الأشعار.

الباب الثاني عشر: في ذكر الأخذ بثأره.

والله الموفِّق للصواب.

الباب الأول

في ذكر نسبه وأولاده وأزواجه

هو عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَي. ويلتقي نسبه بنسبِ رسول الله ﷺ في عبد مناف. وأمُّه أزوى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصَيّ. وكان يكنّى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد له من رقيّة بنتِ رسول الله ﷺ [غلام][1] سماه عبد الله، واكتنى به، فكنّاه المسلمون أبا عبد الله، فبلغ عبدُ الله ستَّ سنين، فنقره ديكٌ على عينه، فمرضَ فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ.

وكان لعثمان رضي الله عنه من غير رقية عبد الله الأصغر دَرَجَ[2] وأمه فاختةُ بنت غَزْوان، وعمرو وخالد وأبان وعمر ومريم، وأُمُّهم أمّ عمرو بنت جندُب بن عمرو، والوليد بن عثمان وسعيد وأم سعيد، وأُمهم فاطمةُ بنت الوليد بن عبد شمس، وعبد الملك بن عثمان دَرَجَ وأمه أم البنين بنت عُيَيْنَة بن حِصْن، وعائشةُ بنت عثمان وأم أبان وأم عمرو، وأمهن رَمْلَةُ بنت شَيْبَة، ومريم بنت عثمان، وأمها نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص، وأم البنين بنت عثمان، وأمها أم ولد، وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان[3].

وتزوج رقيةَ بنت رسول الله ﷺ وكان قد تزوّجها عتبةُ بن أبي لهب قبل النبوة، فلما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المَسَد: الآية ١] قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسِك حرام إن لم تطلّق ابنتَه، ففارقها ولم يكن دخل

---

(١) ما بين [ ] زيادة من الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٤). وانظر أيضًا: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٤٠).

(٢) دَرَجَ: معناه أنه مات ولم يترك ذرية وعقبا.

(٣) فتحصل من ذلك أنه رضي الله عنه كان له من البنين والبنات خمسة عشر من سبع زوجات غير رقية بنت رسول الله ﷺ التي ولدت له عبد الله. انظر في هذا أيضًا: صفوة الصفوة (١/ ٢٩٥).

بها، وأسلمتْ حين أسلمت أُمُّها خديجة، وبايعتْ هي وأخواتُها، فتزوجها عثمان رضي الله عنه، وهاجرتْ معه إلى أرض الحبشة[١].

ولمّا توفيت رقية تزوج عثمان أختها أمّ كُلثوم، وكان تزوجها عُتيبة بن أبي لهب قبل النبوة وفارقها ولم يدخل بها، ولم تزل مع رسول الله ﷺ، وأسلمت مع أمها خديجة، وبايعت رسول الله ﷺ، فتزوجها عثمان رضي الله عنه وهي بكر، ودخل بها في جمادى الآخرة من سنة ثلاث من الهجرة فلم تزل عنده إلى أن توفيت في شعبان من سنة سبع من الهجرة، ولم تلد له شيئًا، وكان صداقها خمسمائة درهم، وكذلك صداق جميع بنات النبيّ ﷺ. قيل: إنه لم يجمع أحدٌ بين بنتي نبي من لدن آدم إلى يوم القيامة غير عثمان رضي الله عنه.

وروى أبو بكر الآجرّي في كتاب الشريعة بإسناده عن أبي عبد الرحمٰن الكوفي قال: قال لي حسن بن علي الجعْفيّ: يا أبا عبد الرحمٰن، لِمَ سمي عثمان بن عفان ذا النورين؟ قلت: والله لا أدري، قال: لم يجمع بين ابنتي نبيٍّ إلا عثمان رضي الله عنه[٢]. ولهذه فضيلة أكرمه الله بها مع الكرامات الكثيرة والمناقب الحسنة الجميلة، وبشارة النبيّ ﷺ له بالشهادة، وأنه يُقتل مظلومًا، وأمره له بالصبر، فصبر رضي الله عنه حتى قُتل، وحقن دماء المسلمين.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٨/ ٣٦)، والإصابة (٧/ ٦٤٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥١).

(٢) أخرجه أيضًا البيهقي من السنن الكبرى (٧/ ٧٣، رقم ١٣٢٠٥) من طريق صالح بن محمد عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي قال: قال لي خالي حسن الجعفي ثم يا بني تدري لم سمي عثمان ذو النورين؟... فذكره. وأورد ابن عبد البر في الاستيعاب كلامًا نحو هذا للمهلب بن أبي صفرة. (انظر: الاستيعاب ٣/ ١٠٣٩). وأشار الحافظ في الإصابة (٤/ ٤٥٦) إلى ذلك في ترجمته لذي النورين عثمان رضي الله عنه. وانظر أيضًا: تهذيب الأسماء (١/ ٥٢)، وصفوة الصفوة (١/ ٢٩٤).

الباب الثاني

في ذكر إسلامه وهجرته رضي الله عنه

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال: خرج عثمان بن عفان وطلحةُ بن عُبَيْد الله على أثر الزُّبير بن العوّام، رضي الله عنهم، فدخلا على رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله، فآمنا وصدّقا، فقال عثمان رضي الله عنه: يا رسول الله، إني قَدِمْتُ حديثًا من الشام فلما كنا بين مُعان والزرقاء، فنحن كالنيام، إذا منادٍ ينادينا: أيها النيام هُبُّوا فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك.

وكان إسلام عثمان، رضي الله عنه، قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأرقم[1].

قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن حارث التيمي عن أبيه قال: لما أسلم عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، أخذه عمُّه الحكمُ بن أبي العاص بن أُميّة فأوثقه رباطًا وقال: أترغبُ عن مِلَّةِ آبائك إلى دينٍ مُحدَثٍ؟ والله لا أَحُلُّك أبدًا حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين، فقال عثمان رضي الله عنه: والله لا أدَعُه أبدًا ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[2].

قالوا: وكان عثمان رضي الله عنه ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية ومعه فيهما جميعًا امرأته رقيّةُ بنتُ رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوطٍ عليه السلام»[3].

---

(١) انظر الطبقات الكبرى (٣/ ٥٥). وأخرجه أيضًا: ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٢) من طريق ابن سعد... به. وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٧٤) وعزاه إلى ابن سعد وابن عساكر.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٥٥). وأخرجه أيضًا: ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢٦) من طريق ابن سعد... به. وأورده الحلبي في سيرته الحلبية (١/ ٤٤٦) ولم يعزه لأحد.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٥) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٣/ ١٥١).

ولما قَدِمَ عثمان المدينة نزل على أوسِ بن ثابت أخي حسَّان بن ثابت من بني النجّار. ولما أقطع رسول الله ﷺ الدُورَ بالمدينة خَطَّ لعثمان بن عفّان رضي الله عنه داره. ولما آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة آخى بين عثمان بن عفان وبين عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهما، وآخى أيضًا بين عثمان وبين أوس بن ثابت رضي الله عنهما، ويقال بين أبي عبادة سعد بن عثمان الزُرَقي[1]. والله أعلم.

(١) هذا الكلام اختصره المصنّف وهو عند ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٥٥) مسندًا من طرق.

الباب الثالث
في كيفية بيعته وقصة الشورى

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني شُرَحْبيل بن أبي عَون عن أبيه عن المِسْور بن مَخْرَمة قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو صحيح يُسأل أن يَستخلف، فيأبى، فصعد يومًا المنبر فتكلم بكلمات وقال: إن مِتُّ فأمركم إلى هؤلاء الستة الذين فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: عليّ بن أبي طالب ونظيره الزبير بن العوّام، وعبد الرحمٰن بن عوف ونظيره عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله ونظيره سعد بن مالك، ألا وإني أوصيكم بتقوى الله في الحكم والعدل في القَسْم[1].

١ ـ ذكر مقتل عمر رضي الله عنه وحديث الشورى:

عن عمرو بن ميمون قال: إني لقائمٌ في المسجد ما بيني وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما غداة أصيب، وكان إذا مرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهم خللًا تقدم وكبّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبّر فسمعته يقول: [قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه. فسار العلج بسكين ذات طرفين، ما يمر برجل يمينًا ولا شمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم سبعة. قال: فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ، نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمٰن بن عوف فقدّمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله. فصلّى بهم عبد الرحمٰن بن عوف صلاةً خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر مَن قتلني. فجالَ ساعةً ثم جاء فقال: غلام

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦١). وابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ١٩٠) من طريق الحسين بن الفهم عن محمد بن سعد. . . به.

المغيرة[١]، قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، والله لقد أمرتُ به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعلْ ميْتتي بيد رجل يدّعي الإسلام، ثم قال لابن عباس، وقد كنتَ أنتَ وأبوك تحبان أن تكثرَ العلوجُ بالمدينة، وكان عباس أكثرهم رقيقًا، فقال: إن شئت فعلت، أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعدما تكلموا وصلّوا قبلتكم وحجوا حجّكم! فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناسَ لم تُصِبْهم مصيبةٌ قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخافُ عليه، فدَعا بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم دعا بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس يُثنون عليه. وجاء رجلٌ شاب فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين ببشرى الله، لك من صُحبةِ رسول الله ﷺ وقَدَمٍ في الإسلام ما قد علمت، ثم وليتَ فعدلت، ثم شهادة، قال: ودِدْتُ أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمسّ الأرض، قال: ردوا عليَّ الغلام، قال: ابن أخي، ارفَعْ ثوبَك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك. يا عبدَ الله بن عمر انظر ما عليّ من الدّين فحسبوه، فوجدوه ستةً وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم وإلَّا فسَلْ في بني عدي بن كعب، فإن لم تَفِ أموالُهم فسَل في قريش ولا تعدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لستُ اليومَ للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذِنُ عمرُ بن الخطاب أن يُدْفنَ مع صاحِبيْه؛ فسلّمَ واستأذَنَ ثم دخلَ عليها، فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عليك عمرُ بنُ الخطّاب السلامَ ويستأذِنُ أن يُدْفَنَ مع صاحبيْه، فقالت: كنت أُريدُه لنفسي، ولأُوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبدُ الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان من شيء أهمّ إليّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلّم فقل: يستأذن عمرُ بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أُمُّ المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوصِ، يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمٰن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرةُ سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به

(١) غلام المغيرة: فيروز أبو لؤلؤة.

أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، ثم قال: أُوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرَمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من مُحسنهم وأن يعفوَ عن مُسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويردّ على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتِلَ من ورائهم، وألا يُكلّفوا إلا طاقتَهم. فلما قُبضَ خَرجْنا به فانطلقْنا نمشي، فسلّم عبدُ الله بن عمر، قال: يستأذِنُ عمرُ بنُ الخطاب، قالت: أدخلوه، فأُدخل فوضع هنالك مع صاحِبَيْه، فلما فُرغ من دفنه اجتمعَ هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا أمْرَكم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليّ، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف، فقال عبدُ الرحمٰن: أيكما تبرّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظُرَنَّ أفضَلهم في نفسه، فأُسْكِتَ الشيخان، فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إليّ والله عليّ ألا آلُوَ عَن أفضلكم، قالا: نعم، فأخذ بيدِ أحدِهما، فقال: لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقَدَمُ في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمّرتُكَ لتعدِلنَّ ولئن أمرتُ عثمانَ لتسمعنَّ ولتُطيعنّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفَع يدَكَ يا عثمان، فبايعه وبايعَ له عليّ، وولج أهلُ الدار فبايعوه][1][2].

قال ابن سعد: [أخبرنا محمدُ بن عمر قال: حدّثني الضحّاك بن عثمان بن عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمٰن بن سعيد بن يربوع أن عمر حين طعن قال: لِيُصلِّ لكم صُهَيْبٌ ثلاثًا، وتشاوروا في أمركم، والأمرُ إلى هؤلاء الستة فمن بَعَلَ أمرَكم فاضربوا عنقه، يعني مَن خالفكم[3].

---

(١) ما بين [ ] سقط من الأصل واستكمل من صحيح البخاري.

(٢) حديث عمرو بن ميمون أخرجه بطوله البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٥٣، رقم ٣٤٩٧)، وابن حبان (١٥/ ٣٥٠، رقم ٦٩١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٦، رقم ١٢٤٦١). وأورده الشوكاني في نيل الأوطار (٦/ ١٦٩) وقال: رواه بطوله عن عمرو بن ميمون جماعة. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٦، رقم ٣٧٠٥٩) بنحوه، والبيهقي من الاعتقاد (ص ٣٦٦) مختصرًا، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٣٧) بلفظ متقارب وكذا ابن عساكر في التاريخ (٤٤/ ٤١٥) من طريق آخر عن عمرو بن ميمون.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦١).

قال: أخبرنا محمد بن عمر حدّثني موسى عن إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي طلحة قبل أن يموتَ بساعة، فقال: يا أبا طلحة: كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فلا تتركهم يمضي اليومُ الثالث حتى يؤمِّروا أحَدَهم، اللهم أنتَ خليفتي عليهم[١].

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني مالك بن أبي الرجال، قال: حدّثني إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: وافى أبو طلحة في أصحابه ساعةَ قُبِرَ عمر، فلزم أصحابَ الشورى، فلما جعلوا أمرَهم إلى عبد الرحمٰن بن عوف يَخْتارُ لهم منهم لزم أبو طلحة باب عبد الرحمٰن بن عوف بأصحابه حتى بايَعَ عثمانَ[٢].

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني سعيد المُكتب عن سَلَمَة بن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن أبيه، قال: أول مَن بايع لعثمان عبد الرحمٰن ثم عليٌّ بن أبي طالب[٢].

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني عمر بن عميرة بن هُنَيٍّ مولى عمر بن الخطاب عن أبيه عن جدّه قال: أنا رأيت عليًا بايع عثمان أول الناس، ثم تتابع الناس فبايعوا[٢].

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أول مَرْكب صعب، وإن بعد اليوم أيامًا، وإن أَعش تأتِكُمُ الخطبةُ على وجهها، وما كنا خطباء][*] وسيعلِّمنا الله[٣].

قالوا: بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين، ووجّه عثمان رضي الله عنه على الحج تلك السنة عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، فحجّ بالناس سنة

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٦١). وأخرجه أيضًا ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ١٩٧) من طريق الحسين بن الفهم عن ابن سعد... به.
(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٦٢). وأخرجه من طريق ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ١٩٧).
(*) ما بين [ ] سقط بالأصل واستكمل من طبقات ابن سعد.
(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٦٢). وأخرجه من طريق ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢٣٧).

أربع وعشرين، ثم حج عثمان رضي الله عنه في خلافته كلها بالناس عشر سنين متوالية إلا السنة التي حُصر فيها فوجه عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما على الحج، فخرج فحج بالناس(١).

وعن أبي وائل أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سار من المدينة إلى الكوفة ثمانِيًا حين استخلف عثمانُ بن عفان رضي الله عنه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مات فلم نر يومًا أكثر نشيجًا من يومئذ، وإنا اجتمعنا أصحابَ محمد ﷺ فلم نألُ عن خيرنا ذا فوقٍ(٢)، فبايَعْنا أميرَ المؤمنين عثمانَ فبايِعوه(٣).

وعن الزهري قال: لما وليَ عثمان رضي الله عنه عاش اثنتي عشرة سنة أميرًا يعملُ ستّ سنين لا ينقم الناس عليه شيئًا وأنه لأحبُّ إلى قريش من عمر رضي الله عنه، لأنه كان شديدًا عليهم. فلما وليهم عثمان رضي الله عنه لانَ لهم ووصلهم، ثم توانى في أمرهم، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس إفريقية، وأعطى أقرباءه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال، واستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس ذلك عليه(٤).

وروى سيف بن عمر رضي الله عنه عن عبد الملك بن جريج عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت لعمر: استخلف، ما تقول لربك إذا قدمت عليه وقد تركت أُمة محمد ﷺ لا راعي لها، فقال: إن أستخلِفْ فقد استخلَف من هو خيرٌ

---

(١) هذا الكلام أسنده ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٣) فقال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه قالا: بويع عثمان... فذكره بتمامه كما هٰهنا. ومن طريق ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢٠٥)، ومن طريقه أيضًا: الطبري في تاريخه (٢/ ٥٦١) وانظر: الإصابة (٤/ ٤٠٨)، والبداية والنهاية (٧/ ١٤٧)، وصفوة الصفوة (١/ ٣٠٤). ومسائل أحمد (ص ٦٠).

(٢) الفوق: الفضل.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٦٩، رقم ٨٨٣٦)، والخلال في السنة (٢/ ٣٩٠، رقم ٥٥٤) وقال عقبه: في إسناده ابن أبي النجود صدوق وله أوهام وبقية رجاله ثقات. وأخرجه عبد الله في فضائل الصحابة (١/ ٢٩٦، رقم ٣٩١) من طريق المسيب بن رافع عن ابن مسعود بنحوه، وكذا ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢١٥).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٤)، وابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢٥١) من طريق الحسين بن الفهم عن ابن سعد عن الزهري.

مني، وأن أترك فقد ترك من هو خيرٌ مني، فقلت: أرأيت لو أن راعِيك أتاك وترك غنمك ما كنتَ قائلًا له؟ فعند ذلك جعلها شورى، وعند ذلك قال: إني لأعلم أنهم لا يَعدِلون بهذين الرجلين(١).

ورُوِيَ أيضًا عن مبشِّر عن جابر قال: لما طعن عمر رضي الله عنه شكوا أأصاب أقتابه شيء أم لا، فدعي له بنبيذ فشرب، فلم يشفهم من علم جراحه حتى دعي له بلبن، فخرج ببياضه مع الدم، فأوصى في خاصته وجمع العامة وقال: يا أيها الناس إن الأمر اليوم في أمة محمد عليه السلام أمركم، أنتم شهود الأمة وأهل الشورى، فمن رضيتم به فقد رضوا به، ومن اجتمعتم عليه فقد أجمعوا عليه، وإن هذا الأمر لا يزال فيكم ما طلبتم به وجه الله والدار الآخرة، فإذا طلبتم به الدنيا وتنازعتم سلبكموه الله ونقله عنكم، ثم لا يرده عليكم أبدًا، وإنكم أن تؤمِّروا في حياة مني أجدر ألا تختلفوا بعدي. هل تعلمون أحدًا أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء الستة النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض؟ قالوا: لا، قال: فإني أرى من الرأي، إن تابعتموني، أن نجعل ذلك بهم، فيؤمِّروا بعضهم، قالوا: فقد رأينا ذلك، وجعلناه إليهم، فقال عمر رضي الله عنه: ليُصلِّ بكم صهيبٌ ثلاثًا وأربعوا على طلحة وكان بالشام، فإن جاء جاء، وإلا فلا تنتظروا بها أكثر من ذلك، فإن اختلفوا فكونوا مع الأكثر، ووكل بهم المقداد بن عمرو، وقال: إن لم يجيء طلحة فابن عمر مكانه، وليس له أمر. فانتظروا بعد عمر رضي الله عنه ثلاثًا، فلما كان اليوم الثالث جمعهم(٢)

---

(١) بعضه في الصحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٣٨، رقم ٦٧٩٢) من طريق آخر عن عبد الله بن عمر بلفظ: «قيل لعمر ثم ألا تستخلف قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني رسول الله ﷺ، فأثنوا عليه، فقال: راغب وراهب وودت أني نجوت منها كفافًا لا لي ولا علي أتحملها حيًا وميتًا. وأخرجه أيضًا: أبو عوانة (٤/ ٣٧٤، رقم ٦٩٩٩) وعبد بن حميد (ص ٤٢، رقم ٣٢)، والبيهقي في السنة الكبرى (٨/ ١٤٨)، وابن عساكر في التاريخ (٤٤/ ٤٣٢) جميعًا من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر... به. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠١، رقم ٤٥٢٦)، وابن عساكر في التاريخ (٤٢/ ٤٢٨) كلاهما من طريق محمد بن كعب القرظي عن ابن عمر... به. قلت: أما الطريق الذي ذكره المصنف بقوله: «وروى سيف بن عمر... الخ» فقد وقفنا عليه عند الطبري في تاريخه (٢/ ٥٨٠) بقوله: «كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن ابن جريج عن نافع عن عبد الله بن عمر... فذكر آخره وهو قول عمر: إني لأعلم أن الناس لا يعدلون بهذين الرجلين».

(٢) في اجتماعهم في بيت عائشة وما كان من شأن المقداد ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٤٥) بغير هذا اللفظ الذي أورده المصنف. قال ابن كثير: رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته.

المقداد إلى بيت عائشة رضي الله عنها فقال: انظروا إلى هذه الأقبر، ثم انظروا في أمركم، فقال عبد الرحمـٰن بن عوف: فأيكم يكفينا النظر ويُخرج نفسه، فلم يجب أحد، فقال عبد الرحمـٰن: أنا أُخرج نفسي وابن عمي سعد بن أبي وقاص وأنظر لكم، فقالوا جميعًا: نعم، فاكفنا ذلك، فوالله ما حملنا على السكت الضن ولكن الضيق بها، فخرج عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه فلم يدع بالمدينة أحدًا من السابقين من المهاجرين والأنصار إلا وطرقه واستشاره واستكتمه، فكلهم قال له عثمان[١].

ثم رجع إلى البيت من الغد ولم يبت ليلته تلك حتى أصبح فأتاهم، فاستيقظ نائمًا حتى الظهر، فأري في المنام أن قم فانظر في هذا الأمر، فقال: وكيف ننظر إليه؟ قال: أمِّر أقرأهم فإن استووا فأفقههم، فإن استووا فأسنهم، فانتبه وقد ذكر حديث رسول الله ﷺ فقضى به فيهم، وحديث رسول الله: «يؤم القوم أقرؤهم فإن استووا فأفقهُهم» إلى آخر الحديث[٢]، فبدر عبد الرحمـٰن، فخلا بهم رجلًا رجلًا، فقال: أرأيتَ إنْ أنا بايعتُك فخُلِفَ بك من لها بعدك، فيقول: عثمان، حتى قالها لعثمان فقال: عليّ. وافتَتَحَ عبد الرحمـٰن الكلام فقال: أنشدكم الله هل تعلمون أن

---

(١) لم أقف عليه سوى ما سبق ذكره عند ابن كثير في البداية والنهاية. وكذا الكلام الآتي بعد لم أجد من ذكره.

(٢) ما أورده المصنّف هـٰهنا هو معنى لحديث ورد في شأن الإمامة بالنسبة للصلاة نحو ما أخرجه مسلم (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٣) عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا...» وأخرجه أيضًا: أبو داود (١/ ١٥٩، رقم ٥٨٢)، والترمذي (١/ ٤٥٨، رقم ٢٣٥)، والنسائي (٢/ ٧٧، رقم ٧٨٠)، وابن ماجة (١/ ٣١٣، رقم ٩٨٠)، وأحمد في المسند (٤/ ١١٨). قلت: وليس في لفظ مسلم: «فأفقههم» كما ترى وكذلك عند الباقين ووردت عند غيرهم فقد أخرج الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٠، رقم ٨٨٧) عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يؤم القوم أقدمهم هجرة فإن كانوا من الهجرة سواء، فأفقههم في الدين، فإن كانوا في الدين سواء فأقرأهم للقرآن...» وأخرجه أيضًا: الدارقطني (١/ ٢٧٩)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٢٠، رقم ٦٠٦). فما أورده المصنّف معنى لهذا الحديث وليس لفظًا إذ لم أجده بهذا اللفظ، يقول الزيلعي في نصب الراية (٢/ ٢٥) قد أخرج مسلم هذا الحديث ولم يذكر فيه: أفقههم فقهًا وهي لفظة عزيزة غريبة، وهذا الكلام نقله الزيلعي عن الحاكم نفسه في المستدرك (١/ ٣٧٠، رقم ٨٨٦) وفي لفظه قال: «فإن كانوا في الفقه واحد» وجعل الحديث الذي أتيت به سالفًا شاهدًا له. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدراية (١/ ١٦٨) أخرجه الحاكم وفيه ضعف وهو مخالف للأحاديث الصحيحة.

رسول الله ﷺ قال: ليؤمّكم أقرؤكم، فإن كانوا في القراءة سواء فأفقههم، فإن كانوا سواء فأسنّهم، قالوا: نعم، قال: هل تعلمون هذا اجتمع في أحدٍ منكم غيرِ عثمان، فبايعوه وأقروا واعترفوا، وخرجوا وما منهم أحد إلا وهو أسرُّ من عثمان رضي الله عنهم، فصلّى بالناس العصر.

وعن عمرو بن محمد عن الشعبي عن مسروق قال: قال ابن مسعود غداةَ أتته إمارة عثمان: والله ما آلو عن أعلى ذي فوق، لقد جُمِع أنه أقرؤهم للقرآن وأسنهم مع فقه في الدين(١).

وعن ابن جريج عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: إني لأعلم أن الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان رسول الله ﷺ يكون نجيًّا بينهما وبين جبريل يتلقى عنه ويُمِلّ عليهما(٢).

وعن مبشر عن سالم قال: كان أبو طلحة القيّم بذلك مع المقداد في خمسين رجلًا، وقال عمر رضي الله عنه: أن صاروا ثلاثة وثلاثة فعليكم بالثلاثةِ الذين فيهم عبدُ الرحمٰن بن عوف، فإن رجح أحد الفريقين على الآخر فعليكم بالأرجح. وفي صلاة صهيب بالناس والشورى(٣) يقال:

صلى صُهَيْبٌ ثلاثًا ثم أسلمها	إلى ابنِ عفّانَ مُلْكًا غيرَ مقهور
وصيةً من أبي حفص لستتهم	كانوا أَخِلاءَ مَهْديٍّ ومنصور
مهاجرين رأوا عثمانَ أقربَهم	إذ بايعوه لها والبيتِ والطور(٤)

وعن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال عمر رضي الله عنه: أيكم يحدّثنا عن الفتنة فسكتوا، فقال حُذَيْفة: أنا، فقال: هات، فوالله إنك ـ ما علمتُ ـ لجريء، قال: فتنةُ الرجل في نفسه وماله وأهله يكفرها الطُّهور والصلاة،

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٣) من طريق آخر عن عبد الله بن سنان الأسدي عن عبد الله، وكذا عند عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة. وأخرجه أبو يوسف عن أبي حنيفة في كتاب الآثار (ص ٢٠٩، رقم ٩٣٠) من طريق عبد الملك بن عمير عن ابن مسعود. وأخرجه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ١٨٤) من طريق البراء بن عبد قيس عن ابن مسعود، وعند الجميع ليس فيه قوم: «لقد جمع... الخ» والسند الذي أورده المصنّف لم أقف عليه.

(٢) سبق تخريج نحوه ولم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) الأبيات للفرزدق. انظر: البيان والتبيين (١/ ٥٥٢).

فقال عمر رضي الله عنه: لا، التي تموج موج البحر، فقال: يا أميرَ المؤمنين بينك وبينها باب مغلق، قال: يُفتح البابُ فتحًا أو يُكسر كسرًا؟ قال: لا، بل يُكسر كسرًا، قال: أنّى يكون هذا وأنا في جزيرة العرب؟[١]

٢ ـ ذكر فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فرأيت قصرًا أبيض بفنائه جاريةٌ فقلت: لمن هذا القصر قالت: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرتُ غيرتَك يا عمر، فبكى عمر، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، أو عليك أغار. هذا حديث متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين[٢]. وعن أبي هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ قال: كان فيما خلا قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب. متفق عليه أيضًا[٣].

وقال النبيّ ﷺ: إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به[٤].

وقال علي رضي الله عنه: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٠ رقم ١٣٦٨) من طريق الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال: قال عمر: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ عن الفتنة قال: قلت أنا. . . فذكره بنحوه. وأخرجه البخاري أيضًا من الطريق ذاته في موضعين: الأول (٣/ ١٣١٤، رقم ٣٣٩٣) والثاني (٦/ ٢٥٩٩، رقم ٦٦٨٣). ومن نفس الطريق أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٨، رقم ١٤٤). وأخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٤، رقم ٢٢٥٨) من طريق شعبة عن الأعمش وحماد وعاصم بن بهدلة سمعوا أبا وائل عن حذيفة. . . به. وابن ماجة (٢/ ١٣٠٥، رقم ٣٩٥٥)، والنسائي في الكبرى (١/ ١٤٤، رقم ٣٢٧) من طريق الأعمش عن أبي وائل. . . به. قلت: أما طريق إسماعيل بن أبي خالد الذي أورده المصنّف فلم نقف عليه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٦٢، رقم ٢٣٩٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٢، رقم ٢٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٩، رقم ٣٢٨٢) ومسلم (٤/ ١٨٦٤، رقم ٢٣٩٨) قال مسلم: قال ابن وهب في تفسير «محدثون»: ملهمون.

(٤) رواه أبو داود (٣/ ١٣٩، رقم ٢٩٦٢)، وأحمد في المسند (٥/ ١٦٢، رقم ٢١٤٩٥)، وابن ماجه (١/ ٤٠، رقم ١٠٨) والبزار (٩/ ٤٤٦، رقم ٥٠٤٩)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٣٦) من حديث أبي ذر.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٠٦، رقم ٨٣٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٦٧، رقم ٨٨٢٧)، وفي الأوسط (٥/ ٤٥٩، رقم ٥٥٤٩) والمحاملي في أماليه (ص ١٦٩، رقم ١٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٦٧): إسناده حسن.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر رضي الله عنه[(١)].

وقال ابن مسعود: ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه مَلكًا يسدده[(٢)].

وقال أيضًا: إن عمر بن الخطاب كان حصنًا حصينًا للإسلام يدخلُ فيه ولا يخرجُ منه، فلما مات عمر رضي الله عنه انثلم من الحصن ثُلمةٌ، فهو يُخرجُ منه ولا يُدخلُ فيه، وكان إذا سلك بنا طريقًا وجدناه سهلًا، وإذا ذكر الصالحون فحيّهلا بعمر، كان فصل ما بين الزيادة والنقصان، والله إني لوددت أن أخدم مثله[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قوم قد دعوا الله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد وُضِع على سريره إذا رجل من خلفي وقد وضع مرفقه على منكبي يقول: يرحمك الله، إني كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كنت كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر، وإني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُ فإذا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. أخرجه البخاري ومسلم[(٤)].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، وفي رواية سيدا كهول الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه رواه عون بن أبي جحيفة عن أبيه[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦١٧، رقم ٣٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٩٥، رقم ٥٦٩٧)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٨، رقم ٦٨٩٥) وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٢٥١، رقم ٣١٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٦٤، رقم ٨٨١٣)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ٣١٤)، وابن أبي شيبة في المصنَّف (٦/ ٣٥٤، رقم ٣١٩٨٣) وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٢٤٧، رقم ٣٠٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٧٨): في بعض طرقه عند الطبراني عاصم بن أبي النجود وهو حسن، وفي بعضها عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث، وبقية رجالهما رجال الصحيح، وبعضها منقطع الإسناد ورجالهما ثقات.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (١٠/ ٢٥١) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٩/ ١٦٢، رقم ٨٨٠٧)، وابن أبي شيبة في المصنَّف (١/ ٢٤١، رقم ٣١٠٥٣)، وسعيد بن منصور في التفسير (١/ ٥٤، رقم ٦) مختصرًا، وكذا البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٢٧، رقم ١٢٠٧٩)، والدارمي (٢/ ٤٤٢، رقم ٢٨٦٥) من حديث ابن عمر. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧٨): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٥، رقم ٣٤٧٤)، ومسلم (٤/ ١٨٥٨، رقم ٢٣٨٩).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦١٠، رقم ٣٦٦٤)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٦٨، رقم=

وعن أبي سعيد الخدري أن النبيّ ﷺ: قال: إن الرجل من أهل علّيِّين ليُشرف على أهل الجنة، فتضيء الجنة لوجهه كأنها كوكب دُرِّي، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[(١)].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، رواهما الحافظ عبد الرزاق الرَّسْعني في مقتله[(٢)].

وروى أيضًا بإسناده عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: الآية ٤] قال: من صالحي المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[(٣)].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبيُّ ﷺ متكئًا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاستقبله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: يا علي، أتحب هذين الشيخين، قال: نعم، قال: بحبِّهما تدخل الجنة[(٤)].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أبي سلمة عن أبي أروى الدوسي قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال: الحمد لله الذي أيدني بكما[(٥)].

= ٦٨٧٣)، وفي الصغير (٢/ ١٧٣، رقم ٩٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦١٧، رقم ١٤٢٠) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٦/ ٢٤٤، رقم ٢٢٦٠) من حديث أنس. وأما رواية: عون بن أبي جحيفة عن أبيه فقد أخرجها ابن ماجة (١/ ٢٨، رقم ١٠٠)، وابن حبان (١٠/ ٣٣٠)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٠٤) وفي الأوسط (٤/ ٢٧٢).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٠٧)، وقال: حديث حسن، وأبو داود (٤/ ٣٤)، وابن ماجة (١/ ٣٧). وأحمد في المسند (٣/ ٢٦).

(٢) أخرجه أيضًا: الترمذي (٥/ ٦٠٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٨٢، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٩) وصححه، والبزار في المسند (٧/ ٢٥١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٧٢) والأوسط (٧/ ٧٦). وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٨٠)، والديلمي في الفردوس (١/ ٧٠).

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه أيضًا: الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٤٦)، وأورده الذهبي في الميزان (٢/ ٢٧٦) في ترجمة: الحسن بن مكي فقال: ذكر حديثًا باطلًا بسند صحيح في تاريخ بغداد... فذكره وتبعه ابن حجر في اللسان (٢/ ٢٥٧) وزاد عليه: وفي التحقيق لابن الجوزي الحسن بن مكي معروف وكذا قال في الموضوعات عقب هذا الحديث، وأورده الخطيب في ترجمة محمد بن إسحٰق الصفار وقال: إن الدارقطني وثقه فانحصر الأمر في ابن مكي.

(٥) أخرجه أيضًا: الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٧) وقال صحيح الإسناد. وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٧٣). والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦٦) وفي الأوسط (٦/ ٢٢٩). وأورده الحافظ في الإصابة (٧/ ١٠) في ترجمة: أروى الدوسي وقال: وسنده ضعيف. قال الهيثمي في=

وروى أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرّي في كتاب الشريعة بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخل النبيّ ﷺ المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره، فقال: هكذا نُبعث يوم القيامة[١].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: لقد هممتُ أن أبعث رجالًا من أصحابي إلى ملوك الأرض يدعونهم إلى الإسلام كما بعث عيسى ابن مريم الحواريين، قالوا: يا رسول الله؟ ألا تبعثُ أبا بكر وعمر فهما أبلغ، قال: إنه لا غنى بي عنهما، إنما منزلتهما من الدين بمنزلة السمع والبصر من الجسد[٢].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبيّ إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٣].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتني أُدخلتُ الجنة فجزت من إحدى أبوابها الثمانية، فأتيت بكفة ميزان فوضعت فيها وجيء بأمتي فوضِعَتْ في الكفة الأخرى فرجحتُ بأمتي، وجيء بأبي بكر فوُضِع في كفة ثم جيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى فرجح بها، ثم جيء بعمر فوضع في كفة الميزان وجيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى فرجح بها، ثم رُفع الميزان إلى السماء وأنا أنظره[٤].

= المجمع (٩/ ٥٢): فيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان وقال: يخطىء ويخالف وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

(١) أخرجه أيضًا: الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٥) وأبو محمد الأنصاري في تاريخ المحدثين بأصبهان (٤/ ٢٣٩). فيه الحارث بن عبد الله المديني قال الذهبي في الميزان (٨/ ٧٣) قال الدارقطني الحارث ضعيف. وانظر أيضًا لسان الميزان (٢/ ١٥٤)، وأخرجه أيضًا ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٢١) في ترجمة: سعيد بن مسلمة وقال: منكر الحديث جدًا فأحسن الخطأ في الأخبار. وقال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٨١) سألت أبي عن هذا الحديث فقال: هذا حديث منكر.

(٢) رواه أيضًا: ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٧٦).

(٣) أخرجه أيضًا: الترمذي (٥/ ٦١٦) وقال: حسن غريب. والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٠) وقال: صحيح الإسناد. وابن الجعد (١/ ٢٩٨)، وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ١٦٤).

(٤) أخرجه أيضًا: ابن عساكر في التاريخ (٣٥/ ٣٦٥) بلفظه، ورواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٩)=

ورُوِيَ بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الدرجات العلا يراهم مَنْ تحتهم كما يُرى الكوكبُ الدريُّ الطالعُ من الأفق، من آفاق السماء، وأبو بكر وعمر منهم، وأنعما(١).

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام، فكان أحبّهما إلى الله عزّ وجلّ عمر رضي الله عنه، فأصبَحَ فأسلم(٢).

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلمَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه(٣).

ورُوِيَ الآجري أيضًا بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقتُ ربّي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذتَ من مَقام إبراهيم مصلّى، فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٥] قال: وقلتُ: يا رسول الله إنّ نساءك يدخُلُ عليهن البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَهن أن يحتجبْن، فنزلت آيةُ الحِجاب، قال: واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيْرة، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: الآية ٥]، قال: فنزلت كذلك، وفي رواية وافقتُ ربي في أربع، وزاد قال: وأنزل الله عزّ وجلّ) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: الآية ١٢] حتى بلغ الآية، فقلت أنا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٤] فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(٤).

= ولفظه أطول. والخطيب في التاريخ (١٤/ ٧٨). قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٩): رواه أحمد والطبراني بنحوه باختصار وفيهما مطرح بن زياد وعلي بن يزيد الألهاني وكلاهما مجمع على ضعفه.

(١) أخرجه أيضًا: أبو يعلى في المسند (٢/ ٤٠٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ١٩٥).

(٢) أخرجه أيضًا: الترمذي في سننه (٥/ ٦١٧) وقال: حسن صحيح غريب. وأحمد في المسند (٢/ ٩٥)، وعبد بن حميد (١/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه أيضًا: البخاري في صحيحه (٣/ ١٤٠٣)، ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٤)، والبزار في مسنده (٥/ ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١١).

(٤) أخرجه أيضًا: البخاري (١/ ١٥٧)، والدارمي (٢/ ٦٧)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٢٠٧)، وفي الصغير (٢/ ١١٠) والبزار في المسند (١/ ٣٣٩)، وأحمد في المسند (١/ ٢٣) والطيالسي في المسند (١/ ٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨٦) وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٣١٥).

وفي حديث آخر عن ابن عمر قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث: في الحجابِ وفي أسارى بَدْرٍ وفي مقام إبراهيم[١].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمرَ بنَ الخطاب[٢].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم أُتيت بقدحٍ من لبن فشربتُ منه [حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري] ثم أعطيتُ فضلي عمرَ بن الخطاب، قالوا: فما أولته يا رسولَ الله، قال: العلم[٣].

وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: عمرُ بنُ الخطاب سراجُ أهل الجنة[٤].

٣ ـ ذكر بشارة كعب الأحبار عمر رضي الله عنه بالشهادة:

روى أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة بإسناده عن المِسْوَر بن مخْرَمَة عن أُمّه عاتكة بنت عوف، قالت: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شُعْبَة وكان نصرانيًا، فقال: يا أمير المؤمنين أَعْدِني على المغيرة بن شُعبة، فإن علي خراجًا كثيرًا، قال: فكم خراجُك، قال: درهمان في كل يوم، قال: وأي شيء صناعتك، قال: نجار نقاش حداد، قال: ما أرى خراجك بكثيرٍ على ما تصنع من الأعمال، ثم قال: لقد بلغني أنك تقول: لو أردتُ أن أعمل رحًى تطحن بالريح فعلت، قال: نعم. قال: فاعمل لي رحًى، قال:

---

(١) أخرج هذه الرواية: مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٢) عن ابن عمر وهذه الرواية لفظها أخصر من الحديث السابق.

(٢) أخرجه أيضًا: الترمذي في سننه (٥/ ٦١٩) وقال: حسن غريب. والحاكم في المستدرك (٣/ ٩٢) وقال: صحيح الإسناد. وأحمد في المسند (٤/ ١٥٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٩٨)، والروياني في المسند (١/ ١٧١). وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه أيضًا: البخاري (١/ ٤٣)، والترمذي (٤/ ٥٣٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٤٢٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٨٣)، وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٢٥٤) جميعهم عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه... به.

(٤) أخرجه أيضًا: البزار كما في مجمع الزوائد (٩/ ٧٤) عن ابن عمر، قال الهيثمي: فيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري وهو ضعيف وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٥٥) من حديث أبي هريرة. ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٩) عن ابن عمر. قال الحافظ في اللسان (٦/ ١٧٥) منكر بهذا الإسناد.

لئن سلِمتُ لأعملنَّ لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، قال: ثم انصرف عمر رضي الله عنه إلى منزله، فلما كان من الغد جاء كعب الأحبار، فقال: يا أميرَ المؤمنين، اعهد فإنك ميِّتٌ في ثلاثةِ أيام، قال: وما يُدريك، قال: أجِدُه في كتاب الله التوراة، قال عمر رضي الله عنه: الله، إنك تجد عمر بن الخطاب في التوراة، قال: اللّهمَّ لا، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه فني أجلك، قال: وعمر لا يجد وجعًا ولا ألمًا، قال: فلما كان الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان، قال: ثم جاءه من الغد فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها، قال: فلما كان الصبح خرج عمر بن الخطاب إلى الصلاة، وكان يوكِّل بالصفوف رجالًا فإذا استووْا دخل هو فكبر، قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فضرب عمر ستّ ضربات إحداهن تحت سرته فهي التي قتلته، فلما وجد عمر رضي الله عنه حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمٰن بن عوف فصلّى بالناس وعمر مطروح، قال: ثم احتمل فأدخل إلى داره، وذكر الحديث بطوله ثم قال: يا عبد الله بن عمر ائذن للناس، فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه، ويقول لهم: أعن ملأ منكم كان هذا، فيقولون: معاذ الله، قال: ودخل في الناس كعب الأحبار، فلما نظر إليه عمرُ رضي الله عنه أنشأ يقول:

وواعدني كعبٌ ثلاثًا أعدُّها ... ولا شك أن القول ما قاله كعب
وما بي حِذارُ الموتِ إني لميِّتٌ ... ولكن حذارُ الذنب يتبعه الذّنبُ

فقيل له: يا أمير المؤمنين لو دعوت طبيبًا، فدعي طبيبٌ من بني الحارث بن كعب فسقاه نبيذًا فخرج مع الدم فسقوه لبنًا فخرج أبيض، فقيل له: يا أمير المؤمنين اعهد، قال: قد فرغت[١].

ثم توفي ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، قال: فخرجوا به بكرة الأربعاء، فدُفن في بيت عائشة رضي الله عنها مع صاحبيه. وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، وهو ابن ثلاث وستين سنة[٢].

---

(١) أخرجه أيضًا: الطبري في تاريخه من طريق آخر (٢/ ٥٦٠) فقال: حدّثني سلم بن جنادة ثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: حدّثني أبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة... فذكره. وأورده الشيباني في الكامل (٢/ ٤٤٦) من رواية المسور أيضًا.

(٢) وقيل في سنه أقوال أخرى غير هذا، راجع طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٥)، ومجمع الزوائد=

٤ ـ ذكر نوح الجن على عمر رضي الله عنه:

قال محمد بن الحسين الآجري: حدّثنا أبو العباس سهل بن أبي سهيل الواسطي قال: حدّثنا يحيىٰ بن حبيب بن عربي قال: حدّثنا حماد بن زياد قال: حدّثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة قال: ناحت الجن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوصف ذلك فقال:

عليك سلامٌ من أمير وبارَكتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزق
قضيت أمورًا ثم غادرتَ بعدها ... بوائجَ في أكمامها لم تفتّق
فمن يسعَ أو يركبْ جناحي نعامة ... ليدركَ ما قدَّمت بالأمس يُسبقِ
أبعدَ قتيلٍ بالمدينة أظلمتْ ... له الأرض يهتز العِضاة بأسْوقِ[1]

وفي رواية عن حماد بن زيد قال: حدّثنا عاصمُ بن بَهْدَلة بأصله، وزاد فيه:

وما كنت أخشى أن تكون وفاتُه ... بكفي سَبَنْتى أزرق العين مُطرق

وفي رواية عن زيد العمّي قال: لما ماتَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعوا نوح الجن عليه وهم يقولون:

جزى اللهُ خيرًا من أمير وباركَتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم المُمَزَّق

وزاد في آخر هذه الأبيات:

فلقَّاكَ ربِّي في الجِنان تحيةً ... ومن كُسوةِ الفِرْدَوسِ لا تتمزقِ

٥ ـ ذكر قتل الهرمزان:

روى سيف بن عمر التميمي عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال: لما مات عمر رضي الله عنه قام على الناس صهيب، فلما جُهِّز عمر رضي الله عنه

= (٩/ ٧٩)، وروى ابن سعد أن عمر توفي وهو له ستين سنة ورجحه الواقدي وقال: أثبت الأقاويل عندنا.

(١) الأبيات منسوبة للشماخ بن ضرار انظر: حماسة أبي تمام(٣/ ٦٥) وأوردها ابن سلام في طبقات الشعراء (ص ١١١) ونسبها لأخي الشماخ. وأوردها ابن سعد في الطبقات مع اختلاف يسير في الألفاظ. ورواية الآجري في نوح الجن على عمر رواها أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٢٣) من قول عائشة. وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٧٤) من رواية سليمان بن يسار وقال في إسناده: عن أيوب عن ابن أبي مليكة ويزيد بن حازم عن سليمان بن يسار، ولم نقف عليه من رواية ابن أبي مليكة على نحو ما عند المصنّف هٰهنا.

صلّى عليه صُهَيْب، ودُفِن في بيت عائشةَ رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه. وقيل لعُبَيدِ الله بن عمر رضي الله عنهما بعدما فُرغ من دفن عمر رضي الله عنه: قد رأينا أبا لؤلؤة والهُرْمُزان نجيّا والهرمزان يقلّب هذا الخنجر بيده، ومعهما جُفَيْنة، وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم الكتاب بالمدينة، وابن فيروز وابنته، وكلهم مُشْرِكٌ إلا الهُرْمُزان، فعدا عليهم عُبَيدُ الله بن عمر بسيف فقتل الهُرْمُزان وجُفَينة، فنهاه الناس فلم ينته، فقالوا، وقال: والله لأقتلنّ من يُصَيِّرُ هؤلاء في جنبه، فانصرفوا إلى صُهَيب وأخبروه، فبعث إليه صهيب عمرو بن العاص، فلم يزل به حتى أعطاه السيف، ووثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصيا وقال: قتلت جاري وأخفرتني وأتى به صهيبًا، فحبسه على الشورى، حتى دفعه إلى عثمان يوم استخلف فأقاده[1].

ورُوِيَ أيضًا عن يحيىٰ بن سعيد عن سعيد بن المسيّب أن عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما غداة طعن عمر رضي الله عنه قال: مررت على أبي لؤلؤة لعنه الله تعالى عصر أمس ومعه جُفينة والهرمزان وهم نجي، فلما رهِقتهم ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان، نِصابُه في وسطه، فانظروا بأي شيء قُتل وقد تخلّلَ أهلَ المسجد، وخرج رجلٌ من بني تميم، فرجع إليهم التميمي، وقد كان ألَظَّ بأبي لؤلؤة منصرَفَه عن عمر رضي الله عنه، حتى أخذه فقتله، وجاء بالخنجر الذي وصف عبدُ الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما، فسمع بذلك عبيدُ الله، فأمسَكَ حتى مات عمر، ثم اشتمل على السيف، فأتى الهرمزانَ فضربه، فقتله، فلما عضه السيف قال: لا إلٰه إلا الله. ثم مضى حتى أتى جُفَيْنة، وكان نصرانيًا من أهل الحيرة ظِئرًا لسعد بن مالك أقدمه المدينة للملح الذي بينه وبينه ليعلم بالمدينة الكتابة، فلما علاه بالسيف صلّب بين عينيه، وبلغ ذلك صهيبًا فبعث إليه عمرو بن العاص، فلم يزل به ويقول له: السيف بأبي وأمي، حتى ناوَلَه إيّاه وثاوره سعد، فأخذ بشعره وجاؤوا إلى صُهَيْب[2].

وعن أبي الشهيد الحجبي عن ابن سابط قال: لما بويع عثمان رضي الله عنه دعا المهاجرين والأنصار، فبدأ بالسّابقين الأولين، فخَطَبَ لهم، فحمد الله وأثنى عليه،

---

(١) أخرجه أيضًا: ابن عساكر في التاريخ (٣٨/ ٦٤) من طريق سيف بن عمر التميمي عن سهل بن يوسف... به.

(٢) رواه أيضًا: ابن عساكر (٣٨/ ٦١) من طريق سيف بن عمر عن يحيىٰ بن سعيد... به، وكذا الطبري في التاريخ (٢/ ٥٨٧).

وقال: إنما أعتبر الناسَ بكم حتى لا أجد منكم أحدًا، فإن كنتم على الأمر عرفتُ أن لله في خلقه نظرة، وإن حُلْتم عن الأمر عرفتُ أن قد دُلِّيَ بكم الناس، وعلمت كيف أصنع، وبمنزلتكم صالحي أهل زمان وحكمائهم فقولوا فيما أحدثَ عبيدُ الله بن عمر، فقالوا: القَوَدَ القَوَدَ. ونادى جمهورُ الناس وهم من وراء ذلك: لعلكم تريدون أن تُتْبعوا عمرَ ابنَه، الله الله، أبْعَدَ اللهُ الهُرْمُزانَ وجُفَيْنَة. فقال عثمانُ (رض) متمثلًا، ولم يقل لهؤلاء ولا لهؤلاء شيئًا:

مَن ذا ينذِّد عني الناسَ معذرةً ... أن ردّ جارٌ أبيّ وهو مقتولُ

ينازع الليل بالبطحاء طعمته ... يقال من جار هذا غاله غولُ

فتفرّق الناس وهم موقنون بأن سيُقيده[١].

وعن سعيد بن عبد الله عن عبد الله بن أبي مُليكة قال: لما وَلي عثمان (رض) قال له صهيب: ما تقول في عبيد الله بن عمر، فتمثل بهذين البيتين ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس! كتاب الله بينكم فيه حلاله وحرامه، فمن أتى حدًا من حدود الله فيه والله، فتفرق الناس وهم على اليقين من قتله، فأقاده[١].

والصحيح أن عبيد الله بن عمر لم يُقَدْ منه، وأنه قتل يوم صفين مع معاوية، كذا ذكره محمد بن سعد في كتاب الطبقات[٢].

وذكر أيضًا سيف بن عمر في كتاب الفتوح بإسناده عن أبي منصور قال: سمعت القماذيان بن الهُرمزان يحدِّث عن قتل أبيه قال: قد كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمر فيروز بأبي، ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد فقال: آنسُ به؛ فرآه رجل، فلما أصيب عمر (رض)، قال: قد رأيته، يعني الخنجر، وهو مع الهرمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيدُ الله فقتله، فلما ولي عثمان (رض) دعاني فأمْكنني منه، ثم قال: يا بني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب به فاقتله. قال: فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه العفو، فقلت لهم: ألي قتله، قالوا: نعم وسبُّوا عبيد الله، وقلت: أفلكم أن تمنعوه، قالوا: لا، وسبوا عبيد الله، فتركته لله عزّ وجلّ ولهم، فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفّهم[٣] فقال

(١) لم نقف عليه. (٢) انظر الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه أيضًا: ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٦٨) من طريق سيف بن عمر عن أبي منصور=

النضر بن الحارث السَّهمي:

ألا يا عُبَيْدَ الله مالك ملجأ	ولا مهربٌ إلا ابن أزوى ولا خَفَرْ
أصبتَ دما واللهِ في غير كُنهِه	حرامًا وقتلُ الهُرمزان له خطر
عدوتَ عليه ظالمًا فقتلته	بأبيض مصقول صفاصقه ذكر
على غير شيء غير أنْ قال قائلٌ	أتتهمون الهُرمزان على عُمَر
فقال سفيهٌ والحوادِثُ جمّةٌ	نعم نتهمه قد أشارَ وقد أمر
وكان سلاح المرء في جوف بيته	يقلِّبها والأمرُ بالأمرِ يُعتَبَر

وقال زياد بن لبيد البياضيّ:

أبا عمروٍ عبيدُ الله رهنٌ	فلا تشكُك بقتل الهرمزان
فإنك إن حكمت بغير حق	فما لك بالذي حدثت يدان
كأنك إن فعلتَ وذاك يجري	وأسبابُ الخطا فرسا رهان

وعن عبد الله بن سعيد بن ثابت قال: بلغ عثمانَ خوضُ الناس في الهرمزان قبل أن يقيد عبيد الله، فقام فقال: أيها الناس! القتل على وجهين، والإمام وليّ قتل الباغي والعادي والمفسد دون الآباء والأبناء وسائر الإخوة، والأولياء ولاة ما كان في النائرة، إن شاؤوا تركوا وإن شاؤوا باعوا، وإن شاؤوا قتلوا، ليس للإمام إلا المعونة وحبس الجاني، ثم دفع عبيد الله إلى ابن الهرمزان[١].

٦ ـ ذكر ما صنع عثمان حين استخلف:

روى صاحب الفتوح عن خليْد بن زُفر ومجالد قالا: استُخلِف عثمان (رض) لثلاثٍ مضين من المحرم سنة أربع وعشرين بين الصلاتين، وزاد الناسَ مائة مائة، وهو أول من زاد الناس، ووفّد أهلَ الأمصار، وهو أول مَن وفّدهم، وصنع فيهم المعروف[٢].

وعن عاصم بن سليمان عن الشعبي قال: استُخلِف عثمان (رض) لثلاث مضين من المحرم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلّى بالناس العصر، وزاد ووفد، فاستُنّ به[٣].

= عن القماذان... به وليس فيه أبيات الشعر.

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الطبري أيضًا في التاريخ (٢/ ٥٦١) من طريق شعيب عن خليد ومجالد... به.

(٣) رواه الطبري أيضًا في التاريخ (٢/ ٥٦١) عن عمر عن الشعبي.

وعن عمر وعن الشعبي قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان (رض) لثلاث مضين من المحرم، وقد دخل وقت العصر، وقد أذّن مؤذن صُهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائة، ووفد أهل الأمصار وصنع ذلك فيهم، وهو أول من صنع ذلك[١].

وعن الفيض بن محمد بن عون بن عبد الله بن عتبة قال: خطب عثمان (رض) الناسَ بعد ما بويع فقال: أما بعد فإني قد كلفت، وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ وكرم ثلاثًا: اتباعُ مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنُّ أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكفُّ عنكم إلا فيما استوجبتم العقوبة. وأن الدنيا خَضِرةٌ، وقد شُهِّيت إلى الناس، ومال إليها كثيرٌ منهم، فلا تركَنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غيرُ تاركة إلا من تركها[٢].

٧ ـ ذكر ولاية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الكوفة:

عن مجالد عن الشعبي قال: كان عمر (رض) قال: أُوصي الخليفة من بعدي أن يستعملَ سعدًا، فإني لم أعزله عن سوءٍ، وقد خشيتُ أن يلحقه من ذلك، فكان أولَ عامل بعثه عثمان (رض) سعدُ بن أبي وقاص (رض) على الكوفة، وعزل المغيرةَ بن شُعبة، والمغيرةُ يومئذ بالمدينة، فعمل عليها سعدٌ سنةً وبعضَ أُخرى، وأقرّ أبا موسى سنوات[٣].

وعن مبشر عن سالم قال: كان أولَ عامل استعمله عثمان سعد بن أبي وقاص (رض) عنهما عن وصية عمر (رض) فأقرّهم على أعمالهم وتقدم إليهم وحذرهم. ثم إن عُميرَ بن سعد طُعن فصارت طعنته ترى فيه، فأضني منها، فاستعفى عثمان (رض)، واستأذنه في الرجوع إلى أهله فأذن له، وضم حمص وقنسرين إلى معاوية (رض)[٤].

---

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٣/ ٦٩٣) من طريق آخر عن عبد الله بن عتبة.

(٣) لم نقف عليه. ولكن وصية عمر وكلامه لمن سيلي الأمر من بعده، وارد في صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٣) من حديث عمرو بن ميمون وقد تقدم ذكره في مقتل عمر وحديث الشورى وهو مخرج هناك.

(٤) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٨) عن سيف عن مبشر. . . به.

وعن أبي حارثة وأبي عثمان عن خالد بن معدان قال: لما ولي عثمان (رض) أقر عمال عمر (رض) على الشام فلما مات عبد الرحمٰن بن علقمة الكنانيّ وكان على فلسطين ضمّ عَمَله إلى معاوية، ومرض عُمير بن سعد في إمارة عثمان (رض) مرضًا فطال به فاستعفاه واستأذنه، فأذن له وضم عمله إلى معاوية، فاجتمع الشام على معاوية لسنتين من إمارة عثمان (رض). وكان عمرو بن العاص على مصر زمان عمر (رض) مجتمعة له، فأقرّه عثمان (رض) صدر إمارته[١].

٨ ـ ذكر ولاة خراسان وما وراء النهر:

عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا: لما ولي عثمان (رض)، عزل المغيرة عن الكوفة[٢] وأمّر سعد بن أبي وقاص (رض) وأقر أبا موسى، وبعث على خراسان عمر بن عثمان بن سعد، فلم يدع كورة دون النهر إلا ونالها بعد الأحنف، وصالح من لم يجب الأحنف، وأمر الناس بعبور النهر. فصالحه من وراء النهر، وكان صلحهم مما جرى على يد عثمان (رض)، وبعث عبد الله بن عامر إلى كابل وهي عمالة سجستان، فبلغ كابل حتى استفرعها. وكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان حتى مات معاوية[٣].

٩ ـ كتب عثمان في أول خلافته:

وكان أول كتاب كتبه عثمان (رض) إلى عماله: أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم في أن يكونوا جباة. وإن صدر هذه الأمة خُلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، وليوشكنّ أئمتكم أن يصيروا جباة فلا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإنّ أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء.

وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الجنود في الفروج: أما بعد، فإنكم حُماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر (رض) ما لم يغب عنا بل كان عن ملأ منا،

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٩) من طريق أبي حارثة وأبي عثمان عن خالد بن معدان... به.

(٢) ذكره الذهبي في السير (١/ ١١٨).

(٣) انظر أيضًا في هذا تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٥٩٠).

ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل، فيغير الله ما بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه.

وكان أول كتاب كتبه عثمان (رض) إلى عمال الخراج: أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق، ولا يقبل إلا الحق. خذوا الحق وأعطوا به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاءَ من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد، فإن الله ورسوله خصمٌ لمن ظلمهم.

وكان كتابه إلى العامة: أما بعد؛ فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكاملِ النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله قال: الكفر في العُجمة، فإذا استعجم عليهم أمرٌ تكلفوا وابتدعوا[١].

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب (رض): إن أمر بني إسرائيل لم يزل معتدلًا حتى كثر فيهم المولودون أبناء سبايا الأمم، فقالوا فيهم بالرأي، فضلوا وأضلوا بني إسرائيل[٢].

وعن عاصم بن سليمان عن عامر الشعبي قال: أول خليفة زاد في أعطيات الناس مائةً عثمان (رض)، فجرت، وكان عمر (رض) فرض لكل نفس منفوسة من أهل الفيء في رمضان درهمًا في كل يوم، وفرض لأزواج النبيّ ﷺ درهمين، فقيل له: لو وضعت لهم طعامًا وجمعتهم عليه، فقال: أشبعوا الناس في بيوتهم، فأقر عثمان (رض) الذي كان عمر (رض) صنعه، وزاد فوضع طعامًا في رمضان، فقال: للمتعبِّد الذي يتخلف في المسجد ولابن السبيل والمعْترِّين بالناس في رمضان[٣].

١٠ ـ ذكر اتخاذ عثمان (رض) دور الضيافة بالكوفة:

عن الغصن بن القاسم عن عون بن عبد الله قال: كان مما أحدث عثمانُ (رض) بالكوفة إلى ما كان من الخير أنه بلغه أن أبا السماك الأسدي في نفر من أهل الكوفة

(١) كل هذه الكتب رواها الطبري في تاريخه (٢/ ٥٩٠).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٦٢) عن هشام بن عروة عن أبيه من قوله. ورواه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٦) عنهما عن عبد الله بن عمر من قوله. ورفعه البزار في مسنده (٦/ ٤٠٢) قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٠): فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه جماعة وقال ابن القطان: هذا إسناد حسن. ولم نقف عليه من قول عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٥٩١) من طريق عاصم بن سليمان... به.

ينادي منادٍ لهم إذا قدم المُيّار: من كان هٰهنا من كلب أو بني فلان وليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبي فلان، فاتخذ موضع دار أبي عقيل دار الضيفان ودار ابن هبار مؤخر المسجد[1]. وكان منزل عبد الله بن مسعود (رض) في هُذَيل في موضع الزيادة اليوم بين ثقيف والزيّاتين، فتباعد عليه فاستأذن في موضع داره، وقال: أنا من أضياف المسلمين. فنزل موضع داره، وترك داره دار الضيافة. وكان الأضيافُ ينزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد وعن المغيرة بن مُقسم عمن أدرك من علماء أهل الكوفة أن أبا سماك كان ينادي مناديه في السوق والكناسة: من كان هٰهنا من بني فلان وفلان ممن ليست له بها خِطة فمنزله على أبي سماك، فاتخذ عثمان (رض) للأضياف منازل.

(١) رواه الطبري في التاريخ (٦٠٩/٢) من طريق سيف عن الغصن بن القاسم عن عون. . . به.

الباب الرابع

في ذكر الخوض في أمر عثمان وما نقموا عليه من الأمور التي حدثت في خلافته رضي الله عنه

وفي سنة ست وعشرين أمر عثمان (رض) بتجديد أنصاب الحرم، وزاد في المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم بغير أمرهم، ووضع الأثمان في بيت المال، ثم إنهم رضوا بعد ذلك فأخذوها.

١١ ـ ذكر استعمال عبد الله بن أبي سرح على مصر:

وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان (رض) من الرضاعة. ثم سار عبد الله إلى إفريقية ففتحها بعد قتال شديد، وحمل خمسها إلى المدينة، فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان (رض)، فكان هذا مما أخذه الناس عليه. وقيل: بل أعطى خُمْسَها عبدَ الله بن سعد. ثم إن أهل إفريقية عقدوا الصلحَ فسار إليها معاوية بن حُديج السّكوني، ففتحها ثانية.

١٢ ـ ذكر إتمام عثمان رضي الله عنه الصلاة بمنى:

وفي سنة ثمان وعشرين حج عثمان (رض) بالناس، وأتمَّ الصلاةَ بمنى وعَرَفة، فتكلم الناسُ في عثمان (رض)، وعابَ ذلك غيرُ واحد من الصحابة، فقال له علي رضي الله عنه: ما حدث أمرٌ ولا قَدُمَ عَهْدٌ، ولقد عَهِدْتُ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر (رض) عنهما يصلّون ركعتين، وأنت أيضًا صدرًا من خلافتك، فقال عثمان (رض): ذلك رأيٌ رأيتُه.

وأتاه عبدُ الرحمٰن بن عوف وقال له مثل ذلك، فقال عثمان (رض): إني أُخبرتُ أن بعض حاج اليمن وجفاة الناس قالوا: الصلاة للمقيم ركعتان، واحتجوا بصلاتي. وقد اتخذت بمكة أهلًا ولي بالطائف مال. فقال له عبد الرحمٰن: ما في هذا عذر، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والإسلام قليل، ثم أبو بكر وعمر (رض) عنهما، فصلّوا ركعتين، وقد ضرب الإسلام بجرانه. فقال له عثمان

(رض): هذا رأي رأيته. ووافقه ابن مسعود (رض) على الإتمام، وقال: الخلاف شر، وصلّى بأصحابه أربعًا.

١٣ ـ ذكر الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ:

وفي سنة تسع وعشرين عزل عثمان (رض) أبا موسى عن البصرة، واستعمل عليها عبد الله بن عامر كُرَيز بن ربيعة، وهو ابن خال عثمان (رض).

وفيها زاد عثمان (رض) في مسجد رسول الله ﷺ، وكان ينقل الجص من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عُمُدَة من الحجارة فيها الرصاص، وجعل طوله مائةً وستين ذراعًا وعرضَه مائة وخمسين، وجعل أبوابه على ما كانت أيامَ عمر (رض) ستة أبواب.

١٤ ـ ذكر المنافرة بين سعد وابن مسعود رضي الله عنهما:

عن عمرو عن الشعبي قال: كانَ أولَ ما نزغ به الشيطان بين أهل الكوفة، وهو أولُ مصرٍ نزغ الشيطان بينهم في الإسلام، أنّ سعدَ بن أبي وقاص (رض) استقرض من عبد الله بن مسعود (رض) من بيت المال مالًا، فأقرَضَه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام، حتى استعان عبدُ الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس من الناس على إنظاره، فافترقوا وبعضهم يَلوم بعضًا، يلوم هؤلاء سعدًا، ويلوم هؤلاء عبدَ الله[١].

وعن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كنت جالسًا عند سعد (رض) وعندَه ابنُ أخته هاشمُ بنُ عُتبة، فأتى عبدُ الله بن مسعود سعدًا (رض)، فقال: أدِّ المال الذي قِبلك، قال له سعد: ما أراك إلا ستلقى شرًّا، هل أنت إلا ابن مسعود، عبد من هُذيل؟ قال: أجل، والله إني لابنُ مسعود، وإنك لابن حُمَيْنة، فقال هاشم: أجل وإنكما لصاحبا رسول الله ﷺ يُنظَرُ إليكما، فطرح سعدٌ عودًا كان في يده، وكان رجلًا فيه حِدَّة، ورفع يديه وقال: اللهم رب السمٰوات والأرض، فقال له عبدُ الله: ويْلكَ، قل خَيرًا ولا تلعن، فقال سعد (رض) عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوتُ عليك دعوةً لا تخطئك، قال: فولّى الآخرُ سريعًا فخرج[٢].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٥٩٥) من طريق سيف عن عمرو... به.

(٢) رواه ابن عساكر في التاريخ (٢٠/ ٣٤٣) عن إسماعيل عن قيس... به.

وعن القاسم بن الوليد عن المُسيّب بن عبد خير عن عبد الله بن عكيم قال: لما وقع بين عبد الله بن مسعود وسعد رضي الله عنهما الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه فلم يتيسر على سعد قضاؤه، غضبَ عليهما عثمانُ (رض) وانتزعها، يعني الإمارة، من سعد، وعزله، وغضِبَ على عبد الله وأقرّه، واستعملَ الوليدَ بن عُقْبة، وكان عامِلًا لعمر (رض) على ربيعة بالجزيرة، فقدم الكوفة، فلم يتخذ لداره بابًا، حتى خرج من الكوفة[١].

١٥ ـ ذكر ولاية الوليد بن عقبة الكوفة:

عن محمد وطلحة قالا: لما بلغ عثمان (رض) الذي كان بين عبد الله وسعد (رض) عنهما فيما كان، غضب عليهما وهمّ بهما، ثم إنه ترك ذلك، وعزل سعدًا، وأخذ ما عليه من المال، وأقرّ عبد الله، وتقدم إليه، وأمّر مكان سعد الوليدَ بنُ عقبة وكان على عرب الجزيرة عاملًا لعمر بن الخطاب (رض)، فقدم الوليدُ في السنة الثانية من إمارة عثمان (رض)، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى، فقدم الكوفة، وكان أحب الناس إلى الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب. ثم إن شبابًا من شباب أهل الكوفة نقبوا على رجل من خزاعة، وكابروه، فنذِر بهم، فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ، فقالوا له: اسكت، فإنما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة، وأبو شُرَيح الخزاعي مشرف عليهم، فصاح بهم، فضربوه فقتلوه. وأحاط الناس بهم، فأخذوهم، وفيهم زهير بن جندُب الأزدي ومورِّع بن أبي مورع الأسدي وشُبيل بن أبيٍّ الأزدي في عدة، فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضًا من الناس، فقتله بعضهم، فكتب فيهم الوليد إلى عثمان (رض)، فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرحبة[٢]، فقال في ذلك عاصم بن عمرو التميمي:

لا تأكلوا أبدًا جيرانكم سرفًا ... أهلَ الدَّعارة في ملك ابن عفان
إن ابن عفان الذي جربتم ... فطم اللصوص بمُحكم القرآن
ما زال يعمل بالكتاب مهيمنًا ... في كل عنق منهم وبنان

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/٥٩٦) من طريق القاسم بن الوليد... به.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/٥٩٦) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.

وعن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد قال: كان أبو شُريح الخزاعي من أصحاب رسول الله ﷺ، فتحوّل من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو، فبينا هو ليلة على سطح داره إذ استغاث جاره، فأشرف، فإذا شباب من أهل الكوفة قد بيّتوا جاره، وجعلوا يقولون: لا تصِح، فإنما هي ضربة حتى نريحك، فقتلوه، فارتحل إلى عثمان (رض)، ورجع إلى المدينة ونقل أهله. ولهذا الحديث حين كثرَ أُحدثت القسامة، وأُخذ بقول وليّ المقتول ليُفطم الناس عن القتل عن ملأ من الناس يومئذ.

وعن محمد بن كريب عن نافع بن جبير قال، قال عثمان: القسامة على المدّعى عليه وعلى أوليائه، يحلف منهم خمسون رجلًا إذا لم تكن بيّنة، وإن نقصت قسامتهم أو نكل رجل واحد رُدّتْ قسامتهم، ووليها المدعون وأُحلفوا، فإن حلف منهم خمسون استحقوا[(١)].

١٦ ـ ذكر القدح في الوليد:

عن محمد وطلحة قالا: كان عمر بن الخطاب (رض) عنه قد استعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، فنزل في بني تغلب، وكان أبو زبيد في الجاهلية والإسلام في بني تغلب حتى أسلم، وكانت بنو تغلب أخواله، فاضطهده أخواله دَينًا له، فأخذ له الوليد بحقه فشكرها له أبو زبيد وانقطع إليه وغشيه بالمدينة. فلما ولي الوليد الكوفة، وذلك في سنة ثلاثين، أتاه مسلمًا ومعظمًا على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة، فنزل دار الضيفان، وتلك آخر قدْمةٍ قَدمها أبو زبيد على الوليد، وقد كان ينتجعه ويرجع، وكان نصرانيًا قبل ذلك. فلم يزل الوليد به حتى أسلم في آخر إمارةِ الوليد وحَسُنَ إسلامُه. فاستدخله الوليد، وكان عربيًا شاعرًا حين أقام على الإسلام، فأتى آتٍ أبا زينب وأبا مورِّع وجُندُبا وهم يحقدون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون، فقال لهم: هل لكم في الوليد يشارب أبا زُبيدة، فثاروا في ذلك، فقال أبو زينب وأبو مُورِّع وجُندب لأناس من أهل الكوفة: هذا أميركم وأبو زبيد خيرته وهما عاكفان على الخمر، فقاموا معهم، ومنزلُ الوليد في الرحبَة مع عُمارة بن عُقبة ليس عليه باب، فاقتحموا عليه من المسجد، وبابه إلى المسجد، فلم يُفْجأ الوليد إلا وهم في داره، فنحّى شيئًا فأدخله تحت السرير، فأدخل أحدُهم يَده فأخرجه لا يؤامره، فإذا طبقٌ عليه تفاريقُ عنب، وإنما نحّاه استحياء أن يُرى طبقهُ ليس عليه إلا تفاريق عنب، فقاموا فخرجوا على الناس، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، وسمع الناسُ

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٠٩) من طريق سيف عن عبد الله بن سعيد... به.

بذلك، فأقبلوا عليهم يسبّونهم ويلعنونهم، ويقولون أقوام غضب لعمله، وبعض أرغمه الكتاب، فدعاهم ذلك إلى التجسّس والخبث، فستر عنهم الوليد ذلك وطواه عن عثمان (رض)، ولم يدخل بين الناس في ذلك بشيء، وكره أن يفسد بينهم وسكت عن ذلك وصبر[١].

عن عمرو ومجالد عن الشعبي أن الوليدَ كان يغزو في كلّ عام ثغر الكوفة الأيسر، ويغزو حذيفةُ ثغرها الأيمن، ينتهي هذا إلى الباب وهذا إلى الري، غزا خمسَ غزوات. وعن الفيض بن محمد قال: رأيتُ الشعبيَّ جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد وهو خليفة محمد بن عبد الملك، فذكر محمد غزو مسلمة فقال: كيف لو أدركتم الوليد وغزوه وإمارته، إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما نقض ولا انتقض عليه أحد، حتى عزل عن عمله، وعلى الباب يومئذٍ عبد الرحمٰن بن ربيعة الباهلي، وإن كان مما زاد عثمانُ بن عفان (رض) الناسَ على يديه أن ردّ على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر، يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم[٢].

عن الغصن بن القاسم عن عمر بن عبد الله قال: جاء جُندُب ورهط معه إلى ابن مسعود (رض)، فقالوا: الوليد يعكف على الخمر، وأذاعوا ذلك، حتى طرح على ألسن الناس، فقال ابن مسعود (رض): من استتر منا بشيء لم نتتبع عورته ولم نهتك سيرته، فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه، فعاتبه في ذلك، وقال: يرضى مثلك بأن يجيب أقوامًا موتورين بما أجبت عليّ؟ أي شيء أستتر به؟ إنما يقال هذا للملجلج، فتلاحيا وافترقا على تغاضب ولم يكن بينهما أكثر من ذلك[٣].

وعن محمد وطلحة قالا: وأُتي الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود رضي الله عنه يسأله عن حدّه، فقال: وما يدريك أنه ساحر؟ قال: زعم هؤلاء النفر الذين جاؤوا به أنه ساحر، قال: وما يدريكم أنه ساحر؟ قالوا: يزعم ذلك، فقال: أساحر أنت؟ قال: نعم. قال: أو تدري ما السحر؟ قال: نعم، وثار إلى حمار، فجعل يركبه من

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٠) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.

(٢) رواه ابن عساكر في التاريخ (٦٣/ ٢٣٧) من طريق سيف عن عمر ومجالد... به. وأخرج الطبري نحوه من غير هذا الطريق (٢/ ٦١٠) من طريق سيف عن الفيض بن محمد قال: رأيت الشعبي... فذكره بنحوه.

(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٠) من طريق سيف عن الغصن بن القاسم... به.

قبل ذنبه وينزل من قبل رأسه ومن قبل رأسه فينزل من قبل ذنبه، ويريهم أنه يخرج من فيه وأستِه، فقال ابن مسعود: فاقتله، فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلًا يلعب بالسحر عند الوليد، فأقبلوا وأقبل جندب واغتنمها يقول: أين هو أين هو، حتى أُريه؟ فضربه، وأجمع عبدُ الله والوليد على حبسه حتى كتب إلى عثمان (رض)، فأجابهم عثمان (رض) أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه، وأنه لصادق بقولهِ فيما ظن من تعطيل حدِّه، وعزِّروه وخلُّوا سبيله، وتقدَّم إلى الناس في أن لا يعملوا بالظنون أو يقيموا الحدود دون السلطان، فإنا نُقِيدُ المخطىء ونؤدِّب المصيب، ففعل ذلك به وتُرِك لأنه أصاب حدًّا، وغضب لجندب أصحابه، وخرجوا إلى المدينة وفيهم أبو حُشة الغِفاريّ وجَثّامة بن الصعب بن جثّامة ومعهم جندب، فاستعفوه من الوليد، فقال لهم عثمان (رض): تعملون بالظنون، وتخطئون في الإسلام، وتخرجون بغير إذن، ارجعوا. فردهم إلى الكوفة، فلم يبق موتورٌ في نفسه إلا أتاهم، فاجتمعوا على رأي فأصدروه، فتغفّلوا الوليد، وكان ليس عليه حِجاب، فدخل عليه أبو زينب الأزدي وأبو مورِّع الأسدي، فسلّا خاتمه. ثم خرجا إلى عثمان فشهدا عليه، ومعهما نفر ممن يُعرف من أعوانهم. فبعث إليه عثمان (رض)، فلما قدم أمر به سعيدَ بن العاص فجلده، فقال: يا أمير المؤمنين، أنشدك الله، فوالله إنهما لخصمان موتوران، فقال: لا يضرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا، فمن ظلم فالله وليُّ انتقامه، ومن ظُلِم فالله وَليُّ جزائه(١).

وعن أبي غسان عن عبد الرحمـٰن بنُ حبيش قال: اجتمع نفر من أهل الكوفة فعملوا في عزل الوليد، فانتدب له أبو زينب بن عوف وأبو مورِّع ابن فلان الأسديّ للشهادة عليه، فغشوا الوليد، وأكبُّوا عليه فبينا هم معه يومًا في البيت، وله امرأتان في المخدع، بينهما وبين القومِ ستر، إحداهما بنت ذي الخِمار والأخرى بنتُ أبي عقيل. فنام الوليد، وتفرق القوم عنه، وثبت أبو زينب وأبو مورِّع، فتناول أحدهما خاتمه، ثم خرجا. فاستيقظ الوليد، وامرأتاه عند رأسه، فلم يجد خاتمه، فسألهما عنه، فلم يجد عندهما منه علمًا، فقال: فأي القوم تخلَّف عنهم؟ قالتا: رجلان لا نعرفهما ما غشياك إلا منذ قريب، قال: حَلِّياهما، قالتا: على أحدهما خَميصة، وعلى الآخر مطرف وصاحب المطرف أبعدهما منك، قال: الطُّوال؟ قالتا: نعم، وصاحب الخميصة

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٠)، وابن عساكر في التاريخ (٦٣/ ٢٤٣) كلاهما من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.

أقربهما إليك، قال: القصير؟ قالتا: نعم، وقد رأيناه يده على يدك، قال: ذاك أبو زينب والآخر أبو مورِّع، وقد أرادا هنة، فليت شعري ما يريدان! فطلبهما فلم يقدر عليهما، وكان وجهُهما إلى المدينة، فقدما على عثمان (رض) ومعهما نفر ممن يعرف عثمان (رض) ممن قد عزل الوليدُ عن الأعمال، فقالوا له فقال: مَن يشهد منكم؟ فقالوا: أبو زينب وأبو مورِّع، وكاع الآخرون، فقال: كيف رأيتماه؟ قالا: كُنّا من غاشيتِه، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر، فقال: ما يَقيءُ الخمر إلا شاربُها، فبعث إليه، فلما دخلَ على عثمان (رض) رآهما عنده، فقال مُتمثِّلًا:

ما إنْ خَشيتُ على أمرٍ خَلوت به فلم أخَفْك على أمثالها حارِ

فحلف له الوليدُ وأخبره خبره فقال: نُقيم الحدودَ ويبوء شاهدُ الزور بالنار، فاصبر يا أُخيَّ. فأمر سعيد بن العاص فجلده، فأورث عداوةً بين ولديهما حتى اليوم. وكانت على الوليدِ يومَ أُمر به أن يُجلدَ خميصة، فنزعها عنه علي بن أبي طالب (رض)[١].

وفي رواية أخرى أن أبا زينب وأبا مورع لما قدِما على عثمان (رض) فأخبراه الخبر على رؤوس الناس، فأرسل إلى الوليد فقدم، فإذا هو بهما، فدعا بهما عثمان (رض)، فقال: بمَ تشهدان، أتشهدان أنكما رأيتماه يشربُ الخمر؟ فقالا: لا، وخافا، قال: وكيف؟ قالا: اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر، فقال: لم يقئها إلا وقد شربها، فأمر سعيدَ بن العاص بجلده، فأورث ذلك عداوة بين أهليهما. هكذا ذكر صاحب الفتوح والصحيح أن الذي جلده عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب، لأن عليًا رضي الله عنه أمره بجلده فجلده أربعين، وعليٌ رضي الله عنه يَعُدّ، فقال علي: أمسِكْ، جَلد رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكُلّ سُنّةٌ، وهذا أحبُّ إليّ، رواه مسلم في صحيحه[٢]. فإن قيل: قد روى أحمد في مسنده بإسناده عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما من رجل أقمتُ عليه حدًا فمات فأجد في نفسي عليه إلا صاحبُ الخمر، فإنه لو مات وَدَيْتُه، لأن رسولَ الله ﷺ لم يَسُنَّه، أخرجاه[٣].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١١) من طريق سيف عن أبي غسان... به.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١٣٢١). وأبو داود في السنن (٤/ ١٦٣) والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٤٨)، وابن ماجة في السنن (٢/ ٨٥٨) جميعهم عن حضين بن المنذر أبو ساسان.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٨٨)، ومسلم (٣/ ١٣٣٢)، وأحمد (١/ ١٣٠)، وعبد الرزاق=

وفي الحديث المتقدم أن عليًا (رض) جَلَدَ أربعين، وقال: جَلدَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكُلٌّ سُنّة، فكيف الجمع بينهما؟ فالجواب أن الضَّربَ في الجُملة سُنّة، والعَددُ مُجْتَهَد فيه. ذكره الحافظُ ابن الجَوزي في جامع المسانيد.

وقيل: إن الوليد بن عُقبة سكِر وصلّى بأهل الكوفة الصبح ركعتين ثم التفت إليهم وقال: أزيدُكم؟ فقال له عبدُ الله بن مسعود (رض): ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم[١]، فقال أبو مُورِّع ونحَلَها الحُطَيْئَةَ ليُعاب بها:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه	أن الوليد أحق بالغدر
نادى وقد نفِدت صلاتهم	أأزيدكم، ثملًا وما يدري
ليزيدهم خيرًا ولو قبلوا	منه لزادهم على العشر
فأبوا، أبا وهب، ولو قبلوا	لقرنت بين الشفع والوتر
خلعوا عنانك إذ جريت ولو	تركوا عنانك لم تزل تجري

وقد روى أحمد بإسناده أن الوليد بن عقبة صلّى بالناس أربعًا، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فرفع ذلك إلى عثمان (رض)، فأمر بأن يجلد، فجلد أربعين[٢].

عن عطية عن أبي العُريف ويزيد الفقعسي قالا: كان الناس في الوليد فرقتين، العامة معه والخاصة عليه، فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صفين، فولي معاوية، فجعلوا يقولون: عيب عثمان بالباطل، فقال لهم علي (رض): إنكم وما

= (٧/ ٣٧٨)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٢٣) وفي شعب الإيمان (٥/ ٣٠٥) وأبو يعلى في المسند (١/ ٢٨١) جميعهم من طرق عن علي.

(١) انظر المغني لابن قدامة (٢/ ٩) فقد ذكره ومن ذكر رد عبد الله بن مسعود عليه. وسكر الوليد وصلاته بالناس وردت فيه أحاديث فقد أخرج أبو يعلى في المسند (٣/ ٢٠٩)، وأبو عوانة (٤/ ١٥١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٥٢) عن الحضين بن المنذر أبو ساسان قال: «شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد بن عقبة قد صلّى بأهل الكوفة الصبح أربعًا ثم قال أزيدكم. . . الحديث» فصلاته للصبح كانت أربعًا وليس اثنان كما أورد المصنّف هٰهنا والله أعلم، وهو ما أورده المصنّف أيضًا بعد ذلك في الحديث الآتي.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٤٤) من حديث الحضين بن المنذر. وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٤٤) من حديث عبادة بن الصامت بنحوه قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤١٠): رجاله رجال الصحيح.

تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه، وما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بقولكم، وعزله؟ وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا؟[(١)]

وعن محمد بن كريب عن نافع بن جبير قال: قال عثمان (رض): إذا جُلد الرجل الحد، ثم ظهرت توبته، جازت شهادته[(٢)].

عن أبي كبران عن مولاة لهم وأثنى عليها خيرًا، قالت: قد كان الوليد أدخل على الناس خيرًا، حتى كان يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك. كان يُسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن:

يا ويلتا قد عزل الوليد ... وجاءنا مجوِّعًا سعيد
ينقُصُ في الصاع ولا يزيد ... قد جُوع الإماء والعبيدُ[(٣)]

وعن الغصن بن القاسم، قال: كان الناس يقولون حين عزل الوليد وأُمِّرَ سعيد:

لا يَبعدِ الملك إذ ولّت شمائله ... ولا الرِّياسة لما راسَ كتاب[(٤)]

وقال أبو زبيد في الوليد:

من يرى العِير لابن أروى على ظهـ ... ـر المروري حداتهن عِجالُ
مشرفاتٍ والبيتُ بيت أبي وهـ ... ـب خلاءٌ تستنُّ فيه الشَّمالُ
يعلم الجاهلُ المضلل أن الـ ... ـدهر فيه النكراء والزلزالُ
بعدما تعلمين يا أُمَّ زيدٍ ... كان زينٌ لنا بهم وجمالُ
ووجوه تودُّنا مشرقات ... ونوال إذا يراد نوالُ
ولعمر الإله لو كان للسيـ ... ـفِ مَصال وللسان مقالُ
ما تناسيتك الصفاء ولا الودّ ... ولا حال دونك الاشغالُ
أو لأنقذت لحمك المتعضّى ... ضلة من ضلالهم ما اغتالوا
من رجالٍ تقارضوا منكرات ... لينالوا الذي أرادوا فنالوا
قولهم: شُربُكَ الحرام وقد كا ... ن شرابٌ سوى الحرام حلالُ

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١١) من طريق سيف عن عطية... به.
(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١١) من طريق سيف عن محمد بن كريب... به.
(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٢) من طريق سيف عن أبي كيران... به.
(٤) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٢) من طريق سيف عن الغصن بن القاسم... به.

من يَخُنْكَ الصفاءَ أو يتبدّل	أو يَزُلْ مثلما تزول الظِّلالُ
فاعلَمَنْ أنني أخوك أخو الوُ	دّ حياتي حتى تزولَ الجِبالُ
أصبح الدين قد تبدل بالحـ	ـيِّ وُجوهًا كأنها الاقتالُ
غير ما طالبين ذَحلًا ولكن	مَالَ دهر على أناس فمالوا
كل شيء يحتال فيه رجالٌ	غير أنْ ليسَ في المنايا احتِيالُ[1]

١٧ ـ ذكر مقدم سعيد بن العاص الكوفة:

عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا: قدم سعيد بن العاص الكوفة في سنة سبع من إمارة عثمان (رض)، وكان عمومته ذوي بلاء في الإسلام وسابقة حسنة وقُدمة مع النبيّ ﷺ، ولم يمت عمر (رض) حتى كان سعيدٌ من رجال الناس، فقدم سعيد الكوفة في إمارة عثمان (رض) أميرًا، وخرج معه من مكة أو المدينة الأشتر وأبو خيثمة الغِفاري وجُندبُ بن عبد الله وابن مصعب بن جثّامة، وكانوا فيمن شخص مع الوليد، يعينون عليه، فرجعوا مع هذا، فصعد سعيد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: والله لقد بُعِثْتُ وإني لكاره، ولكنني لم أجد بدًا إذْ أُمرتُ أن أئتمر. ألا إنّ الفتنة قد أطلعتْ خَطْمها وعَيْنيها، ووالله لأضربنّ وجهها حتى أقمعها أو تعييني، وإني لرائد نفسي اليوم. ونزل فسأل عن أهل الكوفة فأقيم على حال أهلها، فكتب إلى عثمان (رض) بالذي انتهى إليه أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهلُ الشرف فيهم والبيوتات والسابقة والقُدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت، فلووا حق طاعتنا، حتى ما يُنظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها. فكتب إليه عثمان (رض): أما بعد، ففضِّل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعًا لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق، وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعًا بقِسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل. فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية فقال: أنتم وجوه مَن وراءكم، والوجه ينبىء عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة، وخلة ذي الخلة. وأدخل معه من يحتمل ذلك من اللواحق والروادف، وخلص بالقراء والمتسمتين في سمره، فكأنما كانت الكوفة يبيسًا شملته نار، فانقطع إلى أولئك الضرب ضربهم، وفشت القالة والإذاعة، وكتب سعيد إلى عثمان (رض) بذلك، فنادى منادي عثمان (رض):

---

(١) أورد الأصفهاني في هذه الأبيات في الأغاني (٥/ ١٢٢).

الصلاة جامعة. فاجتمعوا فأخبرهم بالذي كتب إلى سعيد وبالذي كتب به إليه فيهم وبالذي جاءه من القالة والإذاعة فقالوا: أصبت، فلا تُسعفهم في ذلك، ولا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها. فقال عثمان (رض): يا أهلَ المدينة استعدوا واستمسكوا، فقد دبّت إليكم الفتن. ونزل فأوى إلى منزله، وتمثل مثله ومثل هذا الضرب الذين أسرعوا في الخلاف:

أبني عُبيد قد أتى أشياعَكم ... عنكم مقالتُكم وقولُ الشاعر
فإذا أتتكم هذه فتلبّسوا ... إنّ الرماحَ بصيرةٌ بالحاسر[1]

وعن سعيد بن عبد الله الجمحي عن عبيد الله بن عمر (رض) عنهما [قال: سمعته] وهو يقول لأبي: إن عثمان (رض) جمع أهل المدينة، فقال: يا أهل المدينة، إن الناس يتمخضون بالفتنة، وإني والله لا يخلص بكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي مَن شهد مع أهل العراق الفتوح فيه، فيقيم معه في بلاده مقام أولئك، فقالوا: فكيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرض يا أمير المؤمنين؟ فقال: نبيعها من شاء بما كان له بالحجاز، ففرحوا، وفتح الله عليهم به أمرًا لم يكن في حسابهم، فافترقوا وقد فرجها الله عنهم به. وكان طلحة بن عبد الله قد استجمع عامة سُهمان خيبر إلى ما كان له سوى ذلك، فاشترى طلحة منه من نصيب من شهد القادسية والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النشاسْتج بما كان له بخيبر وغيرها من تلك الأموال، واشترى منه ببئر أريس شيئًا كان لعثمان (رض) بالعراق، واشترى منه مروان بن الحكم بمال كان أعطاه إياه عثمان نهرَ مروان، وهو يومئذ أجمة، واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة العرب، منهم من أهل مكة والمدينة والطائف وحضرموت فكان مما اشترى منه الأشعث بن قيس بمال له في حضرموت ما كان له في طيزناباذ[2]. وكتب عثمان (رض) إلى أهل الآفاق في ذلك وبعدّة جُربان الفيء. والفيء الذي يتداعاه أهل الأمصار فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصر ومن تابعهم من أهل بلادهم فجلا عنه، فأتاهم شيء عرفوه، وأَخَذَ بقدر عِدّة من شهِدَها من أهل المدينة وبقدر نصيبهم، وأنه والمسلمون من أهل المدينة شركاؤكم في ذلك الفيء، قد راضوهم، ذلك إليهم،

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٢) بطوله من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.
(٢) موضع بين القادسية والكوفة يكثر فيه الشجر والكرم.

فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضرموت، يُرد على أهلها الذين شهدوا الفتوح من أهل المدينة(١).

وعن محمد وطلحة مثل ذلك، إلا أنهما قالا: اشترى هذا الضرب رجالٌ من كل قبيلة ممن كان له هنالك شيء فأراد أن يستبدل به مما يليه، وأخذوا وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق. إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قُدمة لا يبلغون مبلغَ أهل السابقة والقُدمة في المجالس والحظوة والرئاسة ثم كانوا يعيبون التفضيل ويجعلونه جَفوةً، وهم في ذلك يحتجُّون به، ولا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئٍ أو أعرابيٍّ أو محرَّرٍ استحلى كلامهم، فكانوا في زيادة والناس في نقصان، حتى غلب الشر(٢).

١٨ ـ ذكر حديث المصاحف وتحريقها:

وفي سنة ثلاثين سار حُذيفة إلى غزو الباب، فلما رجع قال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في سفري هذا أمرًا عجبًا، ولئن تُرك الناسُ ليختلفُنَّ في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبدًا. قال: وما ذاك؟ قال: رأيت ناسًا من أهل حمص يقولون: قراءتهم خير من قراءة غيرهم، لأنهم أخذوها عن المقداد، وأهلُ دمشق يقولون مثل ذلك، وأهل الكوفة يقولون مثل ذلك، لأنهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على أبي موسى، ويسمون مصحفَه لبابَ القلوب. ووافق حذيفة أصحابُ رسول الله ﷺ وكثيرٌ من التابعين وخالفه أصحاب ابن مسعود، وجرى بين حُذيفة وابن مسعود وأصحابه منافرة، فسار حذيفةُ إلى عثمان (رض) وأخبره بذلك، وقال: أنا النذير العُريان، فجمع عثمان (رض) الصحابة (رض) عنهم واستشارهم، فرأوا مثلَ ما رأى حذيفة. فأرسل عثمان (رض) إلى حفصة بنت عمر (رض) عنهما لترسل إليه بالصحف ينسخها. وكان أبو بكر (رض) قد جمعها لما كثَر القتل في المسلمين يوم اليمامة، فأرسلتها إليه. فأمر عثمان (رض) زيدَ بن ثابت وابنَ الزبير وسعيدَ بن العاص وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام (رض) عنهم فنسخوها، وقال لهم: إذا اختلفتم في حرف، فاكتبوه بلغة قريش، ففعلوا. فأرسل إلى كل مِصْرٍ

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٣ ـ ٦١٤) من طريق سيف عن سعيد بن عبد الله الجمحي... به.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.

مُصحفًا، وحرق ما سوى ذلك. فشكر الناسُ هذا الفعلَ إلا أصحابُ ابن مسعود ومَن وافقهم.

ولما قَدِمَ عليّ (رض) الكوفة قام إليه رجل وعاب عثمانَ (رض) بجمع وأن يجعله الناسُ عضِين، وليس بهم أنت ولا أمثالك. فقام ابن مسعود (رض) يوم خطبته فخطب وحذّر المسلمين وقال: إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا ولكن ينزعه بذهاب العلماء، وإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، فجامعوهم على ما اجتمعوا عليه، فإن الحق فيما اجتمعوا عليه. فوالله ما تابعه أصحابه ولكن استعربوا. فكتب ابن مسعود بذلك إلى عثمان (رض) عنهما، واستأذنه في الرجوع إلى المدينة، وأعلمه أنه يكره المقام بالكوفة لما يخاف أن يحدث فيها بعد من فُشوٍّ الأنباء والإذاعة والتكلف، ويأبى عثمان (رض) أن يأذن له، حتى أذن له قبل موته بأشهر لإكثاره عليه.

وكتب عثمان (رض) إلى الأمراء: أما بعد، فإن الرعية قد طغت في الانتشار ونزعت إلى الشرّه، وأعداها على ذلك ثلاث: دنيا مُؤثِرة، وأهواء مسرعة، وظغائن محمولة، ويوشك أن تنفر فَتُغير، فلا تجعلوا لأحدٍ عَلّة. كُفُّوا عنهم ما لم يُحرِّفوا دينًا، وخذوا العفو من أخلاقهم وأجْمِلوا لهم، ودينُ الله لا تركبنّه.

وكتب أيضًا للعمال: استعينوا على الناس في كل ما ينوبُكم بالصبر والصلاة، وأمر الله أقيموه، ولا تُدْهِنوا فيه، وإيّاكم والعَجَلة فيما سوى ذلك، وارضَوْا من الشر بأيسره، فإن قليل الشر كثير. واعلموا أن الذي ألّفَ بين القُلوب هو الذي يفرِّقُها ويباعِدُ بعضَها من بعض. سيروا سيرةَ قومٍ يريدون الله، لئلا يكونَ لهم على اللهِ حُجّة.

وكتب أيضًا: إن الله ألّفَ بين قلوب المسلمين على طاعته، وقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣]. وهو مفرقها على معصيته، فلا تعجَلوا على أحد بحدٍّ قبل استيجابه، فإن الله جلّ ثناؤه يقول: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣﴾ [الغاشية: الآيتان ٢٢، ٢٣]. من كفر داويناه بدوائه، ومن تولى عن الجماعة أنصَفناه، وأعطيناه حتى نقطع حجتَه وعذرَه إن شاء الله.

وعن محمد وطلحة قالا: قام عثمان (رض) بالمدينة فقال: إنّ الناس يبلغني عنهم هَناةٌ وهناة، وإني والله لا أكون أول من فتحَ بابها، ولا أدار رحاها. ألا وإني زامٌّ نفسي بزمام، ومُلجِمها بلِجام فأقودها بزمامها وأكعمها بلجامها، ومناولكم طرف

الحبل، فمن اتبعني حملته على الأمر الذي يُعرَف، ومن لم يتبعني ففي الله خلفٌ منه وعزاء عنه. ألا وإن لكل نفس يومَ القيامة سائقًا وشهيدًا، سائقًا يسوقها على أمر الله وشاهدًا يشهد عليها، فمن كان يريد الله بشيء فليُبْشِر، ومن كان إنما يريد الدنيا فقد خسر(١).

وعن محمد وطلحة قالا: كتب عثمان (رض) إلى الناس: اكتفوا بالله مَن كل أحد، واستعينوا بالله على الناس، فإن الله يجمع من شاء، ويُفرّق من شاء، لا جامع لما فرّق ولا مفرّق لما جمع. أعدوا [له](٢) الطاعة والعملَ الصالح، وقولوا: حسبنا الله ونعمَ الوكيل(٣).

١٩ ـ ذكر سقوط الخاتم في بئر أريس:

وفي سنة ثلاثين وقع خاتم النبيّ ﷺ من يد عثمان (رض) في بئر أريس، وهي على ميلين من المدينة، وكانت قليلة الماء، فما أُدرك قعرُها بعد ذلك. وكان رسول الله ﷺ اتخذه يختِمُ به الكتب، وكان من فضة، نقشه: محمد رسول الله، ثلاثة أسطر، فتختَم به عمر حتى توفي. ثم تختّم به أبو بكر حتى توفي، ثم تختّم به عمر حتى توفي، ثم تختّم به عثمان ست سنين، فحفروا بئرًا بالمدينة للمسلمين، وهي بئر أريس، فقعد عثمان (رض) على رأسها، وجعل يعبث بالخاتم، فسقط من يده، وطلبوه ونزحوا ماءها فلم يقدروا عليه. فاغتمّ عثمان (رض) لذلك، ثم صنع خاتمًا على شكله، فبقي في إصبعه المصاحف، وعزله ابن مسعود (رض)، فصاح به عليٌّ (رض) قال: عن مَلأٍ منا فعل ذلك، ولو وليت ما وَلِيَ عثمان لسلكت سبيله.

وروى سيف بإسناده عن سُوَيد بن غَفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: أيها الناس! الله الله، إياكم والغلو في عثمان وقولكم: حَرَّاق المصاحف، فوالله ما أحرقَها إلا عن ملأٍ منا أصحاب محمد ﷺ، جمعنا فقال: ما تقولون في هذه القراءة التي قد اختلف فيها الناس، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضلُ من قراءتك، وهذا شبيه بالكفر، فقلنا: ما الرأي يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: أرى أن أجمع الناسَ على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان مَنْ بعدَكم أشدَّ اختلافًا. فقلنا: فنعمَ ما رأيت، فأرسل إلى زيد بن ثابت

(١) رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/٢٤٧) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.
(٢) ما بين [ ] زيادة ليستقيم السياق. (٣) لم نقف عليه.

وسعيد بن العاص، فقال: يكتب أحدكما ويملي الآخر، فإذا اختلفتُما في شيء فارفعاه إليّ، فكتب أحدهما وأَمَلّ الآخر، فما اختلفا في شيء من كتاب الله إلا في سورة البقرة، فقال أحدهما: التابوه بالهاء، وقال الآخر: التابوت بالتاء، فرفعاه إلى عثمان (رض)، فقال: التابوت. قال: قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: والله لو وَليتُ مثلَ الذي وَليَ لصنعتُ مثلَ الذي صنع. قال: فقال القومُ لسُوَيْد: اللهِ الذي لا إلـه إلا هو لسمعتَ هذا من علي؟ قال: اللهِ الذي لا إلـه إلا هو لسمعتُ هذا من علي (رض)[1].

وعن محمد وطلحة قالا: بلغ عثمانَ (رض) شدةُ ذلك على عبد الله، فكتب إليه أن الذي أتاك من قِبَلي ليس برأي ابتدعْته ولا حدث أحدثْتُه، ولكن هذا القرآن واحدٌ جاء من عند واحد، وهؤلاء قُرّاءُ القرآن عن النبيّ ﷺ وأهل دار الهجرة من المهاجرين والأنصار، وصالحو الأمصار قد رهصوا فيه، وقاموا به في كل أفق، وخافوا أن يُلْبَسَ من بعدهم، حتى هلك[2].

وفيها زادَ عثمان (رض) النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء لما كثر الناس.

٢٠ ـ ذكر تحرّك جماعة في شأن عثمان (رض):

وفي سنة ثلاث وثلاثين تحرك جماعة في شأن عثمان (رض) ونقموا عليه أشياء منها: ولاية سعيد بن العاص على الكوفة وعزل الوليد، وولاية ابن عامر البصرة وعزل أبي موسى، وإتمام الصلاة بمنى، وولاية ابن أبي سرح، في أشياء كثيرة. وكانوا جماعةً منهم مالك الأشتر والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس وصعصعة وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسُودان بن حمران، وكان قد تزوج امرأة في عدتها فضربه عثمان (رض) وفرّق بينهما، وعُمير بن ضابىء والكُمَيْل بن زياد، فتكاتبوا في الخروج عليه، وأرسلوا إليه في ذلك. فأرسل عثمان (رض) إلى عمّاله، فجمعهم واستشارهم، فاختلفت أقوالهم. وتكاتب نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم أن اقدموا، فإن الجهاد عندنا. ونال الناس من عثمان (رض)، وليس أحد ينهى عن ذلك ولا يذب إلا نفرٌ منهم زيد بن ثابت وأبو أُسَيْد الساعديّ وحسّانُ بن ثابت وكعب بن مالك، واجتمع الناس وكلموا عليًا (رض)، فدخل على عثمان

---

(١) أخرج طرفه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢٤٥) من طريق العيزار بن جرول قال: سمعت سويد بن غفلة قال... فذكره.

(٢) رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٢٤٦).

(رض)، فقال له: إنّ الناس ورائي وقد كلّموني فيك، ووعظه وخوّفه وحذّره، وذكر له ولاية من ولاه مثل معاوية وابن أبي سرح وابن عامر وسعيد بن العاص وغيرهم، ثم خرج من عنده بعد محاورةٍ طويلة. ثم خرج عثمان (رض) فخطب الناس ووعظهم واعتذر إليهم، فقام مروان فقال: إن شئتم والله حكّمنا بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبَت بكم معارسكم تبنون في دِمَنِ الثرى

فقال له عثمان (رض): اسكت، لا سُكِّتَّ، ودعني وأصحابي. فسكت مروان ونزل عثمان (رض) ومضى. وتكاتبوا للاجتماع لمناظرته فيما نقموا عليه.

٢١ ـ ذكر خبر عبد الله بن سبأ وأصحابه:

وعن عطية عن يزيد الفقعسي قال: أسلم عبد الله بن سبأ، وهو ابن السوداء، في إمارة عثمان (رض) في ست سنين الباقية. وكان يهوديًا فتشاءم به أهل الحرمين، فلم يقدر على كيدهم، فأتى البصرة فنزل في عبد القيس. فانقطع إليه قوم ممن كان اعتزل سعيدًا، وأتاهم الأشتر وأبو زينب وأبو مورّع وتلك الطبقة. فبعث إليه سعيد، فقال: ما هذا الذي يبلغني أنك تحدِثُ؟ وقرأ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسرَاء: الآية ٤] فقال: نعم أعلم بحديث بني إسرائيل منكم، فقال أولئك: صدق، فقال سعيد: كذَبَ وكذبتم، أما والله لولا أُمِرتُ أن أكفكم لوجدتموني مرًا، وأخرجه ومالأه على ذلك الناس. فخرج نحو الشام، فلم يقدر على ما يريد فيها، فجاز إلى مصر، فكثُر أصحابُه فيها، وكاتب إخوانَه من أهل الأمصار، ومدّ لهم في غَيِّهم. فهو أولُ من بثّ دُعاة في الناس يدعون إلى الخروج[1].

وعن محمد وطلحة قالا: كان سعيد بن العاص لا تغشاه إلا نازِلةُ أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقرّاء أهل المصر والمتسمتون فكان هؤلاء دَخْلته إذا خلا، وأمّا إذا جلسَ للناس فإنه يدخل عليه كل أحد. فجلس للناس يومًا، فدخلوا عليه. فبينما هم جلوس يتحدثون قال خنيس الأسدي: ما أجودَ طلحةَ بن عُبيد الله! فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النشاسْتج لحقيق أن يكون جوادًا، والله لو أن لي مثله لأعاشَكم الله عيشًا رغدًا. فقال عبدُ الرحمٰن بن خُنيس وهو حَدثٌ: لوددتُ

(١) لم نجد هذا الخبر عند غير المصنّف.

أن هذا المِلطاط لك يعني ما كان لأهل كِسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة فقالوا: فضّ الله فاك، والله لقد هممنا بك، فقال خنيس: غلام فلا تُجاوزه. فقالوا: أتتمنى له من سوادنا؟ قال: ويتمنى لكم أضعافَه، فقالوا: لا تتمنّ لنا ولا له، قال: ما هذا بكم، قال: أنت والله أمرته بهذا. فثار إليه الأشتر وابن ذي الحُبْكة وجُندُب وصعصعة وابنُ الكوّاء وكُمَيْل وعُمير بن ضابىء، فأخذوه. فذهب أبوه ليمنعهم فأخذوه حتى غُشي عليهما، وجعل سعيدٌ يناشدهم ويأبون، حتى قضوا منهما وَطرًا. وسمعت بذلك بنو أسد فجاؤوا وفيهم طُليحة، فأحاطوا بالقصر. وركبت القبائل فعاذوا بسعيد، وقالوا: أقِلنا وخلِّصنا. فخرج سعيد في الناس، قال: يا أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاوَوا، وقد رزق الله العافية، وقعدوا وعادوا في حديثهم وتراجعوا فسكّنهم وردهم، وأفاق الرجلان، فقال: أبكما حياة؟ قالا: قتلَتْنا غاشِيتك، قال: لا يغشَوْني والله أبدًا، فاحفظا عليّ ألسنتكما، ولا تجترئا على الناس، ففعلا. ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم، وأقبلوا على الإذاعة والضيعة حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم، فقال: هذا أميرُكم قد نهاني أن أُحرّك شيئًا، فمن أراد منكم أن يحرّك شيئًا فليحركه. فكتب أشرافُ الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان (رض) في إخراجهم. فكتب عثمان رضي الله عنه: إذا اجتمع مَلَؤكم على ذلك فألحِقوهم بمعاوية. فأخرجوهم، فذَلوا وانقادوا حتى أتوا وهم بضعة عشر. وكتبوا إلى عثمان (رض) بذلك، فكتب إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خُلِقوا للفتنة، فَرُعْهُم وقم عليهم، فإن آنستَ منهم رشَدًا فاقبل منهم، وإن أعْيوْك فاردُدهم عليهم.

فلما قدموا على معاوية الشامَ رحّبَ بهم وأنزلهم كنيسة تسمى بمريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان (رض) ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل يتغدى ويتعشى معهم، فقال لهم يومًا: إنكم قوم من العرب، ولكم أسنان وألسِنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفًا، وغلبتم الأمم، وحويتم مواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشًا، وإن قريشًا لو لم تكن لعُدتُم أذِلة كما كنتم. إن أئمتكم لكم اليوم جُنّة، فلا تشذّوا عن جُنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتملون منكم المؤونة، والله لتَنْتَهُنّ أو ليَبْتَلِيَنَّكم الله بمن يسومُكم ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم. فقال رجلٌ من القوم: أما ما ذكرتَ من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية، فتخوّفنا بها. وأما ما ذكرت من الجُنّة فإن الجُنّةَ إذا اخترُقت خُلص إلينا، فقال معاوية: قد

عرفتكم الآن وعلمتُ أنَّ الذي أعداكم على هذا قلةُ العقول، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلًا، أُعظِمُ عليك أمرَ الإسلام وأُذكِّرُك به وتذكِّرُني الجاهلية، وقد وعظتك، وتزعم أن ما يجنكم لا ينشب أن يُخترق. أخزى الله قومًا عظّموا أمركم ورفعوه إلى خليفتكم. انتهوا ولا أظنكم تنتهون. إن قريشًا لم تعزَّ في جاهلية ولا إسلام إلا بالله. لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابًا وأمحضهم أنسابًا، وأعظمهم أخطارًا، وأكملهم مروءة. ولم يمتنعوا في الجاهليةِ والناس يأكلُ بعضهم بعضًا إلا بالله الذي لا يُستذلُ من أعز، ولا يوضع من رفع، فبوّأهم حَرَمًا آمِنًا يُتخطّفُ الناس مِن حولهم. هل تعرفون عربًا أو عجمًا أو سودًا أو حمرًا إلا قد أصابه الدهر في حُرْمته وبلده بذلة إلا ما كان من قريش، فإنه لم يُرِدْهُم أحدٌ من الناس بكيد إلا جعل الله خدّه الأسفل حتى أراد الله أن ينقذ من أكرم واتبع دينه من هوان االدنيا وسوء مردِّ الآخرة، فارتضى لذلك خيرَ خلقه، ثم ارتضى له أصحابًا، فكان خيارهم قريش. ثم بنى هذا المُلكَ عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، فلا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يَحوطُهم في الجاهلية وهم على غير دينه. أفترى أنه لا يحوطهم وهم على دينه؟ أُفّ لك وأف لأصحابك، ولو أن متكلمًا غيرَك تكلم له، ولكنك ابتدأت. فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شرُّ قرىً عربية، انْتَنُها نبتًا، وأعمقها وأدواها بالشر وألأمها جيرانًا أنه لم يسكنها شريف ولا وضيع إلا سُبَّ بها وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقابًا وأجلفه اسمًا، وألأمه أصهارًا، نُزّاعَ الأمم، وأنتم جيران النبط وفَعَلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبيّ عليه السلام، ونكبتك دعوته، وأنت نزيع شطير في عُمان، لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبيّ ﷺ، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس وحملك على الأمم التي كانت عليك أقبلت تبتغي دين الله عوجًا وتنزع إلى اللآمة والقلة. ولن يضر ذلك قريشًا ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم. إن الشيطان عنكم غير غافل، وقد عرفكم بالشر من بين أمتكم، فأغرى بكم الناس، وهو مصارعكم، ولقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاءً قضاه الله، ولا أمرًا أراده الله، ولا تدركون بالشر أمرًا أبدًا إلا فتح الله عليك شرًا منه وأخزى. ثم قام وتركهم، فتذامروا، وتقاصرت إليهم أنفسهم[١].

---

(١) أخرج هذا الخبر بطوله: ابن عساكر في التاريخ (٢٤/ ٩٦) من طريق سيف بن عمر عن محمد بن طلحة... به.

ولما كان بعد ذلك أتاهم فقال: إني قد أذنتُ لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا والله لا ينفع الله بكم أحدًا ولا يضره، ولستم برجال منفعة ولا مضرة، ولكنكم رجال نكير وصدّ عن سبيل الله، فإن أردتم النجاة فالزموا الجماعة، وليَسَعْكم ما وسع الناس، ولا يبطرنكم الإبقاء، فإن البطر لا يعتري الخيار. اذهبوا حيث شئتم، فإني كاتبٌ إلى أمير المؤمنين فيكم. ثم كتب إلى عثمان (رض): إنه قد قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله تعالى بشيء، ولا يتكلمون بحجة، أمانيُهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختَبِرُهُم ثم فاضِحُهم ومُخزيهم، وليسوا بالذين يَنْكون أحدًا إلا مع غيرهم، فانْهَ سعيدًا ومن قبله عنهم فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير.

وخرج القوم من دمشق فقالوا: لا ترجعوا إلى الكوفة فإنهم يشمتون بكم وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام. فأووا إلى الجزيرة، وسمع بهم عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد، وكان معاوية قد ولّاه حِمْص، وولّى عامل الجزيرة حرّان والرَّقة، فدعا بهم فقال: يا إخوان الشيطان، لا مرحبًا بكم ولا أهلًا، قد رجع الشيطانُ محسورًا، وأنتم بعد نِشاطٌ، خسّر الله عبدَ الرحمٰن إن لم يؤدبكم حتى يَحسركم يا معشر من لا أدري أعربٌ هم أم عَجَمٌ. ولكن لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية. أنا ابن خالد بن الوليد، وأنا ابن من قد عَجَمَته العاجِمات. أنا ابن فاقىء الرّدة، والله لئن بلغني يا صعصعة بن ذل أن أحدًا ممن معي دقّ أنفك ثم أمصّك لأطيرنّ بك طَيرة بعيدة المهوى. فأقامهم أشهرًا كلما ركب أمشاهم، فإذا مرّ به قال: يا ابن الحطيئة، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما لك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية؟ فيقول ويقولون: نتوبُ إلى الله، أقِلنا أقالك الله، فما زالوا به حتى قال: تاب الله عليكم، وسرّح الأشتر إلى عثمان (رض)، وقال لهم: ما شئتم فافعلوا، إن شئتم فاخرجوا وإن شئتم فأقيموا. وخرج الأشتر فأتى عثمان (رض) بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه، فقال: سلمكم الله. وقدم سعيد بن العاص فقال عثمان (رض) للأشتر: احللْ حيث شئت. فقال: مع عبد الرحمٰن بن خالد وذكر من فضله، فقال: ذلك إليكم، فرجع إلى عبدِ الرحمٰن.

٢٢ ـ ذكر خبر يزيد بن قيس والأشتر:

كان قد وفد سعيد بن العاص على عثمان (رض) سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان (رض). وقبل مخرج سعيدٍ من الكوفة بسنةٍ وبعضِ أخرى بعث الأشعث بن

قيس على أَذَرَبَيجان، وسعيدَ بن قيس على الرَّيّ. وكان يزيد بن قيس على همذان، فعُزل، وجعل عليه النُّسير العجلي، وعلى أصبهان السائبَ بن الأقرع، وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي، وعلى الموصل حكيم بن سلامة الجذامي. وكان جرير بن عبد الله على قرقيسياء، وسلمان بن ربيعة على الباب، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى حلوان عتيبة بن النهّاس. وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوع أو مفتون. فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان (رض)، فدخل المسجد وجلس فيه، وثاب إليه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم، فانقض عليهم القعقاع، فأخذ يزيد بن قيس، فقال: إنما أستعفي من سعيد، فقال: هذا ما لا يُعرض لكم فيه، لا تعرض لهذا ولا يجتمعنَّ إليك، واطلب حاجتك، فلعمري لتعطينها. فرجع إلى بيته واستأجر رجلًا وأعطاه دراهم وبغلًا على أن يأتي المسيَّرين، وكتب إليهم: لا تضعنّ كتابي من أيديكم حتى تجيئوا، فإن أهل المصر قد جامعونا. فانطلق الرجل حتى أتى إليهم، وقد رجع الأشتر، فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما اسمك؟ قال: بعثر. قالوا: ممن؟ قال: من كلب، قالوا: سَبعٌ ذليل، يبعثر النفوس لا حاجة لنا فيك. وخالفهم الأشتر، ورجع عاصيًا، فلما خرج قال له أصحابه: أخرجنا أخرجه الله، لا نجد بدًّا مما صنع، إن علم بنا عبد الرحمٰن لم يصدقنا ولم يستقلنا، فاتبعوه فلم يلحقوه. وبلغ عبد الرحمٰن أنهم قد أخلَوْا فطلبهم إلى السواد، فسار الأشتر سبعًا والقوم عشرًا، فلم يفجأ الناس في يوم جمعة إلا والأشترُ على باب المسجد يقول: أيها الناس، قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيدًا يريدُه على نقصان نسائكم إلى مائة درهم، ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين، ويقول: ما بال أشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العِدلين، ويزعم أن فيئكم بستانٌ لقريش، فقد سايرته مرحلة، فما زال يرتجز بذلك حتى فارقته، يقول:

ويـلٌ لأشـرافِ الـنـسـاء مـنـي   صـمـحْـمَـحٌ كـأنـنـي مـن جِـنّ

فاستخفَّ الناس، وجعل أهل الحجى ينهونهم فلا يُسمع منهم.

وخرج يزيد فأمر مناديًا فنادى: من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لردّ سعيد وطلب أمير غيره فليفعل. وبقي حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم في المسجد، وذهب من سواهم. وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا، بعد أن كنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها، فلا تعودوا في شر قد استنقذكم الله منه. أبعد الإسلام وهديه لا تعرفون حقًّا ولا تصيبون بابه؟ فقال

القعقاع بن عمرو: أتردُّ السيل عن عبابه، فاردد الفرات عن أدراجه. هيهات والله لا يسكِّن الغوغاءَ إلا المشرفية، ويوشك أن تنتضي، ويعجون عجيج القِعدان، ويتمنون ما هم فيه اليوم، فلا يردُّه الله عليهم أبدًا فاصبر، فقال: أصبرُ. وتحول إلى منزله.

وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعة ومعه الأشتر. وقد كان سعيد تلبّثَ في الطريق. وطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون، فقالوا: لا حاجة لنا بك، فقال: أما اختلفتم إلا بي؟ إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلًا، أو تضعوا له رجلًا، وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل؟ وانصرف عنهم، فقال مولى له: والله ما كان ينبغي أن يرجع، فضرب الأشتر عنقه. ومضى سعيد فقدم على عثمان (رض) فأخبره الخبر، فقال: ما يريدون، اخلعوا يدًا من طاعة؟ قال: أظهروا أنهم يريدون البدَل، قال: فمن يريدون؟ قال: أبا موسى. قال: أثبتنا أبا موسى عليهم، والله لا نجعل لأحدٍ عذرًا ولا نترك لهم حجة، ولنصبرنَّ كما أُمِرنا حتى يبلغ الله ما يريد.

ورجع مَن قَرُب عمله من الكوفة، ورجع جرير من قرقيسياء، وعتيبة من حلوان. وقام أبو موسى فتكلم بالكوفة وقال: يا أيها الناس، لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله، والزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والعجلة، اصبروا فكأنكم بأمير. قالوا: فصلِّ بنا، قال: لا إلا على السمع والطاعة لعثمان (رض). قالوا: على السمع والطاعة لعثمان (رض).

وعن يحيىٰ بن مسلم عن عبد الله بن عمير الأشجعيّ أنه قام في المسجد في الفتنة، فقال: أيها الناس، اسكتوا، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من خرج وعلى الناس إمام جامع، والله ما قال عادلٌ، ليشتقّ عصاهم ويفرّق جماعتهم، فاقتلوه كائنًا مَن كان[1].

وعن عبد الله بن عمير قال: قام جرير بالكوفة فقال: يا أهل الكوفة، أما إذ فعلتم ما فعلتم فاصبروا واطمئنوا، فإني لا آلوكم نصحًا. إني جئت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: ابسط يد لا أبايعك، فقال: على أيّ شيء؟ فقلت: على الإسلام وعلى النصح لكل مسلم، فوالله ما آلوتكم نصحًا، فاصبروا واطمئنوا، إنه يوشك أن يأتيكم أمير[2].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٤٤) من طريق سيف بن عمر عن يحيىٰ بن مسلم... به.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٧٥)، وابن حبان (١٠/ ٤١٢)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٢٣)، =

وعن المجالد بن سعيد عن أبي السفر عن رجل من قيس عيلان قال: لما خرج الناس إلى عثمان (رض)، أخذنا نتجهز، فقال لنا حذيفة: ما تريدون؟ قلنا: نريد أن نخرج مع الناس، قال: إن أول مَن يُذل السلطانَ لا يقوم له يوم القيامة عند الله وزن، وما مشى قوم ولا ساروا مسيرًا ليُذِلوا سلطانًا إلا أذلهم الله، فما خرج منا رجل[١].

٢٣ ـ ذكر عزل سعيد بن العاص عن الكوفة وولاية أبي موسى الأشعري:

عن محمد وطلحة قالا: لما استغوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص خرج منه ذكرٌ لعثمان (رض)، فأقبل عليه القعقاع بن عمرو فأخذه فقال: ما تريد؟ ألك علينا في أن نستعفيَ سبيل؟ قال: فهل إلا ذاك؟ قال: لا، قال: فاستعف ما شئت. واستجلبَ يزيد أصحابَه من حيث كانوا فردوا سعيدًا وطلبوا أبا موسى، فكتب إليهم عثمان (رض): أما بعد، فقد أمَّرتُ عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشنّكم عِرضي ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي، فانظروا لا تدعوا شيئًا مما أحببتموه لا يُعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئًا مما كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزِلُ فيه عندما أحببتم، حتى لا تكون لكم على الله حجة. وكتب بمثل ذلك في الأمصار، فقدمت إمارة أبي موسى وغزو حُذيفة نحو الباب، فتأمّر أبو موسى ورجع العمال إلى أعمالهم، ومضى حذيفة إلى الباب[٢].

٢٤ ـ ذكر خروج ابن مسعود رضي الله عنه من الكوفة:

وكتب عثمان (رض) إلى ابن مسعود (رض) فأذن له في الخروج، فخرج لستة أشهر بقيت من إمارة عثمان (رض)، وكان عبد الله يستعفيه، أيام قدم سعيد إلى أن أذن له، فلا يأذن له. وكان عبد الله قد كره المقام بالكوفة للذي رأى من تمرُّدِ الناس واختلافهم. وكان عثمان (رض) قد عزله عن بيت المال، وجعل عليه عقبة فلم يكن في عمل ولم يوله مقامًا.

= وأحمد (٤/٣٢٧)، وعبد الرزاق (٦/٤) وأبو يعلى (١٣/ ٤٩٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٢٤) جميعهم من طرق عن جرير ورووا منه المبايعة على الإسلام والنصح لكل مسلم. ولم نقف عليه بهذا اللفظ الذي أورده المصنّف.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنّف (١١/ ٣٤٤) من طريق آخر عن معمر عن أبي إسحٰق عن زيد بن أثيع عن حذيفة... به. والبزار في مسنده (٧/٢٦٦) من طريق كثير بن أبي كثير عن ربعي عن حذيفة... بنحوه. وأخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢/ ٣٨٧) من طريق عيسى بن يونس عن مجالد بن أبي السفر... به. وهذا الطريق هو الذي أورده المصنّف.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٤٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.

وعن عطية عن أبي سيف قال: كان ابن مسعود (رض) قد ترك عطاءه حين مات عمر (رض)، ففعل ذلك رجال من أهل الكوفة أغنياء، واتخذ ضيعة بزاذان، فمات عن تسعين ألف مثقال سوى رقيق وعروض وماشية بالسيليحين. فلما رأى الشر ودنُوَّ الفتنة استأذن عثمانَ (رض)، فلم يأذن له إلا قرب موته، فقدم على عثمان (رض)، فلم يلبث أن مات وبينهما أشهر.

وعن زيد بن وهب قال: لما خرج ابن مسعود (رض)، قالوا: لا تخرج من بين أظهرنا، فقال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يأرِز الإسلام إلى المدينة، سأترككم والفتنة، وأرزُ إلى بلدي ومعي ديني[(١)].

٢٥ ـ ذكر خبر كعب بن ذي الحبكة وضابىء بن الحارث:

عن محمد وطلحة قالا: بلغ عثمان (رض) أن ابن ذي الحبكة النّهدي يعالج نِيرَنجًا، فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقرّ به أوجَعه، فدعا به فسأله، فقال: إنما هو رِفق وأمر يعجب منه، فأمر به فعُزِّر، وأخبره الناس خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان (رض): إنه قد جُدَّ بكم فعليكم بالجِد، وإياكم والهزل. فكان الناس عليه، وتعجبوا من وقوع عثمان (رض) على مثل خبره. فغضب ونفر في الذين نفروا، وضرب معهم. فكتب فيه إلى عثمان (رض). فلما سُيِّر إلى الشام من سُير، سُير كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبد الله، وكان ذنبه كذنبه، إلى دُنباوَند لأنها أرض شجِرة، فقال في ذلك كعبُ بن ذي الحبكة للوليد:

لعَمْري لئن أطردْتني ما إلى التي	طمِعْتَ بها من سقْطتي لسبيلُ
رجوتَ رجوعي يا ابن أروي ورجْعتي	إلى الحق رهوًا غالَ حلمَك غولُ
وإن اغترابي في البلاد وجفوتي	وشتميَ في ذاتِ الإلـٰه قليلُ
وإنّ دعائي كلّ يوم وليلة	عليك بِدُنباوندكم لطويلُ

فلما ولي سعيد أقفله وأحسَنَ إليه واستصلحه، فكفره ولم يزددْ إلا فسادًا. واستعار ضابىءُ بن الحارث البُرْجميّ والد عُمير في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلبًا يدعي قُرحان يصيد الظباء، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون واستعانوا عليه بقومه فكاثروه فانتزعوه منه وردوه على الأنصاري، فهجاهم فقال

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وله شاهد في الصحيح أخرجه مسلم (١/ ١٢١) من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها».

في ذلك:

تجشَّمَ دوني وفدُ قرحان خُطَّةً تَضِلُّ لها الوجناء وهي حسير
فباتوا شِباعًا ناعمين كأنما حَباهم ببيت المَرزُبان أمير
فكلبكمُ لا تتركوه وأمكم فإنَّ عقوقَ الأمهاتِ كبيرُ

فاستعدَوا عثمان (رض)، فأرسل إليه فعزّره وحبسه، كما يصنع بالمسلمين، فاستثقل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه. وقال في الفَتك معتذرًا إلى أصحابه:

هممت ولم أفعلْ وَكِدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائلُه
وقائلةٍ قد ماتَ في السجن ضابىءٌ ألا مَنْ لِخصمٍ لم يجد من يُجادله[1]

فكذلك صار عمير بن ضابىء سبئيًا. والسبئية قوم يسبون عثمان (رض)، ويُنسَبون إلى عبد الله بن سبأ.

٢٦ ـ ذكر خبر الكُمَيل بن زياد وعُمَير بن ضابىء:

عن المستنير عن أخيه قال: لا والله ما سمعت ولا علمت بأحد غزا عثمان (رض) ولا ركب إليه إلا قتِل. لقد اجتمع بالكوفة نفر، فيهم الأشتر وزيد بن صُوحان وصعصعة وكعب بن ذي الحبكة وأبو زينب وأبو مُوَرِّع وكُمَيل بن زياد وعُمَير بن ضابىء، فقالوا: والله لا يرفع بنا رأس ما دام عثمان على الناس. فقال عُمَيرُ بن ضابىء وكُمَيل بن زياد: نحن نقتله. فركبا إلى المدينة، فأما عمَير فإنه نكل عنه، وأما كُمَيل بن زياد فإنه جسر وثاوره وكان جالسًا يرصده، حتى أتى عليه عثمانُ (رض) فوجأ عثمانُ (رض) وجهه، فوقع على استه، فقال: أوجعتني يا أمير المؤمنين، قال: أو لست بفاتك؟ قال: لا، قال: بالله الذي لا إلـٰه إلا هو؟ فحلف وقد اجتمع عليه الناس، فقالوا: نفتشه يا أمير المؤمنين، قال: لا، قد رزق الله العافية ولا أشتهي أن أطلع منه على غير ما قال. وقال: إن كان كما قلتَ يا كميل فاقتد مني وجثا، فوالله ما حسبتك ألا تريدني، وقال: إن كنت صادقًا فآجرك الله، وإن كنت كاذبًا فأقادك الله، وقعد له على قدميه وقال: دونك، فقال: قد تركت فبقيا حتى أكثر الناس في نجائهما حتى قدم الحجاج العراق، فقال: من كان من بعث المهلّب فليواف مكتبه،

---

(١) رواه الطبري بطوله في التاريخ (٢/ ٦٨٢) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به. والأبيات تنظر من الخبر أيضًا مع اختلاف يسير.

ولا يجعل على نفسه سبيلًا. فقام إليه عمير، فقال: إني شيخ ضعيف ولي ابنان قويان فأخرج أحدهما مكاني أو كليهما، فقال: مَن أنت؟ فقال: أنا عُمير بن ضابىء، فقال: والله لقد عَصيت الله منذ أربعين سنة ووالله لأنكلنَّ بك المسلمين. غضبت لسارق الكلب ظالمًا، إن أباك إذ غُلّ لَهَمّ، وإنك هممت ونكلت، وإني أهمُّ ثم لا أنكل، ثم أمر به فضربت عنقه[١].

قال سيف بن عمر التميمي: وحدّثنا رجل من بني أسد قال من حديثه: إنه كان غزا عثمانَ رضي الله عنه فيمن غزاه، فلما قدم الحجاج ونادى بما نادى به دخل عليه فعرَض عليه ما عَرَض، فقبل منه. فلما ولَّى قال أسماءُ بن خارجة: لقد كان شأنُ عمير مما يهمني، فقال: ومن عمير؟ فقال: هذا الشيخ، فقال الحجاج: ذكّرتني الطعن وكنت ناسيًا، أليس فيمن خرج إلى عثمان؟ قال: بلى، قال: فهل بالكوفة أحدٌ غيره؟ قال: نعم، كمَيْل، قال: عَليَّ بعمير، فضرب عُنقه، ودعا بكميل، فهرب، فأخذ النخعَ به، فقال الأسودُ بن الهيثم: ما تريد من شيخ قد كفاكهُ الكِبَر؟ قال: أما والله لتحبسنَّ عني [لسانك] أو لأجْتَثنَّ رأسكَ بالسيف، فقال: افعل. فلما رأى كميل ما لقي قومُه وهم ألفا مقاتل، قال: الموت خير من الخوف، إذا أُخيف ألفان في سببي وحرموا. فخرج حتى أتى الحجاج، فقال له الحجاج: أنت الذي أردتَ ما أردت ثم لم يكشفكَ أمير المؤمنين، ثم لم ترضَ حتى أقعدته للقصاص، إذْ دفعكَ عن نفسه، قال: على أي ذلك تقتُلني؟ على عفوه أم على عافيتي؟ قال: يا أدهم بن مُحرز، اقتله؟ قال: والأجر بيني وبينك، قال: نعم، قال أدهم: لا، بل الأجرُ لك وما كان من إثمٍ فعليَّ، ثم ضرب عنقه. فقال مالك بن عبد الله وكان من المسيرين وكان سبئيًا:

مَضَتْ لابن أروى في كُميلٍ ظُلامةٌ	عفاها له والمُستقيدُ يُلامُ
وقال له: لا أفتحُ اليومَ مُثلةً	عليكَ أبا عمرو وأنت إمامُ
ووجئك رأسي والذي نسكتُ له	قريشٌ بأعلى المكّتين حرامُ
وللعفوِ أمنٌ يعرفُ الناسُ فضله	وليس علينا في القِصاصِ أثامُ
ولو عَلِم الفاروق ما أنت صانِعٌ	نهى عنك نهيًا ليسَ فيه كلامُ

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٨٢) من طريق سيف عن المستنير... به.

فأجابه سهم بن طريف:

كذبتَ ولكن حاول المرءُ غيلةً — وفي ذلكم عند الإلـه غَرامُ
ولو علم المظلوم عِلمك كله — سما لك أمرٌ ليس فيه مرامُ
وذنبك عمدا والذي نسكَت له — قريشٌ بأعلى المكّتين حرامُ
لقتلك خيرَ الناس عن رأي قصة — هَتكتْ وفيما قد أردتَ زِحام
وفي كل يوم للحُبارى خطّية — تدِبُّ، بها يُقضى ونحن نِيامُ
ولو علم المظلوم ما أنت مصبىء — عليه لكانت في السنينُ عقامُ[1]

٢٧ ـ ذكرُ حكيم بن جَبَلة وحُمرانَ بنِ أبان:

عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لما مضى من إمارة عامرٍ على البصرة ثلاثُ سنين بلغه أن في عبد القيس رجلًا نازلًا على حُكيم بن جبلة، وكان حكيم رجلًا لصًا، إذا قفل الجيوش خنس عنهم، يسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة، ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض، ويُصيبُ ما شاءَ ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان رضي الله عنه، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله، فلا يخرُجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رُشدًا، فحبسه، فكان لا يخرج منها، وطبقته معه. فلما قدم ابن السوداء نزل عليه وكان هو ذلك الرجل، واجتمع إليه ذلك النفر، وطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه، فأرسل إليه ابن عامر فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك، فقال: إنما يبلغني غير هذا، اخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة، فأخرج منها، فاستقر بمصر، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم[2].

وأما حُمران، فروى سيف عن طلحة ومحمد قالا: إن حُمران بن أبان تزوج امرأة في عِدّتها فنكّلَ به عثمانُ (رض) وفرّقَ بينهما وسيَّره إلى البصرة، فلزم ابنَ عامر، فتذاكروا يومًا الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس، وكان منقبضًا عن الناس، فقال حُمران: ألا أسبقكم إليه فأخبره؟ فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٨٣) من طريق سيف... به والأبيات من رواية الطبري مختلفة عن هذه الرواية التي أوردها المصنّف.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٣٩) من طريق سيف عن عطية... به.

فقال: الأميرُ أراد أن يمرّ بك فأحببتُ أن أُخبرك، فلم يقطع قرآنه، ولم يُقبل عليه، فقام من عنده خارجًا، فلما انتهى إلى الباب لقيه ابنُ عامر، فقال: جئتك من عند رجل لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلًا، فاستأذن ابن عامر ودخل عليه وجلس إليه، فأطبق عامرٌ المصحف وحدّثه ساعة، فقال له ابن عامر: ألا تغشانا؟ فقال: إن سعد بن أبي العرجاء يحب الشرف، فقال: ألا نستعملك؟ فقال: حُصَين بن أبي الحرّ يحب العمل، قال: ألا نزوجك؟ فقال: ربيعة بن عَسلٍ يعجبه النساء، قال: إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلًا، ففتح المصحف، فكان أول ما وقع عليه وافتتح منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٣] فلما رُدَّ حُمران تتبّع ذلك منه، فسعى به وشهد له أقوامٌ فسيّره إلى الشام، فلما علموا علمه أذنوا له، فأبى ولزم الشام[1].

وقيل: إنّ عثمان (رض) لما سيّر حُمران بن أبان إلى البصرة، لما تزوج المرأة في عِدّتها وفرّق بينهما وضربه، فلبث فيها ما شاء الله وأتاه عنه التوبة، أذن له فقدم عليه المدينة وقَدِمَ معه قوم سَعَوا بعامر بن عبد قيس أنه لا يرى التزوّج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة. وكان من عامر انقباض وكان عمله كله خِفية، فكتب عثمان رضي الله عنه إلى عبد الله بن عامر بذلك، فألحقه بمعاوية. فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة، فأكلا أكلًا غريبًا، فعرف أن الرجلَ مكذوبٌ عليه، فقال: يا هذا، أتدري فيما أُخرجتَ؟ قال: لا. قال: بلغَ الخليفة أنك لا تأكل اللحمَ وقد رأيتك وعرفت أن قد كُذِبَ عليك، وأنك لا ترى التزويج ولا تشهد الجمعة، فقال: أما الجمعة فإني أشهدُها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس؛ وأما التزويج فإني خرجت وأنا يُخطب عليّ؛ وأما اللحم فقد رأيت. ولكني كنت امرءًا لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصّابًا يجرُّ شاةً إلى مذبحِها ووضع السكين على حلقها فما زال يقول: النّفاق النفاق حتى وَجَبت، قال: ارجع، قال: لا أرجع إلى بلد استحلّ أهلهُ مِني ما استحلوا، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي. وكان يكون في السواحل. وكان يلقى معاوية فيكثر ويكثر معاوية أن يقول: حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي. فلما أكثر عليه قال له: تردُّ عليّ من حر البصرة، لعل الصوم أن يشتدّ عليّ شيئًا، فإنه يخِفُّ عليّ في بلادكم.

---

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (٢/٦٣٩) وابن عساكر في التاريخ (٢٦/٨) كلاهما من طريق سيف عن طلحة ومحمد... به.

٢٨ ـ ذكر خبر أهل الأحداث:

عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لما قدم مُسَيّرةُ أهلِ الكوفة على معاوية أنزلهم دارًا، ثم خلا بهم، فقال لهم وقالوا له، ولما فرغوا قال لهم: لم تؤتوا إلا من الحمق، والله ما أرى منطقًا سديدًا ولا عذرًا مُبينًا ولا حِلمًا ولا قوة. وإنك يا صعصعةُ لأحمقهم. اصنعوا وقولوا ما لم تدعوا شيئًا من أمر الله، فإن كلّ شيء يُحتمل لكم إلا معصية الله. فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم. فرآهم بعد وهم يشهدون الصلاة ويقفون مع قاصّ الجماعة، فدخل عليهم يومًا وبعضهم يُقرِىء بعضًا، فقال: إن في هذا لخَلفًا مما قدِمتم به عليّ من النزاع إلى أمر الجاهلية، اذهبوا حيث شئتم، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم، وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم، ولم تضروا أحدًا. فجزوه خيرًا وأثنوا عليه، فقال: يا ابن الكواء، أي رجل أنا؟ قال: بعيدُ الثرى كثيرُ المرعى طيبُ البديهة بعيدُ الغور، الغالب عليك الحلم، ركن من أركان الإسلام، سُدّت بك فرجة مخوفة، قال: فأخبرني عن أهل الأحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك، قال: كاتبوني وكاتبتُهم، فأنكروني وعرفتهم. فأما أهل الأحداث من أهل المدينة فهم أحرصُ الأمة على الشرّ وأعجزه عنه. وأما أهلُ الأحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظرُ الناس في صغير وأركبه لكبير. وأما أهل الأحداث من أهل البصرة فإنهم يردون جميعًا ويصدرون شتى. وأما أهل الأحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر وأسرعه ندامة. وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم وأعصاه لمغويهم[١].

٢٩ ـ ذكر حديث أبي ذر وخروجه إلى الربذة:

وفي سنة ثلاثين جرى بين معاوية وأبي ذرّ مناظرة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: الآية ٣٤] فقال معاوية: نزلَتْ في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: بل نزلت فينا وفيهم، فكان بينهما في ذلك كلام، فكتب معاوية إلى عثمان (رض): أن أبا ذر قد أفسد الشام. فكتب إليه عثمان (رض): أن جهزه وابعث به إليّ ففعل. فكلمه عثمان في ذلك، فقال: ايذن لي في الخروج من المدينة، فأذن له، فخرج إلى الرَّبَذة وبنى مسجدًا، وأقطعه عثمان (رض) صِرمَةً من الإبل، وأعطاه مملوكين وأجرى عليه جراية. ثم بعث معاويةُ بأهله إلى الربذة.

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٤٠) من طريق سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان... به.

وأما ما ذكر في سبب إخراجه من الأمور الشنيعة وسبّ معاوية إياه وتهديده بالقتل وحمله من الشام إلى المدينة بغير وطاء ونفيه، فلا يصح النقل به بل هو من أكاذيب الرافضة، قبحهم الله تعالى. ثم لو صح ذلك لكان ينبغي أن يُعتذرَ عن عثمان (رض) بأن للإمام أن يؤدب رعيته لسوء أدبه أو افتيات عليه وغير ذلك من الأعذار.

وروى سيف في الفتوح عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول: المالُ مالُ الله عزّ وجلّ، ألا كلُّ شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين؟ فأتاه أبو ذر، فقال: ما يدعوك إلى أن تسمي مالَ المسلمين مالَ الله، فقال معاوية: يرحمُكَ الله يا أبا ذر، ألسنا عبادَ الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره، قال: فلا تقله. قال: فإني لا أقول إنه ليس لله، ولكن سأقول: مال المسلمين وأنوي. وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك فقال له: مَن أنت؟ أظنك والله يهوديًا. فأتى عبادةَ بنَ الصامت فتعلق به فأتى به معاوية، فقال هذا: والله الذي بعث عليك أبا ذر. وقام أبو ذر بالشام، وجعل يقول: يا معشرَ الأغنياء، وأسوأ الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيلَ الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس. فكتب معاوية إلى عثمان (رض) عنه: إن أبا ذرٌ قد أعضل بي، وقد كان من الأمر ذيْت وذيْت، فكتب إليه عثمان رضي الله عنه: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها؛ ولم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح؛ وجهِّز أبا ذر إلي؛ وابعث معه دليلًا وزوده؛ وارفق به؛ وكفكف الناس، ونفسك ما استطعت، فإنما تمسك ما استمسكت. فبعث بأبي ذرٍ ومعه دليل. فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سَلع قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحربٍ مِذكار، ودخل على عثمان (رض) فقال: يا أبا ذر، ما لأهل الشام يشكون ذَربَك؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مالُ الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالًا، فقال: يا أبا ذر، إنما عليّ أن أقضي ما عليّ، وآخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعهم والاجتهاد والاقتصاد، قال: فأذنْ لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار، فقال: أو تستبدل بها الأشر منها، قال: أمرني رسولُ الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء سَلعًا، قال: فانفذْ لما أمَرَك به، قال: فخرج حتى نزل الربذة وبنى بها مسجدًا. وأقطعه عثمان رضي الله عنه قطيعًا

من الغنم وصِرْمَةً من الإبل وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه أن يعاود المدينة حتى لا يرتدَّ أعرابيًا ففعل[(١)].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: كان أبو ذر رضي الله عنه يختَلِفُ من الربذة إلى المدينة مخافةَ الإعرابية، وكان يحبُّ الوحدة والخلوة، فدخل على عثمان رضي الله عنه وعنده كعبُ الأحبار، فقال: لا ترضوا من الناس بكفِّ الأذى حتى يبذلوا المعروف. وقد ينبغي للمؤدي الزكاةَ ألا يقتصر عليها حتى يُحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات، فقال كعب: من أدى الفريضةَ قد قضى ما عليه. فرفع أبو ذر محجَنَه فضربه فشجَّه، فاستوهبه منه عثمان رضي الله عنه، فوهبه له، وقال: يا أبا ذر، اتق الله واكفُفْ يَدَكَ ولسانَك، وقد كان قال له: يا ابن اليهودية، ما أنت وهٰهنا! والله لتسمعنّ منّي إذ أذخل عليك. والله لا يسمع أحد من اليهود إلا فتنوه[(٢)].

وعن الأشعث بن سوار عن محمد بن سيرين. قال: خرج أبو ذر إلى الربذة من قِبَل نفسه لما رأى عثمان (رض) لا ينزع له، وأخرج معاويةُ أهله إليه من بعده، فخرجوا إليه، ومعهم جِرابٌ يثقل يد الرجل، فقال: انظروا إلى هذا الذي يزهّد في الدنيا ما عنده، فقالت امرأته: أما والله ما فيه دينار ولا درهم، ولكنها فلوس، إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسًا لحوائجنا.

ولما نزل أبو ذر بالربذة أقيمت الصلاة وعليها رجلٌ يَلي الصدقة، فقال: تقدّم يا أبا ذر، فقال: لا، تقدمْ أنت، فإنّ رسولَ الله ﷺ قال لي: اسمع وأطع وإن كان عليك عبدٌ مُجدّع، فأنت عبد ولست بأجدع، وكان من رقيق الصّدقة، وكان أسود يقال له مُجاشِع[(٣)].

وعن مبشر بن الفُضَيل عن جابر قال: أجرى عثمان (رض) على أبي ذر (رض) كلّ يوم عظمًا وعلى رافع بن خديج مثله، وكانا تنحيا عن المدينة لشيء سمعاه لم يفسّر لهما، وأبصرا وقد أوطئا[(٤)].

---

(١) رواه بطوله الطبري في التاريخ (٢/ ٦١٥، ٦١٦) من طريق سيف عن عطية... به.
(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦١٦) من طريق سيف عن محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس... به. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٦٨). ورواه أيضًا: من طريق سيف بن عساكر في التاريخ (٦٦/١٩٨).
(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦١٦) من طريق سيف عن الأشعث بن سوار... به.
(٤) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦١٦) من طريق سيف عن مبشر بن الفضيل... به.

وعن محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب عن سلمة بن نباتة، قال: خرجنا معتمرين، فأتينا الربذة، فطلبنا أبا ذرٍّ في منزله فلم نجده، وقالوا: ذهبَ إلى الماء. فتنحّينا فنزلنا قريبًا من منزله، فمرّ بنا ومعه عظم جزور يحمله معه غلام، فسلّمَ ومضى حتى أتى منزله. فلم يمكث إلا قليلًا حتى جاء فجلس إلينا وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: اسمعْ وأطِعْ وإن كان عليك عبدٌ حبشي مجدّع، فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله وعليهم حبشي وليس بأجدع، وهو ما علمت، وأثنى عليه، ولهم في كل يوم جزور ولي منها عظم آكله أنا وعيالي، قلت: ما لك من المال؟ قال: صِرمة من الإبل وقطيعٌ من الغنم، في أحدِهما غُلامي وفي الآخر أمتي، وغلامي حرّ إلى رأس السنة، قال: قلتُ: إن أصحابك قِبَلَنا أكثر الناس أموالًا، قال: أما إنه ليس لهم في مال الله حقّ إلا لي مثله[1].

٣٠ ـ ذكر وفاة أبي ذر رضي الله عنه:

عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن كعب أنَّ رسول الله ﷺ قيل له عامَ تبوك: تخلف أبو ذر وهو في الطريق، فطلع فقال: يَرْحَمُ اللهُ أبا ذرٍّ يمشي وحدَه ويُبعَثُ وحده قال: فلما حَضَرتْ أبا ذر الوفاة وذلك في ذي الحجة في سنة ثمانٍ من إمارة عثمانَ (رض) نُزِل بأبي ذر، فلما أشرف قال لابنته: استشرفي يا بنيةُ فهل ترَيْن أحدًا، قالت: لا، قال: فما جاءَت ساعتي بعدُ، ثم أمرها فذبحت شاةً ثم نصبتها، ثم قال لها: إذا جاءَكِ الذين يدفِنوني فقولي لهم: إن أبا ذر يقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا. فلما نضجت قِدْرُها، قال لها: انظري، هل ترَيْن أحدًا؟ قالت: نعم، هؤلاء ركبٌ مقبلون، قال: استقبلي بي الكعبة، ففعلت، وقال: باسم الله وعلى ملةِ رسول الله. ثم خرجت ابنته فتلقتهم، وقالت: رحمكم الله اشهدوا أبا ذر، قالوا: وأين هو؟ فأشارت لهم إليه وقد مات، فادفنوه، قالوا: نعم، ونعمة عين، لقد أكرمنا الله بذلك. وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابنُ مسعود (رض)، فمالوا إليه وابن مسعود يبكي ويقول: صدَق رسولُ الله ﷺ: يموتُ وحدَه ويُبعث وحده، فغسّلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه. فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم ابنته: إنّ أبا ذرّ يقرأ عليكم السلامَ وأقسم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا. وحملوهم حتى أقدموهم إلى مكة، ونعوه إلى عثمان (رض) فضمّ ابنته إلى عياله، فقال: يرحمُ الله أبا ذر ويغفر لرافع بن خديج سكوته[2].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٦١٦/٢) من طريق سيف عن محمد بن سوقة... به.

(٢) رواه ابن عساكر في التاريخ (٢١٧/٦٦) من طريق سيف عن إسماعيل بن رافع... به. وأخرجه=

عن القعقاع بن الصلت عن رجلٍ عن كليب بن الحلحال عن الحلحال بن دُرّي قال: خرجنا حجّاجًا مع ابن مسعود (رض) سنة إحدى وثلاثين ونحن أربعة عشر راكبًا حتى أتينا على الربذة فإذا امرأة قد تلقتنا، فقالت: اشهدوا أبا ذر ولا شعرنا بأمره ولا بلغنا، فقلنا: وأين أبو ذر؟ فأشارت إلى خِباء، فقلنا: ما له؟ فقالت: فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها، ففارقها. قال ابن مسعود: ما دعاه إلى الأعراب، قالت: أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك، ولكنه كان يقول: هي بَعَد، وهي مدينة. فمالَ ابنُ مسعود إليه وهو يبكي، فغسّلناه وكفّناه، وإذا خباؤه منضوح بمسك، فقلنا للمرأة: ما هذا؟ قالت: كانت مِسكة فلما حُضر قال: إن الميّت يحضُره شهود يجدون الريحَ ولا يأكلون، فدَوّ في تلك المسكة بماء ثم رشّي بها الخباء، فأقريهم ريحَها واطبُخي هذا اللحم، فإنه سيشهدني قوم صالحون يلون دفني، فأقريهم. فلما دفناه دعتنا إلى الطعام فأكلنا، فأردنا احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير المؤمنين قريب نستأمره. فقدِمنا مكة فأخبرناه الخبر، فقال: يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربذة. ولما صدر خرج فأخذ طريق الربذة فضمّ عياله إلى عياله، وتوجّه نحو المدينة، وتوجهنا نحو العراق[1].

٣١ ـ ذكر الفتنة بمصر:

عن عطية عن يزيد الفقعسي، قال: لما خرج ابن السوداء إلى مصر اعتمر فيهم فأقام، فنزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حُمران مرة وانقطع. فشجعه الغافقي، فتكلم. وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن زُريرة وأشباه لهم، فصرّف لهم القولَ فلم يجدهم يجيبون إلى شيء مما يجيبون إلى الوصية، فقال لهم: عمرو ناب العرب وحجرهم، ولسنا من رجاله، فأروه أنكم تزرعون، ولا تزرعون العام شيئًا حتى تنكسر مصر، فيشكونه فيعزلُ عنكم، ونسأل من هو أضعف منه، ونخلوا بما نريد، ونُظهر الأمر بالمعروف. فكان أسرعهم إلى ذلك وأعملهم فيه محمد بن أبي حُذيفة، وهو ابنُ خال معاوية، وكان يتيمًا في حجر عثمان رضي الله عنه. فلما وَلِيَ استأذنه في الهجرة إلى بعض الأمصار فخرج إلى مصر. وكان الذي دعاه إلى ذلك أنه سأل العمل فقال: لستَ هناك. فعملوا ما أمرهم به ابن السوداء. ثم إنهم خرجوا ومن شاءَ الله منهم، فشكوا عمرو بن العاص، واستعفوا منه، فكلما نهنه عثمان عن عمرو

= الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٢) من طريق آخر عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود بنحو لفظه. وأورده من هذا الطريق الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦).

(١) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٦٦/ ٢١٧) من طريق سيف عن القعقاع... به. وكذا الطبري في التاريخ (٢/ ٦٢٩).

قومًا وسكّنهم وأرضاهم وقال: إنما هو أمين، انبعث آخرون بشيء آخر، وكلهم يطلب عبدَ الله بنَ سعد بن أبي سرح، فقال لهم عثمانُ (رض): أما عمرو فسننزعه عنكم لما زعمتم أنه أفسد، وأما الحرب فسنُقِرُّه عليها ونولي من سألتم. فولى عبد الله بن سعد خراج مصر وترك عمرًا على صلاتها. فمشى في ذلك سُودان بن حُمران وكنانة بن بشر وخارجةُ وأشباهُهم فيما بين عمرو وعبد الله بن سعد وأغروْا بينهما، حتى احتمل كلٌّ منهما على صاحبه، وتكاتبا على قدر ما أبلغوا كلَّ واحد منهما، فكتب عبدُ الله بن سعد: إنَّ خراجي لا يستقيمُ ما دام عمرو على الصلاة. وخرجوا فصدّقوه واستعفوا من عمرو، وسألوا عبد الله. فكتب عثمان (رض) إلى عمرو: إنه لا خيرَ لك في صُحبةِ من يكرهك، فأقبِلْ. وجمع مصر لعبد الله صلاتها وخراجها. فقدم عمرو، فقال له عثمانُ (رض): أبا عبد الله، ما شأنك؟ أسَتُحيلُ رأيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين دعني، فوالله ما أدري من أين أُتيت، وما أتهم عبد الله بنَ سعد، وإن كنتُ لأهل عملي كالوالدة، وما قدر العارف الشاكر على معونتي[1].

وعن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لما قدم ابن السوداء مصرَ عجَمَهُم فاستخلاهم واستخلوه، فعرّض لهم بالكفر فأبعدوه، وعرّض لهم بالشقاق فاطمعوه. فبدأ يطعن على عمرو بن العاص، وقال: ما باله أكثركم عطاءً ورزقًا؟ ألا ننصب رجلًا من قريش يسوّي بيننا؟ فاستحلوا ذلك منه وقالوا: كيف نطيق ذلك مع عمرو وهو رجل العرب؟ قال: تستعفون منه ثم يعمل عملنا غيره، ونظهر الائتمار بالمعروف، فلا يرده علينا أحد. فاستعفوا منه، وسألوا عبد الله بن سعد. فأشركه عثمان (رض) مع عمرو، فجعله على الخراج وولى عمرًا الحرب ولم يعزله. ثم دخلوا بينهما حتى كتب كل واحد منهما إلى عثمان (رض) بالذي يبلغه عن صاحبه. وركب أولئك واستعفوا من عمرو، وسألوا عبد الله، فأعفاهم من عمرو. فلما قدم عمرو على عثمان (رض) قال: ما شأنك؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما كنت منذ وليتهم أجمعَ أمرًا ولا رأيًا مني منذ كرهوني، وما أدري من أين أُتيت. فقال عثمان (رض): لكني أدري. لقد دنا أمر هو الذي كنت أحذره. ولقد جاءني نفر من ركبٍ تردد عنهم عمرو وكرههم. ألا وإنه لا بد لما هو كائن أنه يكون، فإن كابرتهم كذبوا

---

(١) أخرجه بطوله ابن عساكر في التاريخ (٣٩/٣٠٢) من طريق سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي... به. وكذا الطبري في التاريخ (٢/٦٤٧ وما بعدها) ولفظه أطول من هذا.

واحتجوا، وإن كفكفتهم لم ينكثوا محرمًا لهم، ولم تثبت لهم حجة. والله لأسيرنّ فيهم بالصبر، ولأتابعنهم ما لم يُعص الله عزّ وجلّ[١].

٣٢ ـ ذكر خبر المدينة:

عن محمد وطلحة قالا: ولي عثمانُ (رض) وهو أحب إلى قريش من عمر (رض)، ووالله ما مات حتى ملّه مَن ملّه من قريش، واستطالوا حياته، وقالوا: اللهم أرحنا منه، لمنعه إياهم وحبسهم عن الذي هو خير لهم[٢].

وعن محمد وطلحة قالا: لما ولي عثمانُ (رض) لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمرُ (رض) فانساحوا في البلاد. فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، انقطع من لم يكن له طَوْلٌ ولا مرتبة في الإسلام وكان مغمورًا في الناس، وصاروا أوْزاعًا إليهم، وأمّلوهم وتقدّموا في ذلك وقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم. فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام وأول فتنةٍ كانت في العامة، ليس إلّا ذلك[٣].

وعن محمد وطلحة قالا: لم تمضِ سنةٌ من إمارة عثمان (رض) حتى اتخذ رجال من قريش الأموال في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، فثبتوا على الأمر سبعَ سنين وكل قوم يحبون أن يلي صاحبهم. ثم إن ابن السوداء أسلم وتكلم وقد فاضت الدنيا وطلعت الأحداث على يديه، فاستطالوا عُمْرَ عثمان (رض)[٣].

وعن عثمان بن حكيم بن عبادة بن حُنَيْف عن أبيه قال: كان أول مُنْكَرٍ بالمدينة ظهر حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس طيرانُ الحمام والرمي عن الجُلاهِقات. واستعمل عليها عثمانُ (رض) رجلًا من بني ليثٍ سنةَ ثمان فقصها وكسر الجُلاهِقات وزاد في رواية: وكان بين الأحداث قتال بالعصي، فأرسل عثمانُ (رض) طائفًا فمنعهم من ذلك. ثم اشتدّ الناس بإنشاء الحدود، فساء ذلك عثمانَ (رض) والناس، فاجتمعوا على أن يُجلدوا في النبيذ، فأخذَ نفرًا منهم فجلدهم[٤].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٦/٢٩) من طريق سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان... به.
(٢) أخرجه الطبري في التاريخ (٢/٦٧٩) من طريق سيف عن محمد وطلحة... به.
(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٧٩) عن طريق سيف عن محمد وطلحة... به.
(٤) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٨٠) من طريق سيف عن عثمان بن حكيم بن عبادة بن حنيف عن أبيه... به.

٣٣ ـ ذكر خبر الحكم بن أبي العاص:

عن مبشّر بن الفضيل عن سالم بن عبد الله قال: كان عثمانُ (رض) مقتديًا متبعًا، يُمْسِكُ عما قد كُفِيَ، ولا يتكلمُ إلا فيما يحدث. وكان يكرهُ أن يرتقوا من ذلك أمرًا ليس فيه مرفق مما اجتمع الناس عليه يَسَعُ الكلام فيه، فسكتَ عن ذلك. فلما حدثتِ الأحداث بالمدينة، خرج منها رجالٌ إلى الأمصار مجاهدين وليدنوا من العدو. فمنهم من أتى البصرة، ومنهم من أتى الكوفة، ومنهم من أتى الشام. فهجموا جميعًا من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء أهل الشام. فرجعوا جميعًا إلى المدينة إلا مَن كان أتى الشام. فأخبروا عثمان الخبر، فقام عثمان (رض) خطيبًا فقال: يا أهل المدينة، أنتم أصل الإسلام وإنما يفسُدُ الناس بفسادكم ويصلُحون بصلاحكم، واللهِ واللهِ واللهِ لا يبلغنّي عن أحدٍ منكم حدثٌ أحْدَثَ إلا سيّرتُه. ألا فلا أعرفنّ أحدًا عرض دون أولئك بكلام ولا طَلَب، فإنّ من كانَ قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له. وجعل عثمانُ (رض) لا يأخذ أحدًا على سوء بَياتٍ أو سَرَقٍ أو شَهْرِ سلاحٍ، عصا فيما فوقها، إلا سيَّره. فضجّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون: ما أخذَ التسييرَ إلا أن رسول الله ﷺ سيّرَ الحكَمَ بن أبي العاص. فجمع الناس ثم قال: إنه يبلغني أنكم تزعمون أني إنما أخذت التسييرَ عن الحَكَمِ بن أبي العاص. إنّ الحكم كان مَكيًّا فسيّره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف، ثم ردّه إلى بلده. فرسول الله ﷺ سيَّره بذنبه. ورسولُ الله ﷺ ردَّه بعفوه. وقد سيّر الخليفةُ من بعده، وعمرُ من بعد الخليفة. وايْمُ الله لآخذنَّ العفوَ من أخلاقِكم ولأبذلنه لكم من خلقي. ولقد دنت أمور ولا أحب أن تحلَّ بنا وبكم، وأنا على وَجَلٍ وحذر، فاحذروا واعتبروا[1].

وعن ابنِ أبي حارثة عن أُمِّ الدرداء قالت: قدم أبو الدرداء على عثمان (رض) عنهما حاجًا، فقال له عثمانُ (رض): يا أبا الدرداء، إني قد استنكرت من يليني، ولم نسل أحدًا من الآفاق عمن يليه إلا وقد وجدته استنكر من يليه، فما أعرف شيئًا. فكيف بكم؟ فقال: ما يعصينا أهل بلادنا ولا يستبدون علينا. قال: فالزمها، فوالله لينقلن الله الأمرَ إليكم. فقد استنكرت الأشياء، فما يعرف إلا الصلاة يا أبا الدرداء، وإنها من آخر ما ينكر من هذا الأمر. وإن الناس قد دني منهم وأُذن فيهم، وأمارة ذلك أن يجترئوا على ولاتهم حتى يعدوهم إلي. وإني والله لا اجترىء عليهم أبدًا

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٨٠) من طريق سيف عن مبشر بن الفضيل... به.

مخافة ما أعلم. فإن يقبلوا فإني حريص شفيق، وأن يلجوا فبعد قضاء ما علي إن يأتِ هذا الأمر الذي كنا نخاف منه، عليّ هذا الأمر قد استبان، ولا والله لا أكون أول من فتحه(١).

٣٤ ـ ذكر انحراف محمد بن أبي حذيفة وعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر عن عثمان:

عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيىٰ بن سعيد قالا: سأل سائل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حُذيفة ما دعاه إلى الخروج على عثمان (رض) فقال: كان يتيمًا في حجر عثمان (رض)، فكان عثمان واليَ أيتام أهل بيته ومحتمل كَلّهم. فسأل عثمانَ (رض) العمل حين وَليَ فقال: يا بني، لو كنت رضى ثم سألتني العملَ لاستعملتك ولكن لستَ هناك، قال: فأذن لي فلأخرج، فلأطلب ما يقوتني، قال: اذهب حيثُ أحببتَ. وجهَّزَهُ من عنده وحمله وأعطاه. فلما وقع أمرُ مصر كان فيمن يعين عليه أنْ مَنَعه الإمارة. قيلَ: فعمّارُ بنُ ياسرٍ قال: كان بينه وبين عباس بن عُتْبة بنِ أبي لهبٍ كلامٌ فضربَهما عثمانُ (رض)، فأورث ذلك بين آل عمّار وآل عتبة شرًّا حتى اليوم، وكنا عما ضُربا عليه وفيه، قال: كان بينهما تقاذف(٢).

وعن مبشّر قال: سألتُ سالمَ بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر ما دعاه إلى ركوب عثمان (رض)، فقال: الغضب والطمع. قلت: ما الغضبُ والطمع؟ قال: كان من الإسلام بالمكان الذي هو به وغرّه أقوام فطمع، وكانت له دالّة ولزمه حقٌّ، أيْ حَدّ. فأخذه عثمان (رض) من ظهره ولم يُدْهِن. فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مُذَمَّمًا بعد أن كان محمدًا(٣).

عن سعيد بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة قال: ما زالت عائشةُ (رض) عنها تدعوه مذممًا وتدعو عليه حتى مات، فلما مات كفّت عنه(٤).

(١) رواه ابن عساكر في التاريخ (١/٣١٩) من طريق سيف عن أبي حارثة... به.
(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٨٠)، وابن عساكر في تاريخه (٣٩/ ٣٠٣) كلاهما من طريق سيف عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيىٰ بن سعيد... به.
(٣) رواه الطبري في تاريخه (٢/ ٦٨١)، وابن عساكر في تاريخه (٣٩/ ٣٠٤) كلاهما من طريق سيف عن مبشر... به.
(٤) لم نقف عليه.

وعن مبشر عن سالم بن عبد الله قال: لما وليَ عثمانُ (رض) لان لهم وانتزع الحقوقَ انتزاعًا، ولم يُعطِّل حقًا فأحبوه على لينه، فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عزّ وجلّ(١).

وعن سهلِ بن يوسف عن القاسم بن محمد قال: كان مما أحدثَ عثمانُ (رض) فرُضي به منه أنه ضرب رجلًا في منازعةٍ استخفَّ فيها بالعباس بن عبد المطلب (رض)، فقيل له، فقال: أيفخر رسول الله ﷺ بعمِّه وأُرخِّصُ في الاستخفافِ به؟ لقد خالف رسول الله ﷺ من فعل ذلك ورضي به(٢).

وعن سهل عن القاسم قال: كان مما سنّ عثمانُ (رض) أن عبد الرحمٰن بن عوف (رض) ماتَ وتركَ ثلاثَ نسوةٍ قد كان طلّقَ إحداهُنَّ في مرضه، فمات بعدما انقضت عِدتها بأشهر، فأشركها مع نسائه، وأنزله منه فرارًا، فطلق على ذلك الناسُ واتبعوه وهم متوافرون(٣).

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٨١) من طريق سيف عن مبشر... به.
(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٨٢)، وابن عساكر في التاريخ (٢٦/ ٣٧٢) كلاهما من طريق سيف عن سهل بن يوسف... به.
(٣) لم نقف عليه.

الباب الخامس
في ذكر مَن سار إلى عثمان وحصره

عن محمد بن نُويرة الهُجيميّ عن عزيز بن مكنف التميمي أحد بني أُسيد، وعن طلحة بن الأعلم الحنفي عن المغيرة بن عتيبة بن النهّاس العجلي قالا: كان أول الفتنة أن من لم يكن له ميزة استطال عمر عثمان (رض) عنه واستثار الشر. وجعلوا يجادلون، وأعجبهم ما أفضوا إليه من الدنيا حتى أبطرتهم، مع ما جاء في اختلاف هذه الأمة مما لا بد لهم منه[1].

وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله ﷺ: لتركبنَّ سُنن الذين من قبلكم ذراعًا بذراع وشبرًا بشبر حتى إن من قبلكم لو دخلوا جُحر فأرة لدخلتم مثله، وقرأ: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ﴾ [التوبَة: الآية ٦٩] إلى قوله: ﴿كَالَّذِي خَاضُوٓا۟﴾ [التوبَة: الآية ٦٩][2].

عن أبي أيوب الهمْداني عن علي (رض)، وعن الضحاك عن ابن عباس (رض) في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓا۟﴾ [التوبَة: الآية ٦٩][3].

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٠/١٧٦)، والمروزي في السنة (١/١٨)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣/٥٣٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٣٦)، واللالكائي في السنة (٩/٢٤) جميعهم عن المقبري عن أبي هريرة. قال الألباني في تخريجه لأحاديث السنة لابن أبي عاصم: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين لكنهما لم يحتجا بمحمد بن عمرو وهو حسن الحديث. والحديث روي عن أبي هريرة ولكن رواه عن أبي سلمة: أخرجه من هذا الوجه أحمد في المسند (٢/٤٥٠). والحاكم في المستدرك (١/٩٣)، وابن أبي شيبة في المصنّف (٧/٧٤٩). والحارث في مسنده (٢/٧٥٨) جميعهم بسند صحيح.

(٣) رواه الطبري في التفسير (١٠/١٧٦) من طريق آخر عن عكرمة عن ابن عباس. ولم نقف عليه من قول علي رضي الله عنه.

٣٥ ـ ذكر بعث ابن السوداء دعاته في البلاد:

عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: كان ابن سبأ المعروف بابن السوداء يهوديًا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان بن عفان (رض) ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم. فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام. فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، وقال لهم فيما كان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويُكذب بأن محمدًا يرجع وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: الآية ٨٥] فمحمد ﷺ أحق بالرجوع من عيسى عليه السلام، قال: فقبل ذلك منه. ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبيٍّ ولكل نبيٍّ وصيٌّ، وكان عليٌّ (رض) وصيّ محمد ﷺ، ثم قال: محمد خاتم النبيين وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجِز وصيّة رسول الله ﷺ، ووثب على وصيِّ رسول الله ﷺ؟ ثم تناول الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان قد أخذها بغير حقها، وهذا وصيُّ رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر، فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوا إلى هذا الأمر. وبث دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك. فكتب أهل كلّ مصر منهم إلى أهل مصر آخر بما يضعون، فيقرؤوه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويُسرُّون غير ما يورون، فيقول أهل كلّ مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما الناس فيه.

قالوا: واجتمع أصحاب رسول الله ﷺ إلى عثمان (رض) فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي أتانا؟ قال: لا، والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإنا قد أتانا. وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم. قال: فأنتم شُركائي وشُهودُ المؤمنين، فأشيروا عليّ، قالوا: نُشيرُ عليك أن تبعثَ رجالًا ممن تثق بهم من الناس إلى الأمصار حتى يرجِعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمدَ بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أُسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بنُ عمر إلى الشام، وفرّقَ رجالًا سواهم. فرجعوا جميعًا قبل عمار، فقالوا: أيها الناس

والله ما أنكرنا شيئًا، ولا أنكره أعلامُ المسلمين ولا عوامُهم، وقالوا جميعًا: الأمرُ أمرُ المسلمين، ألا إنّ أمراءهم يُقسِطون بينهم، ويقومون عليهم واستبطأ الناسُ عمارًا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يُخبرهم أنّ عمارًا قد استماله قومٌ بمصر وقد انقطعوا إليه، منهم عبدُ الله بن السوداء وخالدُ بنُ مُلجم وسودان بنُ حُمْران وكِنانةُ بنُ بِشر، يريدونه على أن يقول بقولهم، يزعمون أن محمدًا ﷺ راجعٌ ويدعونه إلى خلع عثمان (رض)، ويخبرونه أنَّ رأي أهل المدينة على مثل رأيهم، فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في قتله وقتلهم قبل أن يتابعهم [الناس][(1)]. فكتب إليه عثمان (رض): لعمري إنك لجريءٌ يا ابن أُمِّ عبد الله، لا والله لا أقتلُه ولا أنكؤه، حتى يكونَ اللهُ ينتقمُ منه ومنهم بما أحبّ. فدعْهم، ما لم يخلعوا يدًا من طاعة، يخوضوا ويلعبوا. وكتب إلى عمار: أنشدُك الله أن تَخْلعَ يدًا من طاعةٍ أو تفارقها فتبوء بالنار. ولعَمْري إني على يقينٍ من الله لأستكملن أجلي، ولأستوفِيَنّ رِزْقي غير منقوصٍ شيئًا من ذلك، فيغفر الله لك. فثارَ أهلُ مصر فهمّوا بقتلِه وقتْلِ أولئك، فنهاهم عبدُ الله بن سعد وأبر عمارًا حتى أراد القَفْل، فحمله وجهزه بأمرِ عثمان (رض). فلما قدم على عثمان (رض)، قال له: يا أبا اليقظان، قَذفتَ ابنَ أبي لهب أن قذفك، وغضبتَ عليّ أن أوطأك ففتقك، وغضبت عليّ أن أُخذتُ لك بحقِّك وله بحقه. اللهم إني قد وهبتُ ما بين أمتي وبيني من مظلمةٍ! اللهم إني متقرّبٌ إليك بإقامة حدودك في كلّ أحدٍ لا أُبالي! اخرج عني يا عمّار. فخرج، فكان إذا لقي العوامَّ نضحَ عن نفسه وانتقل من ذلك، وإذ لقي من يأمنه أقر بذلك وأظهر الندم. ولامه الناسُ وهجروه وكرهوه[(2)].

٣٦ ـ ذكر خلع عمار طاعة عثمان:

عن مُبشّر بن الفُضَيْل وسهل بن يوسف عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: قدم عمار من مصر وأبي شاكٍ، فبعثني إليه أدعوه، فقام معي ليس عليه رداءٌ وعليه قُلَنسِيَةٌ من شعر مُعتّم عليها بعمامة وسخة، وجبةُ فرو يمانية. فلما دخل على سعيدٍ وهو متكىء استلقى ووضع يده على جَبْهَتِه، ثم قال: ويحك يا أبا اليقظان، إنْ كنتَ فينا لمن أهل الخير، فما الذي بلغني من سَعيِكَ في فسادٍ بين المسلمين والتأليب على

(١) ما بين [ ] زيادة من الطبري ليستقيم السياق.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٤٨) من طريق سيف عن عطية... به، وكذا ابن عساكر في التاريخ (٢٩/ ٤).

أمير المؤمنين؟ أمعك عقلُك أم لا؟ فأهوى عمار إلى عمامته وغضب، وقال: خلعت عثمانَ كما خلعتُ عمامتي هذه، ونزعها. فقال سعيد: إنا لله وإنا إليه راجعون. ويحك، حين كبرتْ سنُّك ورقّ عَظمُك ونفِد عمرُك فلم يبق منك ظمءٌ كظِمءِ الحمار، خلعتَ ربقةَ الإسلامِ من عنقك، وخرجْتَ من الدين عُريانًا كما ولدَتكَ أمُّك؟ فقام عمار مُغضَبًا مُولّيًا وهو يقول: أعوذ بربي من فِتنةِ سعد، فقال: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبَة: الآية ٤٩] اللهم زِدْ عثمانَ بعفوه وحلمه عِندك درجات، حتى خرج عمار من الباب. وأقبلَ عليّ سعدٌ (رض) يبكي حتى اخْضلَّتْ لِحيتُهُ، وقال: من يأمنُ الفتنةَ يا بُنيّ؟ لا يَخرُجَنّ منكَ ما سمعتَ منه فإنه من الأمانة، وإني أكره أن يتعلق به الناس عليه فيتناولونه، وقد قال رسول الله ﷺ: الحقُّ مع عمار ما لم تغلب دَلهَةُ الكبر، فقد دَلِهَ وخَرِف، وكان بعد يُكثِرُ أن يقول: ليت شعري كيف يصنع الله بعمار مع بلائه وقِدَمِه في الإسلام وحَدثِه الذي أحدث.

وعن محمد وطلحة قالا: لما رجع ابنُ عباسٍ (رض) إلى عليٍّ (رض) بالخبر وكان أرسله إلى الكوفة يستنفرُ الناس لقتال أهل البصرة، فلما رجع دعا الحسنَ بنَ علي (رض) عنهما فأرسله وأرسل معه عمّارَ بن ياسر فقال: انطلق فأصلحْ ما أفسدتَ. فانطلقا حتى دخلا المسجد، فكان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، علامَ قتلتُمْ عثمان؟ قال: على شتم أعراضنا وضربِ أبشارنا، قال: والله ما عاقبتُم بمثل ما عُوقبتم به، ولئن صَبرتُم لكان خيرًا للصابرين[١].

٣٧ ـ ذكر كتاب عثمان رضي الله عنه إلى عماله بالقدوم عليه:

عن طلحة ومحمد وعطية قالوا: كتب عثمان (رض) إلى أهل الأمصار: أما بعدُ، فإني آخذُ العمالَ بموافاتي في كلّ موسم، وقد سلّطْتُ الأمةَ منذ وليتُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع إليّ شيء عليّ ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته. وليس لي ولا لعمالي حق قِبَلَ الرعية إلا متروك لهم. وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقوامًا يشتمون وآخرون يضربون. فيا من ضرب سرًا أو شتم [سرًا][٢] من ادعى شيئًا من ذلك فليواف الموسم وليأخذ بحقه حيث كان مني أو

(١) لم نقف عليه.
(٢) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري (٢/٦٤٨).

من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين. فلما قرىء في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان (رض)، وقالوا: إن الأمة لتمخض بشر، فإلامَ ذاك يسلمها؟ وما يدرون ما تلك الإذاعة وما حيلتها؟ وبعث عثمان (رض) إلى عمال الأمصار، فقدموا عليه: عبد [الله][1] بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم في المشورة سعيدًا وعمرًا، وقال: ويحكم، ما هذه الشكاة وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقًا عليكم وما يُعصب هذا إلا بي، فقالوا له: ألم نبعث؟ ألم نرفع إليك الخبر عن العوام؟ ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلًا، وما كنت لتأخذ به أحدًا ويقيمك على شيء. وما هي إلا الإذاعة لا يحل الأخذ بها ولا الانتهاء إليها، قال: فأشيروا عليّ. فقال سعيد بن العاص: هذا أمرٌ مصنوع يُصنع في السر فيلقي به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به الناس في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم ثم قتلُ الذين يخرج هذا من عندهم. وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم حتى الأدب، فإنه خير من أن تدعهم. وقال معاوية: قد وليتني فوليت قومًا لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما، قال: فما الرأي؟ قال: حُسنُ الأدب. قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لِنْتَ لهم وتراخيت عنهم وزِدْتَهم على ما كان يصنع عمرُ (رض)، وأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين. إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شرًا، واللين لمن يخلفُ الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعًا اللين.

وقام عثمانُ (رض) فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به عليّ قد سمعت، ولكل أمرٍ بابٌ يُؤتى منه. إن هذا الأمر الذي يُخاف منه على هذه الأمة كائن، وإن بابَه الذي يُغلق عليه ويكفكف به اللينُ والمؤاتاةُ والمتابعةُ إلا في حدود الله التي لا يستطيع أحد أن يتمادى بعيب أحدها، فإنْ سَدّه شيء فذاك، والله ليُفْتَحنّ وليستْ لأحد عليّ حجة حق. وقد علم الله أني لم آلُ الناسَ خيرًا ولا نفسي. ووالله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرِّكها. كَفْكِفوا الناسَ وهبوا لهم حُقوقهم، واغتفروا لهم. وإذا تُعوطِيَتْ حُقوقُ الله فلا تُدهِنوا فيها. فلما نفر عثمانُ (رض) أشخص معاوية وعبد الله بن سعد معه إلى المدينة ورجع ابن عامر وسعيدٌ

(١) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري (٢/٦٤٨).

معه. ولما استقلّ عثمانُ (رض) رجز به الحادي:

قـد عَـلِمـتْ ضَـوامِـرُ الـمـطـيِّ وضُـمَّـراتُ عُـوّجِ الـقِـسـيِّ
أن الأمـيـرَ بـعـدَه عـلـيُّ وفـي الـزُّبَـيْـرِ خَـلَفٌ رضـيُّ
وطـلـحـةُ الـحـامـي لـهـا ولـيُّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان (رض): والله بعده صاحب البغلة وأشار إلى معاوية[1].

وعن عثمان بن قطبة الأسدي عن رجل من بني أسد قال: وما زال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان حين جمعهم فاجتمعوا إليه بالموسم، ثم ارتحل فحدا به الراجز:

إن الأمـيـرَ بـعـده عـلـيُّ وفـي الـزبـيـر خـلفٌ رضـيُّ

فقال كعب: كذبتَ. صاحب الشهباء بعده، يعني معاوية. فأخبر معاوية فسأله عن الذي بلغه، فقال: نعم أنت الأمير بعده، ولكنها لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا، فوقعت في نفس معاوية.

وشاركهم من هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان عن رجاء بن حيوة وغيره قالوا: فلما ورد عثمان (رض) المدينة ردّ الأمراء إلى أعمالهم فمضوا جميعًا. وأقام سعيد بعدهم. فلما ودّع معاوية عثمان (رض) خرج من عنده، وعليه ثياب السفر، متقلدًا سيفه متنكبًا قوسه، فإذا هو بنفر من المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعليٌّ (رض). فقام عليهم فتوكأ على قوسه بعدما سلّم عليهم، ثم قال: إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذ الناس يتغالبون إلى رجال، فلم يكن منكم أحد إلا في فصيلته من يرأسه ويستبد عليه ويقطع الأمر دونه، ولا يشهده ولا يؤامره، حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ، وأكرم به من اتبعه، فكانوا يرئسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم، يتفاضلون فيه بالسابقة والقدمة والاجتهاد. فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرَهم والناسُ لهم تبعٌ، وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالُب سُلِبوا ذلك وردَّه اللهُ إلى من جعل له الغَلب، وكان يرأسُهم أولًا. فليحذروا الغِيَر فإنّ الله على البَدل قادر، وله المشيئةُ في مُلكِه وأمره. وإنّي قد خلَّفتُ فيكم شيخًا فاستوصوا به خيرًا، وكانِفوه تكونوا أسعد

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٤٨ ـ ٦٤٩) من طريق سيف عن محمد وطلحة وعطية... به، وكذا ابن عساكر في التاريخ (٣٩/٣٠٥).

منه بذلك. ثم ودَّعهم ومضى. فقال عليٌّ (رض): ما كنتُ لأرى أنّ في هذا خيرًا، فقال له الزبير: لا والله، ما كان قط أعظمَ في صدرك وصدرنا منه غداة[١].

[وقد كان معاويةُ قال لعثمان (رض) غداةَ ودّعه وخرج) يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يَهجُمَ عليك من لا قِبلَ لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزلُوا عنه. فقال: أنا أبيع جِوَارَ رسول الله ﷺ بشيء، وإن كان فيه قَطع خيطِ عُنقي؟ قال: فأبعثُ إليك جندًا منهم يقيم بين ظهراني المدينة لنائبةٍ إن نابت المدينة أو إياك. قال: أنا أُقتِر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاقَ بجُندٍ يساكنُهم، وأضيِّقُ على أهل دار الهجرة والنُّصرة؟ قال: يا أمير المؤمنين، والله لتُغْتَالنَّ أو لتُغْزَيَنَّ. فقال: حسبي الله ونعم الوكيل. فودّعه معاويةُ ثم مضى][٢].

٣٨ ـ ذكر مكاتبة السبئية أشياعهم من أهل الأمصار:

كان أهل مصر قد تابعوا أشياعهم من أهلِ الكوفةِ وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا خِلاف أمرائهم، واتعدوا يومًا حيثُ شخصَ أمراؤهم. فلم يستقم ذلك لأحدٍ منهم ولم ينهض إلا أهل الكوفة. فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها. فاجتمع إليه أصحابُه وعلى الحرب يومئذٍ القعقاع بن عمرو. فأتاه وأحاط الناس بهم فناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء؟ فوالله إني لسامع مطيع وهم، وإني للازم لجماعتي وهم. ألا إني وأصحابي أستعفي من إمارة سعيد، فقال: يستعفي الخاصة من أمر قد رضيته العامة؟ قال: فذاك إلى أمير المؤمنين. فتركهم والاستعفاء، ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك. فاستقبلوا سعيدًا فردوه من الجرعة. واجتمع الناس على أبي موسى فأقره عثمان (رض). ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج من الأمصار، فكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ويسألون عثمان (رض) عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه الأمر. فتوافوا بالمدينة. وأرسل عثمان (رض) رجلين مخزوميًا وزهريًا فقال: انظرا ما يريدون، واعلما عِلمهم. وكانا ممن قد ناله من عثمان (رض) أدب، فاصطبرا للحق، ولم يضطغنا. فلما رأوهما باثوهما

---

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٤٩) من طريق سيف عن بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسدي عن رجل من بني أسد. . . به. وكذا ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٣٠٧).

(٢) انظر في قوله: [وقد كان معاوية قال لعثمان رضي الله عنه غداة. . . الخ] تاريخ ابن عساكر (٣٩/ ٣٠٨) وهذه الزيادة ليست عند الطبراني في التاريخ.

وأخبروهما بما يريدون، فقالا: مَن معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: فكيف تريدون أن تصنعوا، قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم ونزعم لهم أنا قد قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه، وكانت إياها. فرجعا إلى عثمان (رض) بالخبر فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء النفر، فإنك إن لم تسلمهم شقوا العصا. فأما عمّار فحمل عليَّ ذنب ابن أبي لهب وعركه بي؛ وأما محمد بن أبي بكر فأنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه؛ وأما ابن سارة فإنه يتعرض للبلاء. وأرسل إلى المصريين والكوفيين، ونادى: الصلاة جامعة، وهم عنده في أصل المنبر. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجلان، فقالوا جميعًا: اقتلهم، فإن رسول الله ﷺ قال: مَن دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه. وقال عمر بن الخطاب (رض): لا أُحلُّ لكم إلا ما قبلتموه وأنا شريككم. فقال عثمان (رض): بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا، ولا نحاد أحدًا حتى يركب حدًّا أو يبدي كفرًا. إن هؤلاء ذكروا أمورًا قد علموا منها مثل الذي علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذكروني بها ليوجبوها عليّ عند من لا يعلم، وقالوا: أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم؛ ألا وإني قدمت بلدًا فيه أهلي فأتممت لهذا الأمر. قالوا: اللهم نعم. وقالوا: وحَمَيت حمى. وإني والله ما حميت إلا ما حُمي قبلي؛ والله ما حموا شيئًا لأحد، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعيه أحدًا، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحوا منها أحدًا إلا من ساق دهمًا وما لي من بعير غير راحلتين. وما لي ثاغية [ولا راغية][1]. وإني قد وُليتُ وإني لأكثر العرب بعيرًا وشاة، فما لي اليوم شاة ولا بعيرٌ غير بعيرين لحجّي، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، وقال وقالوا: وكان القرآن كتبًا فتركتَها إلا واحدًا. ألا وإن القرآن واحدٌ جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أفكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقيلهم. وقالوا: إني وددت الحَكَم وقد سيّره رسول الله ﷺ، والحكم مكيٌّ سيّره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله ﷺ. فرسول الله ﷺ سيره ورسول الله ﷺ رده، أفكذلك؟ قالوا: نعم. وقالوا: استعملت الأحداثَ، ولم أستعملْ إلا مجتمعًا محتملًا مرضيًا، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنهم، وهؤلاء أهل بلدهم، وقد ولّى مَن قبلي أحدثَ منهم. وقيل في ذلك

(١) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري (٢/ ٦٥١).

لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس ما لا يُفسِّرون. وقالوا: إني أعطيتُ ابنَ أبي سرح ما أفاء الله عليه، وإني إنما نفَّلْتُه خُمسَ ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف، وقد أنفذَ مثل ذلك أبو بكرٍ وعمر. فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددتُه عليهم، وليس ذلك لهم. أكذلك؟ فقالوا: نعم. وقالوا: إني أُحبُّ [أهلَ][1] بيتي وأُعطيهم، فأما حبي فإنهَ لم يمِل معهم على حق بل أحملُ الحقوقَ عليهم. وأما إعطاؤهم فإني إنما أُعطيهم من مالي ولا أستحلُّ أموالَ المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس. ولقد كنتُ أعطي العطِية الكثيرة والرغيبة من صلب مالي زمان رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمر، وأنا يومئذٍ شحيحٌ حريص، أفحين أتيتُ على أسنان أهل بيتي وفنيَ عُمري ووزعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا؟ إني والله ما حملتُ على مصر من الأمصار فضلًا فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددتُه عليهم، وما قدم عليَّ إلا الأخماس، ولا يَحلُّ لي منها شيء، فولي المسلمون وضعها في أهلها دوني. ولا تبلغتُ من مالِ الله بفلسٍ فما فوقه، ولا أتبلغ به، ما آكل إلا من مالي.

وقالوا: أعطيتَ الأرضَ رجالًا، وإنّ هذه الأرضين شاركَهم فيها المهاجرون والأنصار أيامَ افتُتِحت، فمن أقام بمكانه من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يُذهب ذلك ما حوى الله له. فنظرتُ في الذي يُصيبُهم مما أفاء الله عليهم فبِعتُه لهم بأمرهم من رجال أهلِ عَقار ببلاد العرب، فنقلتُ إليهم نصيبهم، فهو في أيديهم دوني.

وكان عثمانُ (رض) قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولدَه كبعض من يُعطي، فبدأ ببني العاص، فأعطى آلَ الحكم رجالهم عشرة آلاف فأخذوا مائةَ ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العِيص وفي بني حرب.

ولانت حاشيةُ عثمان لأولئك الطُّرّاء وأبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى عثمان (رض) إلا تركهم. فذهبوا فرجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم مع الحجاج كالحجاج. وتكاتبوا، وقالوا: نوعدُكم في المدينة في شوّال[2].

---

(١) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري (٢/ ٦٥١).

(٢) انظر في هذا كله الطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٠، ٦٥١). وابن عساكر في تاريخه (٣٩/ ٣١١ وما بعدها) فقد أوردا هذا الكلام ويبدو أن المصنف نقل عنهما.

عن الشعبي قال: قال عثمان (رض) يوم جمعَ الناسَ وفسّر لهم ما نقموه: والله ما لي بعير غير راحلتين، وما هذا الحمى إلا مِن فيءِ المسلمين بصدقة المسلمين. وكانوا أذاعوا أنكم ظلمتوهم واستأثرتم عليهم، ولستم أحقّ بالبلاد منهم. فلما كثُرت فيهم الشجاج والجراح وخشينا أن يقبلوهم إلى ما ينقص من الصدقات عزلناها إلى أقل الفيءِ ماءً وكلأً ليسلموا وتسلموا(١).

٣٩ ـ ذكر ما كتبه عثمان (رض) إلى الأمصار:

عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة قالوا: كتب عثمان (رض) إلى الناس بالذي كان وصبر عليه من الناس إلى ذلك اليوم، وبما عليهم: بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم. أما بعد، فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر، وأراكم من البيّنات، ونصركم على الأعداء، ووسع عليكم من الرزق، وأسبغ عليكم نعمته، فإن الله يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ إلى قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: الآيات ١٠٢ ـ ١٠٥]. وقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: الآية ٧]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ﴾ إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: الآيات ٦ ـ ٨]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية ٧٧]. وقال: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: الآية ١٦]. وقال: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ إلى ﴿تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: الآية ٩١]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ إلى ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: الآية ٤٨]. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ إلى ﴿عَظِيمٌ﴾ [النحل: الآية ٩٤]. وقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: الآية ٤٤]. وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: الآية ٥٩]. وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: الآية ٥٥] إلى آخر الآية. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

---

(١) رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٣١٤) من طريق سيف عن عبيد الطنافسي عن الشعبي. . . به.

ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: الآية ١٠].

وكتب كتابًا آخر: بسم الله الرحمٰن الرحيم. أما بعد، فإن الله عزّ وجلّ رضي لكم السمع والطاعة وكره لكم المعصية والفُرقة والاختلاف، وقد أنبأكم فعل الذين من قبلكم، وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه. فاقبلوا نصيحة الله تعالى واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف، فلا يكون لها إمام يجمعها. ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعًا، ويسلط عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرم بعض. ومتى تفعلوا ذلك تفرقوا دينكم وتكونوا شيعًا. قال الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٥٩] وإني أوصيكمْ بما أوصاكم الله به وأحذركم عذابه. وإن القرآن نزل، يُعتبر به وينتهي إليه. أولا ترؤن إلى شعيب عليه السلام قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: الآيتان ٨٩، ٩٠].

وكتب كتابًا آخر: بسم الله الرحمٰن الرحيم. أما بعد فإن أقوامًا ممن كان يقول في هذا الحديث أظهروا للناس إنما يدعون إلى كتاب الله والحق، ولا يريدون الدنيا ولا منازعةً فيها. فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى، منهم آخذٌ للحق ونازع عنه حين يُعطاه، ومنهم تارك للحق رغبة في الأمر يريدون أن يبتزوه بغير الحق، وقد طال عليهم عمري، وراث عليهم أملهم في الأمور واستعجلوا القدر. وإني جمعتهم والمهاجرين والأنصار، فناشدتهم فأدّوا الذي علموا. فكان من أول ما شهدوا به أن يُقتل من دعا إلى نفسه أو إلى أحد. وفسّر لهم ما اعتذروا به عليه وما أجابهم وشهد له عليهم، ورجع إليهم الذين شخصوا لا يستطيعون أن يظهروا شيئًا، حتى إذا دخل شوال سنة اثنتي عشرة ضربوا كالحجاج، فنزلوا قرب المدينة[1].

٤٠ ـ ذكر حصار عثمان (رض):

عن محمد وطلحة وأبي عثمان وأبي حارثة قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق، عليهم أربعة أمراء، المقلل يقول: ستمائة،

(١) روى هذه الكتب الثلاث التي كتبها عثمان إلى الأمصار ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣١٥، ٣١٦) من طريق سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة. . . به.

والمكثر يقول: ألف، وعلى الرفاق عبد الرحمٰن بن عُدَيْس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حُمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، على القوم جميعًا الغافقي بن حرب العكّي. ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، إنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء.

وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، على الرفاق زيد بن صُوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدُ الله بن الأصمِّ أحد بني عامر بن صعصعة، وعليهم جميعًا عمرو بن الأصم، وعددهم كعدد أهل مصر.

وخرج أهل البصرة في أربع رفاق، وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبِشر بن شُرَيْح بن الحُطَم بن ضُبَيعة القَيسيّ، وابن مُحَرش بن عبد عمرو الحنفيّ، وعددُهم كعددِ أهل مصر، وأميرُهم جميعًا حُرقوصُ بن زهير السّعدي، سوى من تلَاحقَ بهم من الناس.

وكان أهلُ مصر يشتهون عليًا (رض)، وأهلُ البصرة كانوا يَشتهون طلحة (رض)، وأهلُ الكوفة كانوا يشتهون الزبير. فخرجوا وهم على الخروج جميعٌ وفي التأمير شتى، لا تشكُّ كلُّ فرقةٍ إلا أن الفلجَ معها، وأنّ أمرها سيتمّ دونَ الأخريين فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاثٍ تقدم أناسٌ من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُبٍ، وأناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوصَ، وجاءهم أناس من أهل مصر، وتركوا عامّتهم بذي المَرْوة. ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زيادُ بنُ النضر وعبدُ الله بن الأصمّ، وقالا: لا تَعجَلوا ولا تُعجِلوا حتى نَدخُلَ لكم المدينة ونرتاد، فإنه قد بلغنا أنهم قد عسكروا لنا. فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قِتالنا ولم يعلموا عِلمَنا فإنهم علينا، إذا علموا عِلمنا أشدُّ، وإنّ أمرَنا هذا لباطل. وإنْ لم يستحلّوا قتالَنا ووَجَدنا الذي بلغنا باطلًا لنرجِعَنّ إليكم بالخبر. قالوا: اذهبا. فدخل الرجلان فلقيا أزواجَ النبيّ ﷺ وطلحةَ والزبيرَ وعليًا رضي الله عنهم وقالا: إنما نروم هذا البيت، يعني مكة، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا. وما جئنا إلا لذلك. واستأذناهم للناس [بالدخول][1] فكلهم أبى ونهى وقال: بَيْضٌ ما يفرّخنَ. فرجعا إليهم.

فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوا عليًا (رض)، ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة، ومن أهلِ الكوفة نفرٌ أتوا الزبيرَ (رض)، وقال كل فريق منهم: إن بايعوا صاحبَنا وإلا

(١) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري.

كِدناهم، وفرّقنا جماعتهم، ثم كرَرْنا حتى نبْغَتَهم، فأتى المصريون عليًّا رضي الله عنه وهو في عسكر عند أحجار الزيت، عليه حلة أفواف، معتّم بشقيقةٍ حمراء يمانية، متقلّد السيف، ليس عليه قميص، وقد سرّح الحَسَنَ إلى عثمان رضي الله عنهما فيمن اجتمع إليه، والحسنُ جالسٌ عند عثمان رضي الله عنهما، وعليٌّ (رض) عند أحجار الزيت. فسلّمَ عليه المصريون وعرَّضوا له بالإمارة، فصاح بهم وطرَدَهم وقال: قد عَلِم الصالحون أن جيشَ ذي المَرْوة وذي خُشُب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ. فارجعوا لا صَحِبَكم الله. فانصرفوا من عنده على ذلك، وأتى البصريون طلحة (رض) وهو إلى جَنْبِ عليّ (رض) وقد أرسل ابنيه إلى عثمان (رض). فسلّم البصريون عليه وعرّضوا له، فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خُشُب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، وأتى الكوفيون الزبير (رض) وهو في جماعةٍ أخرى وقد سرّحَ ابنه عبدَ الله إلى عثمان رضي الله عنهما، فسلّموا عليه وعرّضوا له. فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد [عَلِمَ][1] المسلمون أنّ جيشَ ذي المروة وذي خُشُبِ والأعوص ملعونون على لسانِ محمد ﷺ.

فخرَج القومُ وأرَوْهم أنهم يرجعون. فارتفعوا عن ذي خُشُب والأعوص حتى أتوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل كي يفترقَ أهلُ المدينة ثم يكرون. فافترق أهل المدينة لخروجهم. فلما بلغ القوم عساكرهم كرّوا بهم فبغتوهم، فلم يفجأ أهلُ المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في موضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان (رض)، وقالوا: مَن كفَّ يده فهو آمِن. وصلّى عثمان (رض) بالناس أيامًا. ولزم الناسُ بيوتَهم. ولم يمنعوا أحدًا من كلام. فأتاهم الناسُ فكلموهم، وفيهم علي (رض)، فقال لهم علي (رض): ما ردّكم بعد ذهابكم ورجوعِكم عن رأيكم؟ فقالوا: أخذنا مع بريد كتابًا بقتلنا. وأتاهم طلحة (رض) فقال البصريون مثل ذلك. وأتاهم الزبير (رض)، فقال الكوفيون مثل ذلك. وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم، وقالوا جميعًا كأنما كانوا على ميعاد [فقال لهم علي][1]: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة. قالوا: فضعوه على ما شئتم. لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا، وهو في ذلك يصلي

---

(١) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري.

بهم وهم يصلّون خلفه، ويغشى من شاء عثمان (رض). وهم في عينه أدقُّ من التراب، وكانوا لا يمنعون أحدًا الكلام، وكانوا زمرًا بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع.

وكتب عثمان (رض) إلى أهل الأمصار يستمدهم: أما بعد، فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالحقّ بشيرًا ونذيرًا فبلّغ عن الله ما أمره به ثم مضى. وقد قضى الذي عليه وخلّف فينا كتابه فيه حلالُه وحرامه وبيانُ الأمور التي قدّر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا. فكان الخليفة أبو بكر ثم عمر. ثم أُدخلت في الشُورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ الأمة. ثم اجتمع أهلُ الشورى عن ملأ منهم ومن الناس عن غير طلبٍ مني ولا محبة. فعملت فيهم بما يعرفون ولا ينكرون، تابعًا غير مُستتبع، متَّبِعًا غيرَ مبتدع، مقتديًا غير متكلفٍ. فلما انتهت الأمورُ وانتكث الشرُّ بأهله، بدت ضغائنُ وأهواء على غير اجترام ولا تِرَةٍ فيما مضى إلا إمضاء الكتاب. فطلبوا أمرًا وأعلنوا غيرَه بغير حُجةٍ ولا عُذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأٍ من أهلِ المدينة لا يصلح غيرها، فصبّرتُ لهم نفسي وكففتُها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله جُرأةً، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحَرمِه وأرض الهجرة، وثابَتْ إليهم الأعراب، فهم كالأحزابِ أيامَ الأحزاب أو من غزانا بأُحُدٍ إلا ما يُظهرون. فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

فأتى الكتابُ أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول. فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري في جيش، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حُديج السكوني، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو. وكان المحضضون بالكوفة على إغاثة أهل المدينةِ عقبة بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة بن الربيع التميمي في أمثالهم من أصحاب النبيّ ﷺ، وكان المحضضون بالكوفة من التابعين أصحاب عبد الله بن مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وشُريح بن الحارث، وعبد الله بن عكيم في أمثال لهم، يسيرون فيها ويطوفون على مجالسها ويقولون: يا أيها الناس، إن الكلام اليوم وليس غدًا، وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غدًا، وإن القتال يحلُّ اليوم ويحرم غدًا. انهضوا إلى خليفتكم وعصمة أمركم. وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبيّ ﷺ يقولون مثل ذلك. ومن التابعين كعب بن سور، وهرم بن حيّان العبدي وأشباه لهما يقولون مثل ذلك. وقام بالشام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء. وأبو أُمامة في أمثالهم من أصحاب

النبيّ ﷺ [يقولون مثل ذلك][١]، ومن التابعين شريك بن حُباسة النميري، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمٰن بن غنم بمثل ذلك. وقام بمصر خارجة بن زيد في أشباه له. وقد كان بعض المحضضين شهِد قدومهم، فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك فأقاموا فيهم. ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله ﷺ خرج عثمان (رض) فصلّى بالناس ثم قام على المنبر، فقال: يا هؤلاء الغزا، الله الله! فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم لملعونون على لسان محمد ﷺ. فامحوا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يمحو السيىء إلا بالحسن. فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك. فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: ابغِني الكتاب. فثار إليه من ناحيةٍ أخرى محمد بن أبي قُتيرة فأقعده، وقال: فاقطع، وثار القومُ بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمانَ (رض) حتى صُرِع عن المنبر مغشيًا عليه، فاحتُمِلَ وأُدخلَ داره. وكان المصريون لا يطمعون في أحدٍ من أهل المدينة أن يُساعدهم إلا في ثلاثة نفر، فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حُذيفة، وعمّار بن ياسر، وشمّر أناسٌ من الناس فاستقتلوا، منهم سعد بن مالك وأبو هريرة وزيد بن ثابت والحسن بن علي (رض) عنهم. فبعث إليهم عثمانُ (رض) بعزمه لما انصرفوا، فانصرفوا. وأقبل عليٌ (رض) حتى دخل على عثمانَ (رض)، وأقبل طلحةُ (رض) حتى دخل عليه، وأقبل الزُّبيرُ (رض) حتى دخل عليه، يعودونه من صَرْعته ويشكون إليه بثهم، ثم رجعوا إلى منازلهم[٢].

وذكر ابن الأثير في تاريخه: أنه لما جاء عليٌ وطلحة والزبير إلى عثمان (رض) عنهم يعودونه من صرعته ويحكون إليه ما يجدون وكان عنده نفرٌ من بني أمية، فقالوا كلُّهم لعلي (رض): أهلكتَنا وصَنَعْتَ هذا الصنيع. فقام مغضبًا، وعاد هو والجماعةُ إلى منازلهم. وصلّى عثمان (رض) ثلاثين يومًا ثم منعوه الصلاة. وصلّى بالناس أميرُهم الغافقي، وتفرّق أهلُ المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتَهم. ودام الحصارُ أربعين يومًا. ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح ومنعوه الماء[٣].

---

(١) ما بين [ ] زيادة من تاريخ الطبري.

(٢) هذا الخبر في حصار عثمان رضي الله عنه رواه بطوله الطبري في التاريخ (٢/ ٦٥٢) وما بعدها. عن طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي عثمان وأبي حارثة... به. ومن هذا الطريق أيضًا أخرجه بطوله ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٣١٧) وما بعدها.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٦٢). وما بين المعكوفين زيادة منه ليست بالأصل.

ثم إن عليًا (رض) تردّدَ بينهم وبين عثمان (رض) وزجرهم وأمرهم بالرجوع فلم يقبلوا. وقال علي لعثمان رضي الله عنهما: والله إني لأكثر الناس ذبًا عنك، ولكني كلما جئتُكَ بشيءٍ أظنه لك رِضًى، جاء مروانُ بأخرى فسمعتَ قولَه وتركتَ قولي. وأتى علي (رض) بيتَ المال ففتحه وأعطى الناسَ فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده، وكان قد اجتمع عليه الناس، فسرّ بذلك عثمانُ (رض). وجاء طلحةُ فدخل على عثمان رضي الله عنهما وقال: يا أميرَ المؤمنين، أردتُ أمرًا فحالَ الناس بيني وبينه. فقال له عثمانُ (رض): والله ما جئتَ تائبًا ولكن جئتَ مغلوبًا، الله حسبك يا طلحة.

وروى محمد بنُ سعد في كتاب الطبقات بإسناده عن جابر بن عبد الله (رض) أنّ المصريين لما أقبلوا من مصر يريدون عثمان (رض)، فنزلوا بذي خُشُب، دعا عثمان (رض) محمدَ بن مَسلَمة وقال له: اذهبْ إليهم فارددُهم عنّي وأعطهم الرضا، وأخبرْهم أني فاعل فاعل بالأمور التي طلبوا، ونازعٌ عن كذا كذا للأمور التي تكلموا فيها. فركبَ محمدُ بن مَسلَمة إليهم. قال جابر: وأرسل [معه][1] عثمانُ (رض) خمسينَ راكبًا من الأنصار أنا فيهم، وكان رؤساؤهم أربعةً: عبد الرحمٰن بن عُدَيس البَلَوي، وسُودانَ بن حُمران المراديّ، وابنَ النبّاع، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي. فأتاهم محمدُ بنُ مسلمة فقال: إنّ أميرَ المؤمنين يقول كذا ويقول كذا وأَخْبَرَهم بقوله، فلم يَزَل بهم حتى رجعوا. فلما كانوا بالبُوَيب رأوا جملًا عليه مِيسَم الصدقة فأخذوه، فإذا غلامٌ لعثمان (رض)، فأخذوا متاعه ففتشوه، فوجدوا فيه قصبة من رصاص فيها كتاب في جوف الأداوة في الماء إلى عبد الله بن سعد أن افعل بفلان كذا وبفلان كذا من القوم الذين شرعوا في عثمان (رض). فرجع القوم ثانية حتى نزلوا بذي خشب، فأرسل عثمان (رض) إلى محمد بن مسلمة، فقال: اخرج فارددهم عني، فقال [لا][1] أفعل. قال: فقدموا فحصروا عثمان (رض). قال: وحدّثني عبد الله بن الحارث بن الفضل عن أبيه عن سفيان بن أبي العوجاء قال: أنكر عثمان أن يكون كتب ذلك الكتاب أو أرسل ذلك الرسول، وقال: فُعِل ذلك دوني. وفي رواية أخرى قال محمد بن مسلمة: صدق، هذا فعل مروان. ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أبي إسحٰق عن عمرو بن الأصم قال: كنت فيمن أُرسلوا من جيش ذي خشب، قال: فقالوا لنا: سلوا أصحاب رسول الله ﷺ، واجعلوا آخر من تسألون عليًا (رض) [أنقدم][1]

(١) ما بين [ ] زيادة من الطبقات لابن سعد.

قال: فسألناهم فقالوا: اقدموا، إلا عليًا (رض) قال: لا آمركم، فإن أبيتم فبيض فليفرخ[١].

وروى سيف بن عمر التميمي عن أبي عمرو عن الحسن، قال: قلت له: شهدت حصر عثمان (رض)؟ قال: نعم، وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد، فإذا كثر اللغط جثوت على ركبتي أو قمت. وأقبل القوم حتى نزلوا المدينة: المسجد وما حوله، واجتمع إليهم الناس من أهل المدينة يُعظمون إليهم ما صنعوا، وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم. فبينما هم كذلك في لغطهم. حُرِّك الباب فطلع عثمان (رض) فكأنما كانت نار فأطفئت، فعمد إلى المنبر فصعده، فحمد الله وأثنى عليه. فثار رجل فتكلم فأقعده رجل، وقام آخر فأقعده آخر، حتى ثار القوم فحصبوا عثمان (رض) حتى صرح، فحمل فأدخل. وصلّى بهم عشرين يومًا ثم منعوه من الصلاة[٢].

وعن محمد وطلحة وأبي حارثة قالوا: صلّى عثمانُ (رض) بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يومًا ثم إنهم منعوه الصلاة، فصلّى بالناس أميرُهم الغافقي. دان له المصريون والكوفيون والبصريون، وتفرّق أهلُ المدينة إلى حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يخرجُ أحدٌ منهم، ولا يجلسُ إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهقِ القوم. فكان الحصارُ أربعين وفيهن كان القتل، ومن تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح. وكانوا قبل ذلك ثلاثين يومًا يكفون عن الناس ويحتملون لهم الكلام[٣].

ولما رأى زيد وزياد وعمرو بن الأصمّ أصحابَ رسول الله ﷺ مع عثمان (رض) وأنهم لا يجيبونهم، رجعوا من بين أهل الكوفة. وأعاد عثمان (رض) الكتاب إلى الأمراء. إنّ أمر هؤلاء قد بان، وإنهم قد حاولوا الإسلام ولم يجترئوا على المباداة. وإن يبقوا فسيبدون ما يكنّون. قد أعذرنا إلى القوم واحتججنا عليهم مرة بعد مرة، كلما ثبتت عليهم حُجةٌ أو بلغهم عذرٌ عاندوا وكابروا، وهم بالمدينة زُمَر، قد خربوا ومنعوا منا الصلاة وحالوا بيني وبين المسجد، وانتزوا الأمر وكثروا، وعزوا أهل البلد. فلما لم يجدوا جرحًا أُجرحُ به، ولا دمًا أُقتل به، ولا ضربةَ سوطٍ إلا بحقّ، ولا درهمًا قالوا: لا نرضى إلا بأن تعتزلنا. وهيهات لهم والله من أمر ينال به

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٥) بسنده عن جابر بن عبد الله من طرق في موضع واحد.
(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٥٤) من طريق سيف عن أبي عمرو... به.
(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٥٥) إلى هذا الموضع من طريق سيف عن محمد وطلحة... به. وما يليه من كلام فهو تمام الرواية كما عند ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٤٣٠).

الشيطانُ فيما بعدَ اليوم من سلطان الله حاجته، فأدركوا الفتنة قبل تَدَفقها. ولما ورد الكتابُ على معاوية قامَ في الناس وتكلم وقال: إنّ من الحقّ المعونة على الحق، ومن كان مع الحق كان الله معه، انهضوا إلى سلطان [الله][1] فأعزوا يعزّكم وينصُرُكم، ولا تخذلوه فيستبدل الله بكم غيرَكم، ويُدال منكم.

وقد كان أقوامٌ من أهل الأمصار شهدوا أولَ هذا الأمر بالمدينة ثم ضربوا إلى أمصارهم: منهم عمرو بن العاص أتى فلسطين، وحنظلة الكاتب أتى الكوفة، وأبو أُمامة أتى الشام، وسمرةُ بن جُندب أتى البصرة.

وقام ابنُ عامرٍ بالبصرة فقال: أَمِدّوا خليفتكم، وذودوا عن سلطانكم وسابقوا إليه عدو الله وعدو المسلمين. فوالله لئن أدركتموه لتُعصمنّ، ولئن سُبِقْتُم إليه ليبلوَن. فقام أبو موسى (رض)، فقال: إن الله قد افترض عليكم نصر دينه، وإنما قِوام هذا الدين السلطان. بادروا سلطان الله لا يُستذل. ففصل القوم [من][2] بلدانهم وضربوا نحو المدينة. وبلغ القومَ بالمدينة الخبرُ فزيّنَ لهم الشيطان سوء أعمالهم ليغلقهم فيرتهنهم بها. فضيّقوا على عثمان (رض)، واشتدوا على مَن يعرض لهم بالبسط. وفتح عثمانُ الباب وسمع بذلك أبو هريرة فأقبل فقال: طاب امضَرب. وسمع ذلك زيدُ بن ثابت فقال: يا معشرَ الأنصار، انصروا الله مرتين. وسمع بذلك سعدُ بن مالك، فأقبل محتجزًا قوسه والسيف. فبعث إليهم عثمانُ (رض): إن كنتم ترون الطاعة والحق فأغمدوا أسيافكم وانصرفوا عنا ولا تستقتلوا. وجاء كثير بن الصلت عديد بني أُميّة فدخل عليه، وقال: لو خرجْتَ فأريت الناسَ وجهك فقد انكسر الناس، فقال: يا كثير، البارحة رأيتني وكأني دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: قد صَبرتَ فلن يدركك المسلمون حتى تُقتل فارجِع فإنك مُفطِر عندي يوم كذا وكذا، ولن تغيب الشمس والله يوم كذا إلا وأنا من أهل الآخرة. وفي رواية قال: دخل عليه كثير بن الصلت فقال: يا أميرَ المؤمنين، اخرج فاجلس في الفناء، فيرى وجهَك الناس، فإنه إن فعلت ارتدعوا. فضحك وقال: يا كثير، رأيت البارحة وكأني دخلت على نبيّ الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر (رض) عنهما، فقال: ارجع فإنك مفطر عندي غدًا، ولن تغيب الشمس والله غدًا أو يوم كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة. ووضع سعد وأبو هريرة (رض) السلاح وأقبلا

(١) ما بين [ ] زيادة من ابن عساكر.
(٢) ما بين [ ] زيادة من ابن عساكر في تاريخه.

حتى دخلا على عثمان (رض) عنهم[1].

٤١ ـ ذكر أمر عثمان (رض) الناس بالكف عن القتال:

قد ذُكِرَ أن عثمان (رض) قال لأبي هريرة وزيد بن ثابت وسعد بن مالك رضي الله عنهم لما جاؤوا بالسلاح ليذبوا عنه وهو محصور: إن كنتم ترون الطاعة والحقّ فأغمِدوا أسيافكم وانصرفوا عنا ولا تستقتلوا[2].

وعن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما وضَعَ القومُ السلاح ودخلوا على عثمان (رض) وغشِيَه الناس، قالوا: ما رأيك؟ وقالوا: هلمّ نَشْري ونستقتل. قال: فمن للأمر غدًا، ورد، والله، هؤلاء؟ لو عرّضتكم لذلك لصرّحوا غدًا بما يُكِنُّون اليوم، وإنَّ رأيي اليومَ رأيي أمس، فدعوني واخرجوا عني. فلما جعلَ لا يأتيه أحدٌ للشراء والاستقتال أحب أن يجد من يُعينُه على صرفهم. وجاء عبدُ الله بن سلام حتى دخل، فقال: يا ابنَ سلام، ما ترى في الشراء والاستقتال؟ قال: أوَأُمرتَ بالصبر إلا قليلًا؟ اصبر، فإنا نجد في كتاب الله المنزل أنك يوم القيامة أمير على القاتل الآمر. وفي رواية أخرى، لما دخل عبدُ الله على عثمان رضي الله عنهما في آخر ما دخل عليه الناس، فقال له عثمان (رض): ما ترى في القتال والكفّ؟ قال: الكفُّ أبلغُ للحُجَّة، وإنا لنجدُ في كتاب الله أنك يوم القيامة أميرٌ على القاتل والآمر[3].

وعن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما رأى القومُ أن الناسَ قد ثابوا إلى عثمان (رض) وضعوا على عليّ (رض) رقيبًا في نفر فلازمه، ورقيبه خالد بن ملجم، وعلى طلحة (رض) رقيبًا في نفر فلازمه ورقيبه سودان بن حمران، وعلى الزبير (رض) رقيبًا في نفر فلازمه ورقيبه قُتَيْرَة، وعلى نفر بالمدينة. قالوا لهم: إن تحركوا فاقتلوهم. وذكر الناس بهم فراسة عمر (رض)، أيام مرّوا به فتردَّدَ في إرسال بهم، وجعل يقول: ما مرّ بي قوم من العرب أكره إليّ منهم، فازداد الناس بصيرة وبهم علمًا.

---

(١) أخرجه بطوله ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة... به.

(٢) انظر ابن عساكر في تاريخه (٣٩/ ٤٣٢) فقد ذكر ذلك ضمن روايته.

(٣) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٤٣٢) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة... به.

ولما لم يستطع هؤلاء النفر غشيان عثمان (رض)، بعثوا أبناءهم إلى عثمان (رض). فأقبل الحسن بن علي (رض) حتى قام عليه، وقال: مرنا أمرك، فقال: يا ابن أخي، أوصيك بما أوصي به نفسي، وتأول: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: الآية ١٢٧] ووالله لأقينّكم بنفسي ولأبذلنها دونكم أو تعرضوا لهم، فأنتم وذاك. وجاء النعمان بن بشير فقال مقالة الحسن (رض)، ورد عليه عثمان (رض) مثل ذلك. وجاء عبد الله بن الزبير (رض) فقال له مثل ذلك. وجاء محمد بن طلحة (رض) فقال له مثل ذلك. وجاء أبو الهيثم بن التيهان فقال: كيف بتَّ يا أمير المؤمنين؟ فقال: بخير. قال أبو الهيثم: بأبي أنت وأمي، اصبر ولا تعط الدنية، ولا تهدم سلطان الله، فقال عثمان (رض) متمثلًا:

لعمري لموتٌ لا عقوبة بعده ... لذي اللبِّ أشفى من شقا لا يزايله

فعرف الناس أنه لا يعطيهم شيئًا وأفرحهم بذلك[1].

وعن ابن أبي القاسم الشنوي عن نافع قال: ورافقني بالساحل فسألته عن أمر عثمان (رض)، فقال: سمعت عبد الله بن عمر (رض) يقول: أرسل إليّ عثمان (رض) وهو محصور، وقد فتح الباب ودخل عليه الناس، فقال: ما ترى فيما يعرض هؤلاء وهؤلاء، الذين يأمرونه بالاستقتال والذين يحصرونه على الخلع أو القتل؟ فقال: وما يعرضون عليك؟ فقال: أما هؤلاء فاستقتال، ووالله ما أجد ما أمتنع به ولا أمنعهم به، وأما هؤلاء فإنهم يعرضون عليّ أن أخلعها وألحق بمنزلي، فوالله لهم أهون عليّ إن لم أُوجَرْ عليها من قتال، فقلت له: أن تستقتل تُقتل أعلامُ الدين ولا يبقى أحد، فلا تفعل. وأما ما عرض هؤلاء فلا تفعل، أمخلَّدٌ أنتَ إذا أنت خلعتَها؟ قال: لا، قلت: فقاتِلوك إنْ أنتَ لم تخلعها؟ قال: زعموا ذاك. قلت: يملكون تعجيلَ يومك أو تأخيره؟ قال: لا، قلت: أيملكون لك جنة أو نارًا؟ قال: لا، قلت: فلا أرى أن تخلعَ قميصًا قمَّصك الله، فيكون ذلك سُنّة، كلما كره قومٌ خَليفتهم أو إمامهم خلعوه حتى لا يقوم لله دين ولا للمسلمين نظام. وأدخِل معي في ذلك غيري، ففعل. فأدخل في ذلك من شهد أو غاب عنه، فاجتمع الملأ بأنَّ الخيرَ في الصبر،

---

(١) رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٤٣٢، ٤٣٣) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان... به.

فقال: اللَّهمَّ إني أشري بنفسي في صلاح الدين، فجاد والله بنفسه نظرًا لله ولدينه، وحقن دماء المسلمين(١).

٤٢ ـ ذكر الصلاة خلف المصريين:

عن مبشّر بن الفُضيل عن سالم قال: قلت له كيف صنيعُ الناسِ بالصلاة خلف المصريين؟ قال: كرهها كلُّهم إلا الأعلام، فإنهم خافوا على أنفسهم، فكانوا يشهدونها إذا شهدوها، ويلوذون منها بضياعهم إذا تركوا(٢).

وعن سهل بن يوسف عن أبيه، قال: كره الناسُ الصلاةَ خلف المصريين ما خلا عثمان (رض) فإنه قال: من دعاكم إلى الصلاة فأجيبوه، فإنه خير، حتى يستوجبوا حدًّا إلى أن يُقام على صاحبِهِ أو يتوب(٢).

وعن ياسين بن معاذٍ الزيات عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: دخلتُ على عثمان (رض) في الدار وهو محصور، وكنانةُ بن بشر يُصلي بالناس، فقلت: كيف ترى في الصلاة مع هؤلاء وأنت الأمير؟ فقال: إنّ الصلاة من أحسن ما عمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسنوا معهم، وإذا أساؤوا فأحسنوا إساءتهم(٢).

وهذه النصوص تدل على جواز الصلاة خَلفَ البُغاة والمتغلّبين، لأن هؤلاء القوم كانوا بغاة.

وعن بدر بن عثمان عن عمه قال: آخرُ خطبة خطبها عثمان (رض) في جماعة قال: إنّ الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يُعطِكموها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى والآخرةُ تبقى، فلا تبطِرَنّكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الآخرة فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصيرَ إلى الله. اتقوا الله، فإن تقواه جُنّة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من اللهِ الغِيَر، والزموا جماعتَكم، ولا تصيروا أحزابًا، ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣] إلى آخرِ الآيتين(٣).

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/٣٥٨) من طريق سيف عن أبي القاسم الشنوي... به.
(٢) لم نقف عليه.
(٣) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٩٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/٣٨) من طريق سيف عن بدر بن عثمان... به.

الباب السادس

فيما قيل لعثمان (رض) في الخلع وما قال لهم

٤٣ ـ عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما استشار عثمان (رض) وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله قال: اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب، وليجامعكم هؤلاء الذين حُبسوا عني. وأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير (رض) عنهم: أن ادنوا، فاجتمعوا. فأشرف عثمان (رض)، فقال: يا أيها الناس، اجلسوا. فجلسوا جميعًا، المحارب الطارىء والمسالم المقيم، فقال: يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يُحسن عليكم الخلافة من بعدي. إني والله لا أُدخل عليّ أحدًا بعد يومي هذا حتى يقضي الله فيّ قضاءه، ولأدعنّ هؤلاء وما وراء بابي غير معطيهم شيئًا يتخذونه عليكم دخلًا في دين أو دنيا، وحتى يكون الله الصانعَ في ذلك ما أحبّ. وأمر أهل المدينة بالرجوع، وأقسم عليهم. فرجعوا إلا الحسن ومحمدًا وابن الزبير (رض) وأشباهًا لهم، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم وثاب إليهم أناس ولزم عثمان (رض) الدار[1].

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناده عن ابن عمر (رض) قال: قال لي عثمان (رض) وهو محصور في الدار: ما ترى فيما أشار عليّ به المغيرة بن الأخنس؟ قال: قلت: ما أشار به عليك؟ فقال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني وإن لم أخلع قتلوني، قال فقلت: أرأيت إن خلعت تترك مخلدًا في الدنيا؟ قال: لا، قال قلت: فهل يملكون الجنة والنار؟ قال: لا، قال: قلت: أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قَتْلك؟ قال: لا، قلت: فلا أرى أن تَسُنَّ هذه السنَّةَ في الإسلام، كلما سَخِط قومٌ على أميرهِم خلعوه، فلا تخلعْ قميصًا قمّصك الله. وقد تقدَّم معنى هذا. قالوا: وكانوا يَدْخُلون على عثمان

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٣٣) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان... به.

(رض) وهو محصور فيقولون: اعتزلنا، فيقول: لا أنزعُ سربالًا سَرْبَلنيه الله، ولكن أنزعُ عما تكرهون[١].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن إسماعيل بن أبي خالدٍ عن قيس قال: أخبرني أبو سَهْلة مولى عثمان (رض) قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه: وَدِدْتُ أنَّ عندي بعض أصحابي. قالت عائشة رضي الله عنها، فقلت: يا رسول الله، أدْعو لَك أبا بكر؟ فأُسكت، فعرفتُ أنه لا يريده، فقلت: أدعو لك عليًا؟ فأُسكت، فعرفت أنه لا يريده، قلت: فأدعو لك ابنَ عفّان؟ قال: نعم. فدعوتُه، فلما جاء أشار إليّ رسول الله ﷺ أن تَباعَدي. فجاء عثمان (رض)، فجلسَ إلى النبيّ ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول له؛ ولونُ عثمان يتغيّر. قال قيس: فأخبرني أبو سَهلة قال: لما كان يومُ الدار قيل لعثمان (رض): ألا تقاتل؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إليّ عَهدًا وإني صابر عليه. قال أبو سَهلَة: فَيَرَوْنَ أنه ذلك اليوم. ورُوي أيضًا بإسناده عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن عبد الرحمٰن بن جُبير قال: قال رسول الله ﷺ لعثمان (رض): إنَّ الله كساك يَومًا سِرْبالًا فإن أرادك المنافقون على خَلْعِه فلا تَخْلَعْه لظالم[٢].

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف قال: كنت مع عثمان (رض) في الدار وهو محصور، قال: فكنا ندخل مدخلًا إذا دخلنا سمعنا كلام من على البلاط، قال: فدخل عثمان (رض) يومًا لحاجة فخرج إلينا منتقعًا لونه، فقال: إنهم ليتوعدونني بالقتل آنفًا، قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل دم امرىء مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفس بغير نفس، فوالله ما زنيتُ في جاهلية ولا في إسلام قط ولا تمنيت أن لي بديني بدلًا منذ هداني الله، ولا تقتل نفسًا، ففيم يقتلونني؟

وعن مجاهد قال: أشرف عثمان (رض) على الذين حاصروه فقال: يا قوم، لا تقتلوني، فإني والٍ وأخٌ مسلم، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت، أصبت أم أخطأت، وإنكم إن تقتلوني لا تصلّوا جميعًا أبدًا ولا تغزوا جميعًا أبدًا ولا يقسم

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٦)، وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة في المصنّف (٧/ ٥١٥) عن ابن عمر.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٧)، وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة في المصنّف (٦/ ٣٦٠) عن أبي سهلة مولى عثمان.

فيئكم، قال: فلما أبوا قال: أنشدكم الله هل دعوتم عند وفاة أمير المؤمنين بما دعوتم به وأمركم جميعًا لم يتفرق، وأنتم أهل دينه وحقه، فتقولون: إن الله لم يُجب دعوتكم؟ أم تقولون: هان الدين على الله؟ أم تقولون: إني أخذت هذا الأمر بالسيف والغلبة ولم آخذه عن مشورة من المسلمين؟ أم تقولون: إن الله لم يعلم من أوّل أمري شيئًا لم يعلمه من آخره؟ فلما أبوا، قال: اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا. قال مجاهد: فقتل الله منهم مَن قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى المدينة عشرين ألفًا فأباحوا المدينة ثلاثًا يصنعون ما شاؤوا لمداهنتِهم في أمر عثمان (رض)[1].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن عمرو بن عثمان عن أبي لبيبة: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حُصرَ أشرفَ عليهم من كوّةٍ في الدار فقال: أنشدكم بالله هل فيكم طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أنشدُكَ الله هل تعلم أنه لما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بيني وبين نفسه؟ فقال طلحة: اللهم نعم. فقيل لطلحة في ذلك، فقال: نشَدني وأمرٌ رأيتهُ، ألا أشهدُ به[2].

وعن راشد بن كَيسان العَبسي أن عثمان رضي الله عنه بعثَ إلى علي (رض)، وهو محصور في الدار: ائتني، فقام عليٌّ (رض) ليأتيَه، فقام بعضُ آل علي رضي الله عنه حتى حبسه، وقال: ألا ترى إلى ما بين يديك من الكتائب لا تخلص إليه؟ وعلى عليٍّ رضي الله عنه عمامة سوداءُ، فنفضها عن رأسه، ثم رمى بها إلى رسولِ عثمان (رض)، وقال: أخبرهُ بالذي قد رأيتَ. ثم خرج عليٌّ (رض) من المسجد حتى انتهى إلى أحجار الزيتِ في سوق المدينة، فأتاه قتلُه، فقال: اللهم إني أبرأُ إليكَ من دمِه أنْ أكونَ قتلتُ أو مالأتُ على قتلِه[3].

وعن علقمة بن وقّاصٍ قال: قال عمرو بن العاص لعثمانَ رضي الله عنه وهو على المنبر: يا عثمان، إنكَ قد ركبت بهذه الأمة نهابيرَ من الأمر، أي شدائد، فتُبْ وليتوبوا معك، قال: فحوّل وجهَه إلى القبلة، فرفع يديه فقال: اللهم أستغفرك وأتوبُ إليك، ورفع الناسُ أيديهم[4].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٤٩) عن مجاهد.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٤٤) من طريق ابن سعد. . . به.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٨)، ومن طريق ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٣٧٠).
(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٩)، ومن طريق ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٥).

وعن شَبابة بن سَوّار الفِزاري [قال][١]: وحدّثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: سمعت عثمان بن عفان (رض) يقول: إنْ وجدُتم في كتاب الله أن تضعوا رِجْلَيَّ في قيودٍ فضعوهما[٢].

وروى سيف بن عمر عن الضُرِيس بن معاوية بن صَعْصَعَة عن هلال بن جاوان عن صَعْصَعة بن معاوية التميمي قال: أرسلَ عثمان (رض) وهو محصورٌ إلى علي وطلحة والزبير وأقوام من الصحابة رضي الله عنهم فقال: احضروا غدًا وكونوا حيثُ تسمعون ما أقول لهذه الخارِجة، ففعلوا. وأشرف عليهم عثمان (رض)، فقال: أنشدُ بالله، من سمع النبيَّ ﷺ يقول: مَن يشتري هذا المِرْبَدَ ويزيدُه في مسجِدنا وله الجنة وأجره في الدنيا ما بقي درجات له، فاشتريتُه بعشرين ألفًا وزدتُه في المسجد؟ قالوا: اللهم نعم، وقال الخوارج: صَدَقوا ولكن غَيَّرْتَ، قال: أنشد بالله، من سمع رسول الله ﷺ يقول: من يُجهزُ جيشَ العُسْرة وله الجنة، فجَهَّزْتُه حتى ما فقدوا عِقالًا ولا خِطامًا؟ قالوا: نعم، فقال الخوارج: صَدَقُوا، ولكنك غيَّرْتَ. قال: أنشد بالله من سَمِعَ رسول الله ﷺ يقول: مَن يشتري بِئر رومة وله الجنة، فاشتريتُها، فقال: اجعلها للمساكين ولك أجرها؟ قالوا: اللهم نعم، وقال الخوارج: صدقوا، ولكنك غيّرت. وعدّد أشياء وقال الله أكبر، ويلكم، خُصِمْتم والله، كيف يكون مَن يكون هذا له مغيّرًا؟ يا أيها النفرُ من أهل الشُورى، اعلموا أنهم سيقولون لكم غدًا كما قالوا لي اليوم. فلما خرجوا بعدُ على عليٍّ (رض) جعل ينشد الناس عن مثل ذلك، ويُشهدُ له به فيقولون: صدقوا، ولكنك غيّرت، فقال: ما اليومَ قُتِلتُ ولكني قتلت يومَ قُتلَ ابنُ بيضاء، (يعني عثمان رضي الله عنه. رواه أحمد في المسند)[٣].

---

(١) ما بين [ ] زيادة من الطبقات لابن سعد.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٩) من طريق شبابة... به. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧) من طريق أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب عن جده عن شبابة... به. ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٩٢) من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه... به.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٥٩)، وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٦) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٥) والدارقطني في سننه (٤/ ١٩٨) جميعهم عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: لما حصر عثمان أشرف على الناس... فذكره بنحوه. قلت: فهذه الرواية التي أشار إليها المصنّف أنها في المسند كما نرى هي من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمٰن. والحديث من رواية صعصعة بن معاوية التميمي لم نقف عليها وهي التي أوردها المصنّف هٰهنا.

٤٤ ـ ذكر منع عثمان (رض) من الماء:

عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة قالوا: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين، [فلما][١] مضت من الأربعين ثماني عشرة ليلة قدم رُكبان من الوجوه فأخبروا خبر مَن قد تهيّأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام ومعاوية من مصر والقعقاع من الكوفة ومُجاشع من البصرة. فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان رضي الله عنه، ومنعوه كل شيء حتى الماء. وقد كان يدخل عليه بالشيء مما يريد، فطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علة، فعثروا فرموا في داره بالحجارة ليرموا فيقولوا: قوتلنا وذلك ليلًا، فناداهم: ألا تتقون الله؟ أما تعلمون أن في الدار غيري؟ قالوا: لا، والله ما رميناك، قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله، قال: كذبتم، إن الله لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا. ثم أشرف عثمان (رض) على آل حزم، وهم جيرانه، فسرح ابنًا لعمرو بن حزم إلى عليّ (رض) بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم على أن ترسلوا إلينا بماء فافعلوا، وإلى طلحة والزبير (رض) وإلى عائشة (رض) وأزواج النبيّ ﷺ. فكان أولهم إنجادًا له عليّ (رض) وأم حبيبة (رض). جاء علي في الغلس فقال: يا أيها الناس، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين؛ لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي وما تعرّض لكم هذا الرجل في شيء؛ فبم تستحلون حصره وقتله؟ فقالوا: لا، والله ولا نعمة عين، لا نتركه يأكل ولا يشرب. فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت فيما أنهضتني له، فرجع. وجاءت أُمُّ حبيبة (رض) على بغلة لها برِحالة مشتملة على أداوة، فقيل: أُمُّ المؤمنين أم حبيبة. فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، وأُحب أن ألقاه وأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل، فقالوا: كاذبة، وأهووا لها فقطعوا حبل البغلة بالسيف، فندّت بأم حبيبة، فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها فتعلقوا بها فأخذوها وقد كادت تهلِك، فذهبوا بها إلى بيتها. وتجهزت عائشة (رض) خارجة إلى الحج هاربة، وقد استتبعت أخاها فأبى، فقالت: أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن. وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر فقال: يا محمد، تستتبعُك أمُّ المؤمنين فلا تتبعها، وتدعوك ذؤبانُ العرب إلى ما لا يحلُّ فتتبعهم، فقال: وما أنت وذاك يا ابن التميمية؟ فقال: يا ابن الخثعمية، إن هذا الأمر إن صار

(١) ما بين [ ] زيادة من طبقات ابن سعد (٢/ ٦٧٢).

إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف، وانصرف عنه وهو يقول:

عَجِبْتُ لما يخوض الناس فيه يَرومون الخلافةَ أن تَزولا
ولو زالتْ لزالَ الخيرُ عنهم ولاقوا بعدَها ذلًّا ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى سواء كلُّهم ضَلُّوا السبيلا

ولحق بالكوفة، وخرجت عائشة رضي الله عنها وهي ممتلئةٌ غيظًا على أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم فقال: يا أمَّ المؤمنين، لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل، فقالت: أتريد أن يُصنع بي كما صُنع بأم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني؟ لا والله لا أغتر، ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء! وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأمُّ حبيبة رضي الله عنهم فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان (رض) يسقيه آلُ حزم في الغفلات، وعليهم الرقباء. وأشرف عثمان (رض) على الناس فقال: يا عبد الله بن عباس، فدُعي له، فقال: اذهب، فأنت على الموسم. وكان ممن لزم الباب، فقال: يا أمير المؤمنين، لجهاد هؤلاء أحبُّ إليّ من الحج، فأقسم عليه لينطلقنَّ. فانطلق ابن عباس رضي الله عنه على الموسم تلك السنة. ورمى عثمان (رض) إلى الزبير (رض) بوصيته، فانصرف بها. وفي الزبير اختلاف: أأدرك مقتله أو خرج قبله. فقال عثمان (رض): ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ [هود: الآية ٨٩] اللهم حُلْ بينَ الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبل[(١)].

عن عبد الملك بن أبي سليمان عن رجل عن أبي ليلى الكِندي قال: كنت غلامًا لرجل من كندة، فأدركتُ عثمان (رض) وأنا مُحتلم فرأيته أشرف على الناس وهو محصور، فقال: يا قوم، لا تقتلوني ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾ [هود: الآية ٨٩] الآية: يا قوم إن قَتَلتُموني كنتم هكذا، وشبّك بين أصابعه ثم خنس[(٢)].

عن عمرو بن محمد قال: بعثت ليلى بنت عُميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقالت: إن المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس، فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى مَن لا يأثم فيه، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غدًا. فاتقوا

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٦٧٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٣٤، ٤٣٥) كلاهما من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان... به.
(٢) لم نقف عليه.

أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم غدًا، فلجّا وخرجا مغضبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وتقول: ما صنع بكما إلا ما ألزمكما الله. فلقيهما سعيد بن العاص، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء، فأنكره حين لقيه خارجًا من عند ليلى، فتمثل له في تلك الحال بيتًا:

استبْقِ ودّك للصديق ولا تكن قتبًا يعَض بغارب ملحاحا

فأجابه سعيد بن العاص متمثلًا:

ترون إذن ضربًا صميمًا من الذي له جانبٌ ناء عن الحزم معور[١]

٤٥ ـ ذكر بذل عثمان (رض) نفسه دون دماء المسلمين:

قالوا: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان (رض)، فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصارًا لله مرتين، فقال عثمان (رض): أما القتال فلا[٢].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة (رض) قال: دخلت على عثمان (رض) يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين طاب أمضرب، فقال: يا أبا هريرة، أيسرك أن تقتل الناس جميعًا وإياي؟ قال: قلت: فإنك والله إن قتلت رجلًا فكأنك قتلت الناس جميعًا، قال: فرجعتُ ولم أقاتل[٣]. وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير (رض)، قال: قلت لعثمان يوم الدار: قاتلهم فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال: لا، والله لا أقاتلهم أبدًا. قال: فدخلوا عليه وهو صائم، قال: وقد كان عثمان (رض) عنه أمّر عبد الله بن الزبير (رض) على الدار، فقال عثمان (رض): من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير[٤].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٧٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٠٥) كلاهما من طريق سيف عن عمرو بن محمد قال: بعثت ليلى ابنة عميس... فذكراه.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٩٥) من طريق محمد بن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان رضي الله عنه... فذكره.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سُننه (٢/ ٣٨٦)، ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٦٨)، والخطيب في الكفاية (ص ١٨٣) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٠) من طرق عن أبي صالح عن أبي هريرة... به.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٠)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٧٥)، وابن أبي شيبة في المصنّف (٧/ ٤٤٢) جميعهم من طريق أبي أسامة عن هشام بن عروة... به. ورواه ابن أبي عاصم في الزهد (ص ١٤٩) من طريق حماد بن سلمة عن هشام... به.

وعن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان (رض): يا أمير المؤمنين، إنَّ معك في الدار عصابة مستنصرة، ينصر الله بأقل منهم، فأذَنْ ليَ فلأُقاتل. فقال عثمان (رض): أنشدُ بالله رجلًا، أو قال: أذكر بالله رجلًا أهراق فيَّ دمه، أو قال: أهراق فيَّ دمًا[١].

وعن [ابن][٢] عون عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان (رض) عنه يومئذ في الدار سبعمائة لو يَدَعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يُخرجوهم من أقطارها، منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم[٣].

قالوا: وأخرج رأسه من كوّة يقول: أيها الناس، لا تَقْتُلوني واستَتيبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تصلّون جميعًا أبدًا، ولا تجاهدون عَدُوًا جميعًا أبدًا، ثم قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هُود: الآية ٨٩] وأرسل إلى عبد الله بن سلام فقال: ما ترى؟ قال: الكفّ الكفّ فإنه أبلغُ لك في الحُجَّة[٤].

وروى ابن سعد بإسناده عن أبي جعفر القارىء مولى ابن عباس المخزومي، قال: كان المصريون الذين حصروا عثمان (رض) ستمائة رأسُهم عبد الرحمٰن بن عُدَيس البَلَويّ، وكنانة بن بشر بن عتّاب الكندي، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي؛ والذين قدموا من الكوفة مائتين رأسهُم مالك الأشتر النخعي، والذين قدموا من البصرة مائة رجل رأسهم حُكَيْم بن جَبَلة العبْديّ، وكانوا يدًا واحدة في الشرّ. وكان حُثالةٌ من الناس قد ضَوَوْا إليهم، قد مَرِجَتْ عهودهم وأماناتُهم، مفتونون. وكان أصحاب النبيّ ﷺ الذين خذلوه كرهوا الفتنة وظنُّوا أن الأمر لا يبلغُ إلى قتله، فندموا على ما صنعوا في أمره، ولعمري لو قاموا أو قام بعضهم فحثا في وجوههم التراب لانصرفوا خاسرين، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا[٥].

قال ابن سعد: حدّثني الحكم بن القاسم عن أبي عون مولى المِسْور بن مخرمة قال: ما زال المصريون كافين عن دمه وعن القتال حتى قَدِمَتْ أمدادُ العراق من الكوفة

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧٠) من طريق أيوب عن أبي مليكة. . . به.
(٢) ما بين [ ] زيادة من الطبقات.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧١) من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون. . . به.
(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧١) بسنده عن أبي ليلى سنان. . . فذكره.
(٥) رواه ابن سعد (٢/ ٧١)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٠).

ومن البصرة ومن الشام. فلما جاؤوا شَجُعَ القومُ حين بلغهم أن البعوث قد فَصَلَتْ من العراق من عند ابن عامر، ومن مصر من عند عبد الله بن سعد، فقالوا: نعاجله قبل أن تقدم الأمداد. قالوا: وخرج سعد بن أبي وقاص (رض) حتى دخل على عثمان (رض) وهو محصور ثم خرج من عنده فرأى عبد الرحمٰن بن عُديس ومالكًا الأشتر وحُكيم بن جَبَلة، فصفّق بيديه إحداهما على الأخرى، ثم أظهر الكلام، فقال: والله إن أمرًا هؤلاء رؤساؤه لأمرُ سوء[1].

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣/ ٧١). ورواه من طريقه أيضًا: ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٩٩).

الباب السابع

في ذكر قتل عثمان رضي الله عنه

قد ذكرنا أنه لما عاد المصريون إلى المدينة خرج إليهم محمد بن مَسلمة، فسألهم عن سبب عودهم، فأخرجوا صحيفة في أُنبوب رصاص، وقالوا: وجدناها مع غلام لعثمان يأمر فيها بجلد عبد الرحمٰن بن عُديس وعمرو بن الحمق وعروة بن النباع وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم. ولما عادوا عاد الكوفيون والبصريون، ودخل علي ومحمد بن مسلمة على عثمان (رض) عنهم فأخبراه بقول المصريين ، فأقسم بالله ما كتبه ولا علم ولا أمر به، فقال محمد: صدق، هذا من فعل مروان، ودخل عليه المصريون، فلم يُسلموا عليه بالخلافة، وقالوا له: اخلع نفسك، فقال: لا أنزعُ قميصًا ألبسنيه الله، ولكني أتوب. وكثرت الأصوات واللغط، فقام عليّ (رض) فخرج وأخرج المصريين. وحصروا عثمان (رض)، فكتب إلى معاوية وإلى ابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدُهم ويأمرهم بالتعجيل وإرسال الجنود إليه، فتوجّه جنود الشام نحوه، فلما كانوا بوادي القرى بلغهم قتله فرجعوا. وسار جند البصرة مع مُجاشِع بن مسعود، فبلغوا الربذة، وبلغت مُقدمتهم صرارًا من ناحية المدينة، وأتاهم قتلُه فرجعوا.

وقيل إن عثمان أمر عليًا (رض) عنهما أن يردّهم ويُعطيهم كل ما يرضيهم ليطاولهم، فأجابه، وكتبوا بينهم كتابًا على ردّ كلّ مظلمة، وعزل كلّ عامل كرهوه، فكف الناس. فجعل يستعدُّ ويتأهب للقتال، واتخذ جندًا. ومضى الأجل ولم يغير شيئًا. وخرج عمرو بن حزم الأنصاري إلى المصريين وأعلمهم الحال وهم بذي خُشب، فقدموا المدينة وحصروه، واشتد الحصار ومنعوه الماءَ؛ فأشرف عليهم فسلم عليهم ثم قال: أنشدُكم الله، هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة بمالي ليُستعْذَب بها وجعلتُ رِشائي فيها كرجل من المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: فلِم تمنعوني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟ ثم قال: أنشُدُكم الله، هل تعلمون أني اشتريتُ أرضَ كذا فزدتُها في المسجد؟ قالوا: نعم، قال: فهَلْ عَلِمْتُم أنّ أحدًا مُنع أن يصلي فيه

قبلي؟ ثم قال: أنشُدُكم الله، هل تعلمون أنّ النبيّ ﷺ قال عني كذا وكذا، لأشياء في شأنه. فجعل الناس يقولون: مهلًا عن أمير المؤمنين، فقام الأشتر فقال: قد مُكِرَ به وبكم فجدُّوا في قتاله.

وروى محمد بن سعد بإسناده عن أبي عون عن الحسن قال: أنبأني وثّاب، وكان مِمن أدركه عِتقُ أمير المؤمنين عمر (رض)، فكان بين يدي عثمان قال: دعاني عثمان رضي الله عنه، فدعوت له الأشتر فجاء. قال أبو عون ـ أظنه قال: فطُرِحَتْ لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة، فقال: يا أشتر، ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاث ليس لك من إحداهنّ بُد، فقال: ما هُنّ؟ قال: يُخيِّرونك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمرُكم فاختاروا له من شِئتُم؛ وبين أن تقص من نفسِك. فإن أبيت هاتين، فإن القوم قاتلوك. قال: أما مِن إحداهن بد؟ قال: لا من إحداهن بد. قال عثمانُ (رض): أما أن اخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالًا سربلنيه الله. وفي رواية قال: والله لأن أُقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع أمة محمد ﷺ بعضها على بعض، وأما أن أُقص من نفسي فوالله لقد علمتُ أن صاحبيّ بين يديّ قد كان يعاقبان وما يقوم بدني للقصاص؛ وأما أن يقتلوني فوالله لئن يقتلوني لا يتحابوا بعدي أبدًا، ولا يُصلوا بعدي جميعًا أبدًا، ولا يقاتلوا بعدي عدوًا جميعًا أبدًا؛ ثم قام فانطلق[١].

وعن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما قدم السابق الذي مضى ليكشف خبر الناس وأخبر[هم][٢] عن أهل الموسم أنهم يريدون جميعًا المصريين وأشياعهم وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجهم، فلما أتاهم ذلك عنهم مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطانُ، وقالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل بذلك الناسُ عنا. ولم تبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله، فراموا الباب، فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة ومن قام معهم، واجتلدوا واقتتلوا، فناداهم عثمانُ (رض): الله الله! أنتم في حِلّ من نُصرتي. فأبوا، ففتح الباب، وخرج ومعه الترسُ والسيفُ ليمنعهم. فلما رأوه أدبر المصريون، وركبهم

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧٢) بسنده عن ابن عوف عن الحسن. والطبري في التاريخ (٢/ ٦٦٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون... به. وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٠٤) من طريق ابن سعد.

(٢) ما بين [ ] زيادة من الطبقات لابن سعد.

هؤلاء، فزجرَهم فتراجعوا، وعَظُم على الفريقين، وأقسم على أصحابه ليدخُلنّ إذْ أبَوْا أن ينصرفوا؛ ودخلوا، فأغلقَ البابَ دون المصريين.

وقد كان المغيرةُ بن الأخنس بن شريق فيمن حج. ثم تعجل في نفر حجوا معه فأدرك عثمانَ (رض) قبل أن يُقتل، وشهد المناوشة، ودخل الدار فيمن دخل، وجلس على الباب من داخل، وقال: ما عُذرُنا عند الله إن نحنُ تركناه ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت!

واتخذ عثمان (رض) القرآنَ تلك الأيام نجيًا، يصلي وعنده المصحف، فإذا أعيا جلس فقرأ فيه. وكانوا يعدّون القراءة في المصحف من العبادة. وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب. فلما بقي المصريون لا يمنعُهم أحدٌ من الباب ولا يقدرون على الدخول جاؤوا بنار، فأحرقوا البابَ والسقيفة، فتأجّج البابُ والسقيفة، حتى إذا احترق الخشب خرّت السقيفةُ على الباب، وثار أهلُ الدار وعثمان (رض) يصلي، حتى منعوهم من الدخول. وكان عثمان (رض) قد افتتح «طٰه» ما شغله ما سمع، ما يُخطىء ولا يتتعتع، حتى أتى عليها. فلما فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فيه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٣] وقال لمن عنده: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهدًا، فأنا صابر عليه، ولم يحرقوا الباب إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه. وأقسم على من عنده ألا يقاتلوا، وأمرهم بالخروج، فخرج الحسنُ بن علي (رض) وهو يقول:

لا دينُهم ديني ولا أنا مِنهُمُ ... حتى نصير إلى طَمار شَمام

ثم خرج محمد بن طلحة (رض) وهو يقول:

أنا ابنُ من حامى عليه بأُحدْ ... وردّ أحزابًا على رغمِ مَعدّ

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:

صبرنا غداةَ الدار والموت واقب ... بأسيافنا دون ابن أروى نضاربُ

وكنا غداة الروع في الدار نُصرة ... نشافههم بالضرب والموت ثاقب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير (رض). أرسله عثمانُ (رض) إلى أبيه في وصيته، وأمره أن يأتي أهل الدار، فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم فخرج عبد الله آخرهم، وكان يحدّث الناس بآخر ما كان عليه[1].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٦٧٣، ٦٧٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي=

قال: آخر وصية أوصى بها عثمانُ (رض): اللهم إني أُوصي من أطاعني بتقواك وطاعتك والاستقامة حتى الممات، والاستعانة بك، والاستغناء والتعري عن الدنيا والاكتفاء بالله. يا عباد الله، إن الله جاعل لي برهانًا يستدل به على ما لديّ، ومهلك قاتلي لأني لم آت شيئًا ولم أدعه إلا أردت به الله، آثرت فيه دينه وخلقه على نفسي. اللهم إياك أعبد، وإياك أدعو وأستعين، وإليك أشكر وبك أكتفي، فإن عجّلت لهم عذابًا دون العذاب الأكبر فابلهم بالحيْرة حتى لا يهتدوا لأمر دنيا ولا آخرة، وأغر بهم خلقك، وأرهم أعمالهم حسراتٍ عليهم، ونكل بهم مَن بعدهم، وأقبل أبو هريرة (رض) والناس محجمون عن الدار إلّا أولئك العصبة، فدسروا واقتتلوا، فقام معهم فقال: هذا يومُ طابم ضرابم، وهذه لغة دوس، ونـــــادى: ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ [غافر: الآية ٤١] وبارز مروان يومئذٍ ونادى رجلًا رجلًا. فبرز له رجل من بني ليث يُدعى النباع فاختلفا ضربتين فضربه مروان أسفل رجليه وضربه الآخر على أصل العنق. فانكب مروان واستلقى الآخر، فاجتر هذا أصحابه واجترّ الآخر أصحابه.

عن محمد بن إسحٰق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الحارث بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام قال: إني والله لقائم انظر عثمانَ (رض) محصورًا في الدار إذ حرق الباب، فخرج أهل الدار على القوم بأيديهم السيوف ففتحوا، وقال مروان: مَن يبارز؟ وعبد الرحمٰن بن عُديس جالس لأصحابه، فقال لشابٍّ جسيم أحد بني النباع من بني ليث: قم إليه فبارزه. فوثب الرجل فاستوى قائمًا كأني أنظر إليه قد أخذ أسفل درعه فجعله في منطقته فخرجت ساقه، وأبصر مروان ساقه وعورته. وخرجت أمُّ إبراهيم بن عديّ الكناني يومئذٍ فيما حدّثنا إسماعيل تقول: إن أمير المؤمنين يُقسم عليك لترجعنّ. فلم يفعل، وأهوى لساقه فضربه الآخر على عنقه، فاستدار فوقع ووقع الآخر على استه، فلما وقع مروان، وثب عليه عُبيد ابن أم رافع ليدفف عليه، فأكبّت عليه أمُّ إبراهيم وكانت قد أرضعت عبد الملك بن مروان، فقالت: ما تريد إلى اللحم أن تقطعه؟ إن كنتم تريدون قتله فقد قتلتموه. فاستحيا الآخر وانصرف، واحتملت الأخرى مروان فأدخلته بيتها.

= حارثة وأبي عثمان... به. ومن هذا الطريق أيضًا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٨٠).

وعن ابن إسحـٰق قال: أقبل المغيرة بن الأخنس فقال: ما عذري عند الله إذا لقيته وقد خذلتك، وكان قد حجّ فتعجّل في يومين فأقبل فأدرك عثمانَ (رض) وهو محصور فنصره. وفي رواية فاستأذنه في القتال فأبى.

وعن أبي عمرو عن الحسن قال: قلت: أتعقل مقتل عثمان (رض)؟ قال: نعم، قلت: فهل تعرف أحدًا قام بذلك؟ قال: نعم. قُهر الرجل فلم يجد ناصرًا. فجاء أبو هريرة وسعد بن مالك (رض)، فجثيا بحياله ونادیا: يا عثمانَ، ابدِ لنا صفحتك، فأشرف عليهما وقال: والله لا تقتلان نفسيكما إن رأيتما الطاعة، فانصرفا، فقال: والله ليضربنهم الله بذل، لا ينال بهم إبليس مني أمرًا يدخل به على سلطان الله عزّ وجلّ دخلا بينهم.

٤٦ ـ ذكر هجوم القوم على عثمان (رض):

عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: قال المصريون: أما والله لولا أن تكونوا حُجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد، تنحوا. فقال المغيرة بن الأخنس: مَن يبارز؟ فبرز له رجل، فاجتلدا، وهو يقول:

أضربهمُ باليابس ضرب غلام عابس من الحياة آيس

فأجابه صاحبه، وقال الناس: قُتل المغيرة بن الأخنس، فقال الذي قتله: إنا لله. فقال له عبدُ الرحمـٰن بن عُدَيس: ما لك؟ فقال: إني أُتيتُ فيما يرى النائم، فقيل لي: بَشِّر قاتل الأخنس بالنار، وابتُليت به؛ وقتل قباثُ الكناني نيارَ بن عبد الله الأسلمي؛ قالوا: واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها؛ دخلوا من دار عمرو بن حَزْم حتى ملأوها ولا يشعرُ الذين بالباب، وغلب الناسُ على عثمان (رض)، وأقبلت القبائل على أبنائهم فذهبوا بهم، إذ غُلبوا على أميرهم، وندبوا له رجلًا يقتله. فانتدبَ رجل فدخل عليه البيتَ فقال: اخلَعْها وندعك، فقال له: ويحك، والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنَّيتُ ولا تمنَّيت، ولا وضعتُ يميني على عورتي منذ بايعتُ رسول الله ﷺ، ولست خالعًا قميصًا كسانيه الله وأنا على مكاني حتى يُكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة. فخرج، فقالوا: ما صنَعتَ؟ فقال: عَلِقنا، والله ما يحلُّ لنا قتله، ولا يُنْجينا من الناس إلا قَتْله، فأدخلوا عليه رجلًا من بني ليث. فقال له عثمان: ممن الرجل؟ فقال: ليثي. فقال: لستَ صاحبي. قال: وكيف؟ فقال: ألستَ الذي دعا لك النبيُّ ﷺ في نفر أن تُحفَظوا في يوم كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: فلم تصنع؛ فرجَعَ وفارقَ القوم. فأدخلوا عليه رجلًا من قريش. فقال: يا عثمان، إني

قاتِلُك، قال: كلا يا فلان، لا تَقتُلُني. قال: كيف؟ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ استغْفَرَ لك يوم كذا وكذا فلن تقارِفَ دمًا حرامًا؛ فاستغفر ورجع وفارقَ أصحابَه. وأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار يَنهَى عن قتله وقال: يا قوم، لا تَسُلُّوا سيفَ الله عليكم، فوالله إنْ سلَلْتُموه لا يُغمَد، ويلَكم إنَّ سلطانَكم اليوم يقوم بالدِّرّة، وإنْ قَتَلْتُموه لم يقُمْ إلا بالسيف؛ ويلكم! إنَّ مدينتكم هذه محفوفةٌ بملائكة الله، والله لئن قتلتموه ليترُكُنَّها، فقالوا: يا ابنَ اليهودية، وما أنت وهذا؟ فرجع عنهم[1].

وعن يونس الطنافسي عن محمد بن يوسف عن جده عبد الله بن سلام قال: قلت للمصريين: لا تقتلوه، فإن الله قد رفع عنكم سيف الفتنة منذ بعث نبينا محمدًا ﷺ فلا يزالُ مرفوعًا عنكم حتى تقتلوا إمامكم، فإن قتلتموه سلّ الله عليكم سيف الفتنة، ثم لا يرفعُه عنكم حتى يخرج عيسى ابن مريم عليه السلام؛ والثانية أن مدينتَكم لم تزل محفوفةً بملائكةً منذ نزلها رسول الله ﷺ، ولئن قتلتموه ليرتفِعُنّ عنها ثم لا يحفُّونها حتى تلتقوا عند الله؛ والثالثة تالله لقد حق له عليكم ما يحق للوالد على ولده، إنْ رآه نائمًا لا يوقظه؛ والرابعة: لتُستكمل الحجة حين يؤتى على أجله، ولولا ما على العلماء لعلمتُ أنّ ما هو كائن سيكون. فشتموه وهمّوا به، فانصرف عنهم[2].

عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: كان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان (رض): ويلك، أعلى الله تغضب؟ هل لي إليك جرمٌ إلا حقه الذي أخذته منك؟ فنكل ورجع[3].

وعن الغصن بن القاسم عن رجلٍ عن خنساء مولاة أسامة بن زيد، وكانت تكون مع نائلة بنتِ الفرافصة، امرأة عثمان (رض): أنها كانت في الدار يومئذٍ فدخل عليه محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحيته، وأهوى بمشاقص معه ليجأ بها في حلقه، فقال: مهلًا ابن أخي، فوالله لقد أخذتَ مأخوذًا ما كان أبوك ليأخذ به؛ فتركه وانصرف مسْتَحيِيًا نادمًا؛ فاستقبله القومُ على بابِ الصُفَّة، فردّهم طويلًا حتى غلبوه، فدخلوا عليه وخرج محمد راجعًا، فأتاه رجل بيده حديدةٌ يقدمهم حتى قام على عثمان (رض)

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٣/ ٦٧٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان... به. ومن هذا الطريق أيضًا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٣٨).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٤) من طريق سيف بن عمر عن يونس الطنافسي... به.

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٢/ ٦٧٩) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان... به. ومن هذا الطريق أيضًا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٤٣٩).

فضرب بها رأسه فشجه، فقطر دمه على المُصحف حتى لطخه، ثم تعاوروا عليه، فأتاه رجلٌ فضربه على الثدي بالسيف فسقط، ووثبت نائلةُ بنت الفرافصة الكلبية، فصاحت وألقت نفسها عليه، وقالت: يا بنت شيبة، أيُقتلُ أمير المؤمنين! وأخذت السيف فقطع الرجل يدها، وانتهبوا متاع البيت. ومرّ رجلٌ على عثمان (رض) ورأسه على المصحف، فضرب رأسه برجله ونحّاه عن المصحف، وقال: ما رأيت كاليوم وجهَ كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم. فلا والله ما تركوا في داره شيئًا حتى الأقداح إلا ذهبوا به[١].

وقال محمد بن سعد في كتاب الطبقات: إنهم لما دخلوا على عثمان (رض) جاء رُوَيجلٌ كأنه ذئب، فاطلع في الباب ثم رجع، فجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلًا حتى انتهى إلى عثمان (رض)، فأخذ بلحيته. فقال بها حتى سُمِعَ وقعُ أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية. ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك. فقال: أرسل لي لحيتي يا ابنَ أخي، أرسِلْ لحيتي يا ابن أخي، قال: فاستعدى عليه رجلٌ من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه، ثم اعتوروا عليه فقتلوه[٢].

ورُوِيَ أيضًا عن محمد بن عمر، قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن عبد العزيز عن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد: أن محمد بن أبي بكر تسوَّر على عثمان (رض) من دار عمرو بن حَزم ومعه كنانة بن بشر بن عتّاب، وسُودان بن حمران، وعمرو بن الحمِق؛ فوجدوا عثمانَ (رض) عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة؛ فتقدمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحية عثمان (رض)، فقال: قد أخزاك الله يا نعثل! فقال عثمانُ (رض): لستُ بنعثل، ولكني عبد الله وأمير المؤمنين، فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمانُ (رض): يا ابن أخي، دع عنكَ لِحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه، فقال محمد: ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك، فقال عثمانُ (رض): أستنصر الله عليك وأستعين به، ثم طعن جبينه بمشقص في يده. ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أُذن عثمان (رض)، فمضت حتى دخلت في حلقه، ثم علاه بالسيف حتى قتله.

---

(١) رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٤٠٥) من طريق سيف عن الغصن بن القاسم. . . به.

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد (٣/ ٧٣)، وتاريخ الطبري (٢/ ٦٦٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٤٠٤). وهذا الجزء هو المتمم لرواية أبي عون عن الحسن التي ذكرها المصنف سالفًا.

وهذا يدل على أن محمد بن أبي بكر باشر قتل عثمان (رض) بنفسه وقال ابن أبي عون: ضرب كنانةُ بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخرّ لجنبه، وضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خرّ لجنبه فقتله، وأما عمرو بن الحمِق فوثب على عثمان (رض) فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تِسعَ طعنات وقال: أما ثلاث منهن فإني طعنتهنَّ لله، وأما ست فإني طعنته إياهُنَّ لما كان في صدري عليه(١).

وقال محمد بن عمر: حدّثني الزبير بن عبد الله عن جدته قالت: لما ضربه كِنانةُ بن بِشر بالمشاقص قال عثمانُ (رض): بسم الله، توكلت على الله، وإذا الدمُ يسيلُ على لِحيته يقطرُ والمصحفُ بين يديه، فاتكأ على شقّه الأيسر وهو يقول: سبحانَ الله العظيم، وهو في ذلك يقرأ المُصحفَ والدمُ يسيلُ على المصحف، حتى وقف الدمُ عند قوله [تعالى](٢): ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧] وأطبق المصحف، وضربوه جميعًا ضربةً واحدة فقتلوه، اللهِ بأبي هو يحيي الليل في ركعة ويَصِلُ الرحم ويُطعم الملهوف، ويحمل الكلّ فرحمه الله(٣).

عن عبد الله بن سعيد بن ثابت قال: رأيت مُصحفَ عثمان (رض) ونضحُ الدماء فيه على أشياءَ من الوعد والوعيد وكان ذلك عند الناس من الآيات.

وروى سيف بن عمر بإسناده قال: لما خرج محمد بن أبي بكر من عند عثمان (رض)، وعرفوا انكسارَه، ثار قُتيرة وسُودان بن حمران السكونيّان والغافقي فضربه الغافقيُّ بحديدة معه، وضرب المصحف برجله، فاستدار المُصحفُ وانتشر فاستقرَّ بين يدي عثمان (رض)، وسالت عليه الدماءُ. وجاء سودانُ بن حمران ليضربه فأكبَّت عليه نائلة، واتقتِ السيف بيدها فتعمدها، ونفح أصابعها، فأطن أصابع يدها، فولّت؛ فغمز أوراكها، وقال: إنها لكبيرة العكيزة، يعني العجيزة، وضرب عثمان (رض) فقتله(٤).

وهذا يدل على أن محمد بن أبي بكر لم يباشر القتل.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧٣) لهذا الإسناد، وكذا الطبري في التاريخ (٢/ ٦٧٧)، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٠٨) من طريق ابن سعد.

(٢) ما بين [ ] زيادة من الطبقات لابن سعد.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧٤) من طريق محمد بن عمر. . . به.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٠/ ١٣٨) من طريق سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان. . . به، ومن هذا الطريق أيضًا أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٦٧٦).

وكان قد دخل مع القوم غِلمةٌ لعثمان (رض) لينصُروه؛ وكان عثمان (رض) قد أعتق من كف منهم، فلما رأى أحدُ العبيد سودان قد ضربه أهوى إليه فضرب عُنُقَه. ووثب قُتيرةُ على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت، وأخرجوا من فيه، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى. فلما دخلوا الدار وثب غلامٌ آخر لعثمان (رض) على قتيرة، فضربه فقتله.

ودار القومُ فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء؛ وأخذ رجلٌ ملاءة نائلة، واسم الرجل كُلثومُ التُّجيبي، فتنحَّت نائلةُ فقال: ويحَ أمك من عكيزة، ما أتمك؟ فضربه غلامٌ آخر لعثمان فقتله، وقُتل الغلام أيضًا. وتنادى القوم في الدار: أدركوا بيت المال، لا تُسبَقوا إليه. وسمع أصحاب بيتِ المال أصواتَهم، وليس فيه إلا غرارتان، فقالوا: النجاء! إنّ القوم إنما يحاولون الدُنيا، فهربوا، وأتوا بيتَ المال، فانتهبوه. وماج الناسُ، فمنهم من يسترجع ويبكي، ومنهم من يسعى ويفرح.

قال ابنُ الأثير: ولما قتلوه أرادوا حزّ رأسه، فوقعت عليه نائلة وأُمُّ البنين يَصِحن ويضربن الوجوه، فقال عبدُ الرحمٰن بن عُديس: اتركوه. وأقبل عميرُ بن ضابىء فوثب عليه فكسر ضِلعًا من أضلاعه، وقال: سجنتَ أبي حتى مات في السجن، قال: والذي قتله سُودان بن حمران، وقيل: بل قتله كِنانةُ بنُ بشر التُّجيبي لعنه الله ولعن أصحابه وجميع مَن أعان على قتل عثمان (رض) أو رضي به. وكان عثمان (رض) رأى النبي ﷺ تلك الليلة يقول له: إنك تُفطرُ الليلةَ عندَنا[1].

وكان قتل عثمان (رض) لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل: سنة ست وثلاثين. قال الزهري: قُتل عثمان (رض) عند صلاة العصر، وقيل: بل قبل أيَّام التشريق. وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل: ثمانيًا وثمانين، وقيل: تسعين سنة، وقيل: ستًا وثمانين، وقيل: خمسًا وسبعين. وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا. وقيل: إلا ثمانية أيام والله أعلم بذلك. وعن سهل عن القاسم قال: ما أراد القوم إلا خلعه فلما مغثوه مات، فضربوه بأسيافهم.

٤٧ ـ ذكر المال الذي خلفه رضي الله عنه:

لما قُتل عثمان (رض) عنه، دخل الغوغاءُ داره، فصاح إنسانٌ منهم: أيَحِلُّ دمُ عثمان ولا يحِلُّ ماله! فانتهبوا متاعَه. فقامت نائلة وقالت: لصوصٌ وربِّ الكعبة، يا

(١) انظر تخريج الخبر السابق فما هٰهنا متمم له، وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٧٠).

أعداءَ الله، ما ركبتم من دم عثمان أعظم، والله لقد قتلتموه صوّامًا قوّامًا يقرأُ القرآن في ركعة. ثم خرج الناسُ من دار عثمان (رض) وأغلق الباب على ثلاثة قتلى: عثمان (رض)، وعبد عثمان الأسود، وكنانة [بن][١] بشر.

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناده عن الزهري عن عبيد الله [بن عبدِ الله][٢] بن عُتبة، قال: كان لعثمان بن عفان (رض) عند خازِنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، فانتهبت وذهبت. وترك ألف بعيرٍ بالربذة، وترك صدقات كان تصدّق بها ببئر أريس وبئر رومة وخيبر ووادي القرى بقيمة مائتي ألف دينار[٣].

٤٨ ـ ذكر الصلاة عليه ودفنه (رض):

قُتل عثمان (رض) يوم الجمعة بعد العصر ودفن ليلة السبت من تلك الليلة. هذا هو الصحيح الذي ذكره أهل التواريخ والسِّير. وقال ابن الأثير في تاريخه: قيل: بقي عثمان (رض) ثلاثة أيام لا يدفن. والأول أثبت ثم إن حكيم بن حزام وجُبير بن مُطعم كلما عليًّا (رض) في دفنه ففعل. فلما سمع بذلك من قتله قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناسٌ يسير من أهله والزبيرُ والحسن بن علي وأبو جهم ومروان بن الحكم بين العشاءين، فأتوا به حائطًا من حيطان المدينة يقال له: حَشُّ كوكب خارج البقيع، فصلّى عليه جُبير بن مُطعم، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: مروان، وقيل: صلّى عليه الزبير؛ كذا ذكره الإمام أحمد في المسند. وأرسل عليّ (رض) إلى الذين قعدوا في طريقه يريدون رَجْمَ سريره، فمنعهم من ذلك، ودفن في حَش كوكب. فلما ظهر معاويةُ على الناس أمر بذلك الحائط فهُدم وأُدخل في البقيع، وأمرَ الناس بدفن موتاهم حَول قبره حتى اتصل الدَّفن بمقابر المسلمين. وقيل: شَهِدَ جنازته عليٌّ وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من كان ثم من أصحابه. وقيل: إنه لم يغسل، ودفن في ثيابه لأنه بمنزلة الشهيد، لأنه قتل مظلومًا (رض)[٤].

وروى ابن سعد بإسناده عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه قال: كان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم في حَشِّ كوكب، فكان عثمانُ بن عفان (رض) يقول:

---

(١) ما بين [ ] زيادة يقتضيها السياق. وقد مرّ اسم كنانة هذا.

(٢) ما بين [ ] زيادة من الطبقات لابن سعد.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧٦)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٢).

(٤) انظر ابن الأثير في التاريخ (١/ ٧٠).

يُوشكُ أن يهلِكَ رجلٌ صالحٌ فيدفن هنالك فيتأسى الناسُ به. قال مالك بن أبي عامر: فكان عثمانُ (رض) أول مَن دُفن هناك، وقال أيضًا: بويع رضي الله عنه أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتل رحِمَه الله يوم الجمعة بعد العصر لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ستٍّ وثلاثين، وكان يومئذٍ صائمًا، ودُفِن ليلةَ السبت بين المغرب والعشاء في حَش كوكب بالبقيع، فهي مقبرةُ بني أمية اليوم. وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يومًا. وقتل ابن اثنتين وثمانين سنة. وقال أبو معشر: ابن خمس وسبعين[١].

قالوا: لما حجّ معاويةُ نظر إلى بيوت أسلم شوارع في السوق فقال: أظلِموا عليهم بيوتهم، أظلمَ الله عليهم قُبورَهم، قتلةَ عثمان (رض). قال نِيارُ بنُ مُكرَم: فخرجتُ إليه، فقلت: الله، إنّ بيتي يُظلم عليّ وأنا رابعُ أربعة حَمَلنا أمير المؤمنين وقبرناه وصلّينا عليه، فعرفه معاوية فقال: اقطعوا البناء، لا تبنوا على وجه داره، قال: ودعاني خاليًا فقال: متى حملتموه؟ ومتى قبرتموه؟ ومن صلى عليه؟ فقلتُ: حملناه رحمه الله ليلة السبتِ بين المغرب والعشاء، فكنت أنا وجُبير بن مُطعِم وحَكيم بن حِزام وأبو جهم بن حُذيفة العدوي، وتقدم جُبير بن مُطعم فصلّى عليه فصدّقه معاوية، وكانوا همُ الذين نزلوا في حُفرته[٢].

٤٩ ـ ذكر العبيد الذين قتلوا مع عثمان رضي الله عنه:

روى سيفُ بن عمر التميمي عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة، قالوا: قُتل عثمان (رض) لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة وفي آخر ساعةً دخلوا عليه وهو يدعو: اللهم لا تكِلني إلى نفسي فتعجز عني، ولا إلى الدنيا فتغري بي، ولا إلى الناس فيخذلوني، ولكن تولَّ أنت صلاحَ آخرتي التي أصيرُ إليها، وأخرجْني من الدنيا سالمًا. اللهمّ حُل بينهم وبين ما يشتهون من الدنيا، وبغِّضهم إلى خلقك، واجعلهم شينا على من تولاهم. أما والله لولا ساعة الجمعة وأُمِرْت أن أدعو عليكم لما فعلت ولصبرت. فقتل (رض) وقتل قاتله وقتل ناصره، وأُغلق الباب على ثلاثة قتلى وفي الدار أحد المصريين وقاتل قاتله. فقالت نائلة لعبد الرحمٰن بن

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧٧)، ورواه ابن عساكر من طريقه (٣٩/ ٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٨) قال: حدّثنا محمد بن عمر عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه عن عبد الله بن نيار الأسلمي قال لما حج معاوية... فذكره. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٥٣٩) من طريق ابن سعد بمثله سواء.

عديس: إنك أمسُّ القوم بي رحمًا، وأولاهم بأن تقوم بأمري، اغرب عني هؤلاء الأموات. فشتمها وزجرها؛ حتى إذا كان في جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان (رض)، فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعليّ والحسنُ وكعبُ بن مالك وعامّة من ثمَّ من الصحابة (رض)، فتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء، فأخرجوا عثمانَ (رض) فصلّى عليه مروان، ثم خرجوا به حتى أتوا به إلى البقيع فدفنوه فيه مما يلي حَش كوكب، حتى إذا أصبحوا أتوا أعبُد عثمان (رض) الذين قتلوا معه فأخرجوهم، فرآهم القوم، فمنعوهم من أن يدفنوهم، فأدخلوهم حَشّ كوكب. فلما أمسوا خرجوا بِعَبْدَين منهم فدفنوهما إلى جَنْب عثمان (رض)، مع كلّ واحدٍ منهما خمسة نفر وامرأة: فاطمة أم إبراهيم بن عديّ ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر، فقالوا: إنك أمسُّ القوم بنا رحمًا. فأمُرْ بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا، فكلمهم في ذلك فأبوا، فقال: أنا جارٌ لآلِ عثمان من أهل مصر ومن لفّ لفهم، فأخرجوهما فرموا بهما، فجُرا بأرجلهما فرمى بهما في البلاط فأكلهما الكلاب. وكان العَبْدان اللذان قُتلا يوم الدار يقال لهما: نُجيح وصُبيح، فكان اسماهما الغالب على أسماء الرقيق لفضلهما وبلائهما، ولم يحفظ الناسُ اسمَ الثالث[1].

وقتل عثمان (رض) يوم الجمعة ودفن ليلة السبت في جوف الليل وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، وكان شهيدًا فلم يغسل، وكفِّن في ثيابه ودمائه ولا غُسلَ غلاماه. وتُرك القومُ الآخرون بالبلاط حتى أكلتهم الكلاب.

وفي هذه القصة دليلٌ على أن كنانة بن بشر لم يقتل، لأنهم أتوه وسألوه دفن الجيفتين، يعني العَبْدَين. وفيها دليلٌ أيضًا على أن العَبْدين اللذين أكلتهما الكلاب غير العبدين اللذين دُفنا مع عثمان.

وعن سهل بن يوسف عن عبد الرحمٰن بن كعب، قال: دُفن عثمان (رض) ليلة السبت لم يُغسل، ولم يمتنع أحد أن يصلي عليه من شيء، وصلى عليه مروان؛ فخرجوا به حتى دفنوه مما يلي حَشّ كوكب من البقيع. ومنع البقيع من غلاميه من الغد، فلما ذهبوا دفنوهما إلى جنْب عثمان (رض)، وقد كانا أُدخِلا حينَ مُنعا حشّ كوكب، وهو حائطٌ لرجلٍ من أهل المدينة اسمه كوكب، وكان القوم يتخذون الحشيشَ في ذلك الزمان كما يتخذ أهلُ هذا الزمان الأرياف، وأهل الأرياف

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/ ٥٢٥، ٥٢٦) من طريق شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر... به.

القرظَ والفصافص. وحمل العبدين عشرة رهط ومعهم امرأة: فاطمة أم إبراهيم بن عديّ(١).

وعن الشعبي قال: دفن عثمان (رض) من الليل، وصلّى عليه مروان، وخرجت ابنته تبكي في أثره، ونائلة بنت الفرافصة(٢).

٥٠ ـ ذكر ندم الناس بعد قتل عثمان (رض):

لما قتل عثمانُ (رض) بقي الناس فوضى، وندم القوم وتخلى عنهم الشيطان. وأتى الزبيرَ الخبرُ بمقتل عثمان (رض) وهو حيث هو، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمَ الله عثمان، وانتصر له، وقيل له: إن القوم نادمون، فقال: دُبّروا، دُبّروا ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سَبَأ: الآية ٥٤]. وأتى الخبر طلحة، فقال: يرحم الله عثمان، وانتصر له وللإسلام. وقيل له: القوم نادمون، فقال: تبًا لهم. وقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يٓس: الآية ٥٠]. وأتى عليًا الخبرُ بمقتل عثمان (رض)، فقال: رحِمَ اللهُ عثمانَ وخلف علينا بخير. وقيل له: قد ندم القوم، فقرأ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحَشر: الآية ١٦]. وطُلب سعد فإذا هو في حائط له. وقال: لا أشهد قتله. فلما جاءه قتله قال: فررنا إلى المدينة بديننا فصرنا اليوم نفرُّ منها بديننا، وقرأ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] اللهم أندِمهم ثم خذهم. وكان الزبير (رض) أيضًا قد خرج لئلا يشهد قتله، وكره أن يقيم بالمدينة، فأقام على طريق مكة.

وعن أبي عمر المدني عن زيد بن أسلم عن ابن عباس (رض) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢١] قال: الذين يأمرون بالقسط من الناس ولاةُ الأمر: عثمان وأضرابه.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢٦/٣٦) من طريق شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر... به.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢٧/٣٩) من طريق سيف بن عمر عن مجالد عن الشعبي... به.

وعن محمد بن كُرَيب عن نافع بن عمر (رض) قال: لقيتُ ابنَ عباس (رض) وكان خليفةَ عثمان رضي الله عنه على الموسم عام قتل فأخبرته بقتله، فعظّم أمرَه، وقال: والله إنه لمن الذين يأمرون بالقسط. فتمنيتُ أن أكونَ قُتِلتُ يومئذٍ[1].

وعن عبد الله بن سعيد بن ثابت عن أبيه، قال: دُفن عثمان (رض) من ليلته، وحضره من أراد المقام والخروج، وندم القوم وسُقِط في أيديهم. لما صُلّيَ عليه، خرج من خرج وأقام من أقام، وأزواجُ النبيّ ﷺ يقلن: هَجَمَ البلاءُ وانكفأ الإسلام[2].

وعن خُليْد بن زفر عن أبيه قال: خرج سعد من المدينة، ومضى الزبير، وخرج الوليدُ نحو مكة فأتْبعه سعيدُ بن العاص، وخرج من استقتل؛ وبقي القومُ والغافقي يُصلي بهم، وكنانةُ بنُ بشرٍ خليفته، يلتمسون رجلًا يرأسهم فلم يجدوه، وعَلِقوا، وعرفوا أنهم لا يصلحهم إلا إمامٌ يقوم بهم[1].

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/٥٣٨) من طريق سيف عن عبد الله بن سعيد بن ثابت عن أبيه... به.

الباب الثامن

في مبلغ سنّ عثمان ومقدار خلافته (رض)

٥١ ـ كان قتل عثمان (رض) لثماني عشرة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة بعد العصر سنة خمس وثلاثين، وقيل: سنة ست وثلاثين وقيل: بل كان قتله في أيام التشريق، وأنشد حسان:

ضَحّوا بأشمط عنوانُ السجود به   يقطّع الليل تسبيحًا وقُرآنا

والصحيح الأول. وإنما قيلَ ذلك لقربِ اليوم الذي قُتل فيه من أيام التشريق، والله أعلم. وكان عمره يومئذٍ اثنتين وثمانين سنة وقيل؛ ستًا وثمانين وقيل: ثمانيًا وثمانين سنة، وقيل: تسعين سنة، وقال أبو معشر: كان عمره خمسًا وسبعين سنة. وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا. وقيل: إلا ثمانية أيام. والله أعلم بذلك.

وروى سيف بن عمر التميميُّ عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان، قال: كان النبيُّ ﷺ قد بعثه إلى عمان، فسمع هنالك من حَبرٍ شيئًا، فلما رأى مصداقه وهو هنالك، أرسل إلى الحبر، فقال: حدِّثني بوفاة النبيّ ﷺ وأخبرني من يكون بعده. قال: الذي كتب إليك يكون بعده، ومدّته قصيرة، قال: ثم مَن؟ قال: رجل من قومه، مثله في المنزلة. قال: فما مُدّته؟ قال: طويلة، ثم يقتل، قال: أغيلة أم عن ملأٍ؟ قال: غيلة، قال: فمن يلي بعده؟ قال: رجلٌ من قومه، مثله في المنزلة، قال: فما مدته؟ قال: طويلة، ثم يقتل، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: عن ملأ. قال: ذاك أشد. قال: مَن يلي بعده؟ قال: رجل من قومه، ينتشر عليه الناس، ويكون على رأسه حربٌ شديدةٌ بين الناس، ثم يقتل قبل أن يجتمعوا عليه، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: لا، بل غيلة، ثم لا يرون مثله، قال: فمن يلي بعده؟ قال: أمير الأرض المقدسة فيطول مُلكه ثم يموت، فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه[1].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٣/ ٦٩) من طريق سيف عن محمد بن عبد الله... به.

٥٢ ـ ذكر ولاة البلاد في زمانه:

عن عطية قال: ماتَ عثمانُ (رض) وعلى الكوفة: على صلاتها أبو موسى، وعلى خَراجِ السوادِ جابر ابن فلانٍ المزني، وهو صاحب المسنّاة إلى جنب الكوفة، وسِماك الأنصاري؛ وعلى حربِها القعقاعُ بن عمرو، وكان صاحب الحرب في كلّ مصر رجلٌ مسمّى وقوم مسمّون، فإن حدَث حدثٌ نهَضَ بهم، وهو الذي أجابَ أهلَ حمص حين كتب إليهم عمرُ (رض) في إعانتهم، وهو الذي منع يزيدَ والأشترَ من خلع عثمان (رض). وكان على المَوْصل حَكيم بن سلامة، وعلى قرقيساءَ جريرُ بن عبد الله، وعلى آذَرْبَيْجان الأشعثُ بن قيس، وعلى حُلوان عُتيبةُ بن النهّاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وهو الذي قال له زياد: هل بقي في الأرض مائة لا يبالون في الله لوْمَة لائم؟ قال لا. قال: فأنا؟ قال: قد كنت. قال: فأنتَ ذاك. وعلى همذان النُّسير، وعلى الريِّ سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السائبُ بن الأقرع، وعلى ماسَبَذان حُبيْش، وعلى قومس جَبَلَةَ بن حيوة الكنانيّ، وعلى جرجان ذو الجَوشن الضبابي، وعلى بيت المال عُقبة بن عمرو[1].

وقد كانت الذِّمَّةُ تنتقِض، فإذا فعلت ذلك غُزيت؛ فغزا سعيد طبرستان بعدما انتقضوا حتى أعطوا ما كانوا أعطوا أولًا. وخلع صول بجرجان فغزاه حتى أعطى صول ما كان يُعطي. وكان صاحب فتوح الذي على حرب هذه الأمم.

وكان عامله على مكة عبدُ الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يَعلى بنُ مُنية، وعلى الجَنَد عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى الشام معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمٰن بن خالد، وعلى قِنَّسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور السُّلمي، وعلى فلسطين علقمةُ بن حكيم الكناني، وعلى البحر عبدُ الله بن قيس الفزاريّ، وعلى القضاء أبو الدرداء، وتوفي قبل قتل عثمان رضي الله عنهما.

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/٦٩٣) من طريق سيف عن عطية... به.

الباب التاسع
في ذكر صفة عثمان ولباسه وخضابه وتختّمه (رض)

عن محمد بن عمر قال: سألت عمرو بن عبد الله بن عنْبَسة وعُرْوة بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبدَ الرحمٰن بن أبي الزناد عن صفة عثمان (رض)، فلم أرَ بينهم اختلافًا. قالوا: كان رجلًا ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، رقيق البشرة، بوجهه أثرُ الجُدري، كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون، عظيمَ الكراديس، بعيدَ ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفِّر لحيته. وقيل: كان كثيرَ شعر الرأس، أرْوَحَ الرِّجْلين[1].

وعن واقد بن أبي بشر: أن عثمان (رض) كان يشدُّ أسنانه بالذهب.

وعن محمود بن لبيد أنه رأى عثمانَ بنَ عفان (رض) على بغلةٍ له [عليه][2] ثوبان أصفران، له غديرتان[3].

وعن الصّلت قال: رأيتُ عثمانَ (رض) يخطب وعليه خميصةٌ سوداء وهو مخضوب بحِنّاء[4].

وعن سُلَيْم أبي عامر قال: رأيت على عثمان (رض) بردًا يمانيًا ثمنه مائة درهم[5].

وعن محمد بن ربيعة بن الحارث قال: كان أصحابُ رسول الله ﷺ يوسِعون على نسائهم في اللباس الذي يُصان ويُتجمّلُ [به][2]، ثم يقول: رأيتُ على عثمان

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦) أخبرنا محمد بن عمر... بهذا الإسناد. ومن طريقه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٩١)، وكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ١٧).

(٢) ما بين [ ] زيادة من الطبقات لابن سعد.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٧) بسنده عن محمود بن لبيد.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٧) بسنده عن الصلت.

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦) بسنده عن سليم بن أبي عامر.

(رض) مُطرفَ خزٍّ ثمنه مائتا درهم، فقال: هذا لنائلة كسوتُها إياه فأنا ألبسُه أسرُّها به[١].

وروى محمد بن عمر عن إسحٰق بن يحيىٰ عن عمِّه موسى بن طلحة قال: رأيت عثمانَ (رض) يخرج الجمعة وعليه ثوبان أصفران، فيجلس على المنبر، فيؤذّن المؤذّن وهو يتحدث يسأل الناسَ عن أسعارهم وعن قُدّامِهم وعن مَرضاهم. ثم إذا سكت المؤذّن قام فتوكأ على عصا عَقفاء، فيخطب وهي بيده، ثم يجلس جلسة فيبتدىء كلام الناس فيسألهم كمسألته الأولى، ثم يقوم فيخطب، ثم ينزل ويقيمُ المؤذن[٢].

وعن واقد بن أبي بشر أن عثمان (رض) كان قد سلس بوله عليه فداواه ثم أرسله، فكان يتوضأ لكل صلاة[٣].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عثمان (رض) كان يتختمُ في اليسار وكذلك عليٌّ (رض) كان يتختم في اليسار[٤].

وعن أبي أسامة حماد بن أسامة عن عليّ بن مسعدة عن عبد الله الرومي قال: كان عثمانُ (رض) يلي وضوءَ الليل بنفسه، فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك. فقال: لا، الليل لهم يستريحون فيه[٥].

عن محمد بن ربيعة الكلابي عن أم غراب عن بنانة قالت: كان عثمانُ (رض) يتنشفُ بعد الوضوء[٦].

وعن ابن عباس (رض) في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: الآية ٧٦] قال: هو عثمانُ بن عفان (رض)[٧].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦) بسنده عن محمد بن ربيعة.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٩) أخبرنا محمد بن عمر... به.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦) بسنده عن واقد بن أبي بشر.
(٤) لم نقف عليه.
(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٥٩) أخبرنا أبي أسامة حماد بن أبي أسامة... بهذا الإسناد. ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٣٦).
(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٥٩) أخبرنا محمد بن ربيعة... بهذا الإسناد. ورواه أيضًا: ابن أبي شيبة في المصنّف (١/ ١٣٧) حدّثنا وكيع عن أم غراب... به بلفظ قريب.
(٧) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٠)، والطبري في التفسير (١٤/ ١٥١)، وابن أبي شيبة في المصنّف (٦/ ٣٦١) من طرق عن ابن عباس.

الباب العاشر
في ذكر سيرة عثمان وفضائله رضي الله عنه

كان عثمان (رض) يُكنى أبا عبد الله بولد له من رُقيّة بنتِ رسول الله ﷺ. وكان يلقب ذا النورين لأنه جمع بين ابنتيْ النبيّ ﷺ. وقيل: إنه لم يجمع أحدٌ بين ابنتيْ نبيٍّ قط من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة غيرُ عثمان رضي الله عنه.

واشترى بئر رومة وسبّلها على المسلمين؛ وكان فيها كأحدِهم. واشترى أرضًا فزادها في المسجد. وبايع عنه النبيّ ﷺ، وقسم له سهمه من الفيء. وجهّز جيش العُسرة، وسنذكر ذلك مفصلًا إن شاء الله تعالى.

وقال حسّانُ بن زيد: سمعتُ عليًا (رض) وهو يخطبُ الناسَ ويقول بأعلى صوته: يا أيها الناس، إنكم تُكْثرون فيّ وفي عثمان فإن مثلي ومثله كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧].

وكان إسلامُه قديمًا قبلَ دخول رسول الله ﷺ دارَ الأرقم. وهاجر إلى الحبشة مرّتين ومعه رُقَيّةُ رضي الله عنهما.

٥٣ ـ ذكر تزويج النبيّ عليه السلام عثمان (رض) بابنتيه:

قال محمد بن الحسين الآجري: أولُ فضائل عثمان بن عفان (رض) بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ وبرسوله ﷺ أنّ الله عزّ وجلّ أكرَمه بأنْ زوّجَهُ ابنتيْ رسول الله ﷺ واحدةً بعد واحدة، ولم يجمعْ بين ابنتيْ نبيٍ منذ خلقَ الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة إلا عثمانُ بن عفان (رض)، مع الكراماتِ الكثيرة والمناقب الجميلة والفضائل الحسنة، وبشارة النبيّ ﷺ له بأنه يُقتلُ مظلومًا، وأمره بالصبر، فصبر حتى قُتل، وحقن دماء المسلمين[1].

---

(١) لم نقف عليه عند غير الآجري. والخبر واردٌ في فضل تزويج النبيّ ﷺ ابنتيه لسيدنا عثمان لذا قيل له: ذو النورين وقد أخرج البيهقي في السنن الكبرى بسنده عن صالح بن محمد يقول: =

ورُوِيَ بإسناده عن عطاء عن ابن عباس (رض) عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أوْحى إليَّ أن أزوِّجَ كريمتي من عثمان بن عفان[١].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن عبد الكريم بن روح بن عَنبسة بن سعيد، قال: حدّثني أبي عن أبيه عن أم عيّاش، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما زوّجْتُ أمَّ كلثوم إلا بوَحي من السماء[٢].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أسامة بن زيد، قال: بعثني رسول الله ﷺ بصحفة فيها لحمٌ إلى عثمان (رض)؛ فدخلت عليه فإذا هو جالس مع رُقَيَّة رضي الله عنهما. فما رأيتُ زوجًا أحسن منهما. فجعلت مرةً أنظرُ إلى عثمان ومرة أنظر إلى رقية، فلما رجعتُ إلى رسول الله ﷺ قال: دخلتَ عليهما؟ قلت: نعم. قال: هل رأيتَ زوجًا أحسنَ منهما؟ قلت: لا، يا رسول الله، لقد جعلتُ مرة أنظرُ إلى رقية، ومرّة أنظرُ إلى عثمان رضي الله عنهما[٣].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هُريرة (رض) أن رسول الله ﷺ لقي عثمانَ بنَ عفان (رض) عند باب المسجد فقال: يا ابنَ عفان، هذا جبريلُ عليه السلام يُخبرني أنَّ الله عزّ وجلّ قد زوَّجَك أمَّ كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل مُصاحبتها[٤].

وعن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هُريرة (رض) أن النبيّ ﷺ وقف على قبر ابنته الثانية التي كانت عند عثمان (رض)، فقال: ألا أبو أيّم، ألا أخو أيّم يزوجها

= سمعت عبد الله بن عمر بن إبان الجعفي يقول: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني تدري لم سمي عثمان ذو النورين... فذكر حديثًا نحو رواية الآجري هذه. انظر البيهقي في سننه الكبرى (٧/٧٣). وقال المهلب بن أبي صفرة نحو هذا الكلام عندما سئل لما سمي عثمان بذي النورين... انظر: السنة للخلال (٢/ ٣٩٢).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/١٨) والصغير (١/ ٢٠٣) بسند ضعيف. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٣): فيه عمير بن عمران الحنفي وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٢) من طريق كردوس عن عبد الكريم بن روح... به، ورواه في الأوسط (٥/ ٢٦٤) من طريق الفضل بن أبي طالب عن عبد الكريم بن روح... به. وسنده حسن. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٨٣) إسناده حسن بشواهده.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٦٧) عن أسامة بن زيد وفيه راوٍ لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٨٠).

(٤) أخرجه ابن ماجة في السنن (١/ ١٨)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥١٥)، والإسماعيلي في معجم شيوخه (٣/ ٧٩١) وابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٥). وسنده ضعيف فيه: عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاق الجمهور. انظر: مصباح الزجاجة (١/ ١٨).

عثمان! فلو كُنَّ لي عشرة لزوجتهن عثمان، وما زَوَّجْتُ إلا بوَحْيٍ من السماء. وفي رواية أخرى: لو كان لنا ثالثةٌ لزوَّجْناكَ بها يا عثمان[١].

٥٤ ـ ذكر شرائه (رض) بئر رومة وتسبيلها للمسلمين:

عن عثمان (رض) أن النبيَّ ﷺ قَدِمَ المدينةَ وليس بها ماء يُستَعْذَب غير بئر رومة، فقال: مَن يشتري بئر رومة فيجعل فيها دَلوَه مع دِلاء المسلمين بخيرٍ له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي. رواه النسائي، والترمذي، وقال: حديثٌ حسن[٢].

وفي هذا الحديث من الفقه جواز انتفاع الواقف بوقفه، لأن عثمانَ (رض) كان يستقي من بئر رومة ويشرب منها.

وقال النبيّ ﷺ: من يحفر بئر رومة فله الجنة. فحفرها عثمانُ (رض) وقال: مَن جهَّز جيش العسرة فله الجنة. فجهزه عثمان (رض). رواه البخاري تعليقًا، يعني رواه بغير إسناد، وذلك لشهرته[٣].

٥٥ ـ ذكر مبايعة النبيّ ﷺ عن عثمان (رض) يوم بيعة الرضوان:

روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده: إن عثمان (رض) أشرف من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله، من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم حِراء إذ اهتز الجبل فركله برجله، ثم قال: اسكن حراء فليس عليك [إلا][٤] نبي أو صِدِّيق أو شهيد، وأنا معه؟ فانتشد له رجال. فقال: أنشدُ بالله من شَهدَ رسول الله ﷺ قال: مَن يوسع لنا بهذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة، فابتعته من مالي فوسّعتُ به في المسجد؟ فانتشد له رجال. فقال: أنشد بالله، من شهدَ رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/٤٣٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/٣٧٨). وسنده ضعيف. قال الهيثمي في المجمع (٩/٨٣) فيه عبد الرحمٰن بن أبي الزناد وهو لين الحديث وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري تعليقًا (٢/٨٢٩) باب في الشرب وقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]، وهو عند الترمذي (٥/٤٤٧) والنسائي (٦/٢٣٥)، والدارقطني في سننه (٤/١٩٦) وابن خزيمة في صحيحه (٤/١٢١)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١/٤٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٩٤) كلهم من طريق ثمامة بن حزن القشيري عن عثمان.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا (٣/١٣٥١) باب مناقب عثمان.

(٤) ما بين [ ] زيادة كما في المسند.

بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة. قال: هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي؟ فانتشد له رجال. قال: فأنشد بالله، من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة يقول: من يُنفق اليوم نفقة مُتقبلة، فجهزتُ نصف الجيش من مالي؟ قال: فانتشد له رجال. قال: وأنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل، فابتعتها من مالي، فأبحتها ابن السبيل؟ قال: فانتشد له رجال[١].

طريق آخر: روى أحمد بإسناده عن الأحنف قال: انطلقنا حجاجًا فمررنا بالمدينة. فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال: الناس من فزع في المسجد. فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناسُ مجتمعون على نفرٍ في المسجد. قال: فتخللتهم حتى قمتُ عليهم، فإذا عليّ بن أبي طالب والزبيرُ وطلحة وسعدُ بن أبي وقاص (رض). قال: فلم يكن ذلك بأسرع [من][٢] أن جاء عثمان (رض) يمشي، فقال: أهٰهُنا عليّ؟ قالوا: نعم. قال: أهٰهنا الزبير؟ قالوا: نعم. قال: أهٰهنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلا هو، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: مَن يبتاعُ مِرْبد بني فلان، غفر الله له، [فابتعته][٢]، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إني قد ابتعته. فقال: اجعله في مسجدنا وأجرُهُ لك؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: مَن يبتاع بئر رُومة، فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها، فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلا هو، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: مَن يجهز هؤلاء، غفر الله له، فجهزتهم حتى ما يفقدون خِطامًا ولا عِقالًا؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهدْ! اللهم اشهدْ! ثم انصرف[٣].

وروى أحمد أيضًا بإسناده عن أبي أمامة بن سهل قال: كنا مع عثمان (رض) وهو محصور في الدار، فدخل مدخلًا كان إذا دخله سمع كلامه من على البلاط. قال: فدخل ذلك المدخل وخرج إلينا، فقال: إنهم يتوعدونني بالقتل آنفًا. قال: قلنا:

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/٥٩)، وأخرجه أيضًا: في الفضائل (١/٤٦٣)، ورواه الدارقطني في سننه (٤/١٩٨) والضياء المقدسي في المختارة (١/٥٢٨) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن عثمان.

(٢) ما بين [ ] زيادة كما في المسند.

(٣) رواه أحمد في المسند (١/٧٤)، والبزار في مسنده (٢/٤٦) والنسائي في سننه (٦/٤٦) عن الأحنف بألفاظ متقاربة.

يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين! قال: ولم يقتلونني؟ [إني][(١)] سمعت ﷺ يقول: لا يَحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا فيقتل بها، فوالله ما أحببت أن لي بديني بدلًا بعد أن هداني الله، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تقتل نفسًا، فبم يقتلونني؟

وعن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة [عن أنس][(١)] قال: صَعد رسول الله ﷺ أحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم، فقال: أثبت أُحُد [فإنما عليك][(١)] نبيٌّ وصِدّيق وشهيدان[(٢)].

وعن ابن عباس (رض)، قال: لو أجْمعَ الناسُ على قتل عثمان (رض) لرُجِموا بالحِجارة كما رُجم قومُ لوط[(٣)].

٥٦ ـ ذكر سبب تخلف عثمان (رض) عن بيعة الرضوان:

روى الإمام أحمد في مسنده بإسناده قال: لقي عبدُ الرحمٰن بن عوف الوليد بن عُقْبة، فقال له الوليد: ما لي أراكَ قد جفوتَ أميرَ المؤمنين عثمان (رض)؟ فقال له عبدُ الرحمٰن: أبلِغه أنّي لم أفرَّ يوم أحد ولم أتخلف يومَ بدر ولم أتركْ سُنَّةَ عمر. قال: فانطلق فخبّر بذلك عثمان (رض). قال: فقال: أما قوله: إني لم أفرّ يوم أُحُد فكيف يُعَيِّرني بذلك وقد عفا الله عنه؟ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عِمـران: الآيـة ١٥٥] وأما قوله: إني تخلّفتُ يوم بدرٍ فإني كنت أمرِّضُ رقيةَ بنتَ رسول الله ﷺ حتى ماتت؛ وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد. وأما قوله: إني لم أترك سنة عمر (رض)، فإني لا أطيقها ولا هو، فأته، فحدّثه بذلك. قوله: ومَن ضرب له رسول الله بسهمه فقد شهد، أي كان في حكم من شهد القتال[(٤)].

---

(١) ما بين [ ] زيادة كما في المسند.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٦١)، وأخرجه أيضًا أبو داود في سننه (٤/ ١٧٠)، والنسائي (٧/ ٩١)، والطيالسي في مسنده (ص ١٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ١٣٢) عن أبي أمامة بن سهل.

(٣) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٩/ ٩٧) ورجاله رجال الصحيح. ورواه أيضًا: ابن أبي شيبة في المصنّف (٦/ ٣٦٠).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٦٨). ورواه أيضًا: الطبراني في الكبير (١/ ٨٨). والضياء في الأحاديث المختارة (١/ ٤٦٧) عن عاصم عن شقيق قال: لقي عبد الرحمٰن... فذكره. قال=

وقد أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن عثمان بن عبد الله بن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قومه جلوسًا، فقال: مَن هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: يا ابن عمر، إني سائلُك عن شيء فحدّثني [عنه][(١)]. هل تعلم أن عثمان (رض) فرّ يوم أحد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيّب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيّب عن بيْعة الرضوان فلم يشهدْ[ها][(١)]؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! قال ابن عمر رضي الله عنهما: [تعال][(١)] أُبيِّنُ لك: أما فرارُه يومَ أحد فأشهد أن الله عفا عنه [وغفر له][(١)]؛ وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنتُ رسول الله ﷺ، وكانت مريضة. فقال له رسول الله ﷺ: [إن][(١)] لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه [مكانَه][(١)] فبعث رسول الله ﷺ [عثمانَ][(١)]. وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمانُ (رض) إلى مكة. فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يدُ عثمان، فضرب بها على يده وقال: هذه لعثمان. ثم قال ابن عمر رضي الله عنه: اذهب بها معك[(٢)].

وروى البخاري أيضًا بإسناده عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر (رض) فسأله عن عثمان (رض) فذكر محاسن عمله، وقال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله أنفك. ثم سأله عن عليٍّ رضي الله عنه فذكر محاسن عمله، وقال: هو ذاك، بيتُه أوسط بيوت النبيّ ﷺ؛ ثم قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: أجل! قال: فأرغم الله أنفك؛ انطلق فاجهدْ عليّ جهدك[(٣)].

٥٧ ـ ذكر حياء عثمان (رض) واحترام النبيّ ﷺ إياه:

روى الإمام أحمد في مسنده بإسناده قال: استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة رضي الله عنها، فأذنَ لأبي بكر وهو كذلك. فقضى إليه حاجته، ثم انصرف. ثم استأذن عمرُ فأذن له وهو على تلك

= الهيثمي في المجمع (٢٢٦/٧): فيه عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات.

(١) ما بين [ ] زيادة من البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٥٣/٣). وأخرجه أيضًا: الترمذي في سننه (٦٢٩/٥)، وأحمد في مسنده (١٠١/٢) من طريق أبي عوانة عن ابن موهب... به.

(٣) رواه البخاري في الصحيح (١٣٥٨/٣).

الحال، فقضى إليه حاجَته، ثم انصرف. ثم استأذن عثمانُ فجلس، وقال لعائشة رضي الله عنها: اجمعي عليك ثيابك. فقضى إليه حاجته ثم انصرف. قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر ما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: إن عثمان رجل حيي وإني خشيتُ أن آذن له على تلك الحال [أن][1] لا يبلغ إلي في حاجته[2].

قال الليث وقال جماعة الناس: إن رسول الله ﷺ قال لعائشة (رض): ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟ انفرد بإخراجه مسلم ولم يذكر قول الليث[3].

وروى البخاري في صحيحه أن النبيّ ﷺ كان قاعدًا في مكان فيه ماء قد انكشف عن ركبتيه أو ركبته، فلما دخل عثمان غطاها[4].

٥٨ ـ ذكر مناشدة عثمان طلحة والزبير (رض) وهو محصور:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدتُ عثمان (رض) يوم حوصر في موضع الجنائز، ولو أُلقي حجرٌ لم يقع إلا على رأس رجل. فرأيت عثمانَ (رض) أشرف من الخوْخة التي تلي مقامَ جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناس، أفيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: أيها الناس، أفيكم طلحة؟ فقال طلحة: نعم. فقال عثمان (رض): ألا أراك هٰهنا، ما كنت أرى أنك تكون مع قوم تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبني. أنشدك الله يا طلحة، أتذكر يوم كنتُ أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا، ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم. [قال]: فقال لك رسول الله ﷺ: يا طلحة، إنه ليس من نبيّ إلا ومعه من أصحابه رفيقٌ من أمته معه في الجنة، وإن عثمان بن عفان هذا، يعنيني، رفيقي معي في الجنة؟ قال طلحة: اللهم نعم، ثم انصرف[5].

---

(١) ما بين [ ] زيادة من المسند.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٧١) وفي مسند عائشة (٦/ ١٥٥)، وأخرجه أيضًا: مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٦)، والبزار في مسنده (٢/ ١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٤٢)، ورواه البخاري في الأدب (ص ٢١٠) جميعهم عن عائشة.

(٣) قول الليث أورده أحمد في مسنده بعد الحديث في موضعه (١/ ٧١) ورواية مسلم التي يشير إليها المصنّف قد خرجناها سالفًا.

(٤) رواه البخاري (٣/ ١٣٥١) من حديث أبي موسى.

(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٧٤)، والبزار في مسنده (٣/ ١٦٧) وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٨٢) عن زيد بن أسلم عن أبيه... به.

وروى أحمد بإسناده قال: أشرف عثمان (رض) على الذين حصروه فسلّم عليهم، فلم يردوا عليه. فقال عثمان (رض): أفي القوم طلحة؟ قال طلحة: نعم. قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، أُسلم على قوم أنت فيهم فلا تردون؟ قال: قد رددت. قال: ما هكذا الرد، أُسمعك ولا تسمعني. يا طلحة، أنشدك الله، أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول: لا يحل دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: أن يكفر بعد إيمان، أو يزني بعد إحصان، أو يقتل نفسًا فيقتل بها؟ قال: اللهم نعم. فكبر عثمان (رض) وقال: والله ما أنكرت الله منذ عرفته، ولا زنيتُ في جاهلية ولا في إسلام، وقد تركته في الجاهلية تكرّها وفي الإسلام تعففًا، وما قتلت نفسًا يحل بها قتلي[1].

وروى أحمد أيضًا في مسنده: إن عثمان (رض) أشرف على الناس وهو محصور، فقال: مَن يعذرني في هذين الرجلين اللذين ألّبا عليّ الناس؟[2] يحتمل أن يريد بالرجلين طلحة والزبير فإنهما كانا في جملة الذين تكلموا في شأن عثمان (رض)، ثم بان لهما الحق، فانصرفا عنه وندما على ذلك. ولهذا قال طلحة لما طُعن: اللهم خُذ لعثمان مني حتى ترضى. ويحتمل أن يريد بالرجلين مالكا الأشتر وعمار بن ياسر فإنهما كانا حنقين عليه يحرّضان الناس عليه، والله أعلم.

٥٩ ـ ذكر محاورة عثمان (رض) لابن مسعود وعمار:

روى الإمام أحمد في مسنده قال: دعا عثمان (رض) ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمّار بن ياسر، فقال: إني سائلكم، وإني أحب أن تصدقوني. نشدتكم الله، أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشًا على سائر الناس ويؤثرُ بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمانُ (رض): لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم. وبعث إلى طلحة والزبير (رض) فقال: ألا أحدثكما عنه؟ يعني عمارًا، أقبلت مع رسول الله ﷺ، آخذًا بيدي، نمشي في البطحاء، حتى أتى على أبيه وأمه وعليه يُعذبون، فقال أبو عمار: يا رسولَ الله، الدهر هكذا. فقال رسولُ الله ﷺ: اصبر، اللّهمّ اغفر لآلِ ياسر، وقد فعلت[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٦٣) عن محمد بن عبد الرحمٰن بن مجبر عن أبيه عن جده... به.

(٢) لم نقف عليه عند أحمد في المسند أو عند غيره.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٦٢) عن سالم بن الجعد قال... فذكره: قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أنه منقطع.

وروى أحمد أيضًا في مسنده أن عثمان بن عفان (رض) قال لابن مسعود رضي الله عنه: هل أنت مُنتَهٍ عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر. فقال عثمان (رض): ويحَك، إني قد سمعتُ وحفظت، وليس كما سمعتَ. إن رسول الله ﷺ قال: سيُقتل أميرٌ ويَنتزي منتزٍ، وإني أنا المقتول، وليس هو عمر؛ إنما قَتَلَ عمرَ واحدٌ، وإنه يُجتَمع عليّ[١].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن عبّاد بن زاهر قال: سمعتُ عثمان (رض) يخطب، فقال: إنّا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويَتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير. وإن ناسًا يعلمونني به، عَسَى ألا يكون أحدُهم رآه قط[٢].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده: أن عُبيد الله بن عديّ بن الخِيار قال: إن عثمان بن عفان (رض) عنه قال له: يا ابن أخي، أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قال: فقلت: لا ولكن خلص إليّ من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها. قال: فتشهَّد ثم قال: أما بعد، فإن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، وآمن بما بعث به محمدًا. ثم هاجرت الهجرتين، وصحبتُ رسولَ الله ﷺ وبايعتُه فوالله ما عصيتُه ولا غَشَشْتُه حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله ثم استخلفت. أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التي تبلُغُني عنكم؟ انفرد به البخاري[٣].

٦٠ ـ ذكر خوف عثمان وخشوعه (رض):

روى عبد الله بن أحمد في المسند بإسناده عن هانىء مولى عثمان قال: كان عثمان (رض) إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له: أتذكر الجنة والنار

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٦٦) عن أبي عون الأنصاري قال... فذكره، ورواه أيضًا: الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٤٠٤) عن أبي عون أيضًا. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٧): رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٦٩) عن عباد بن زاهر، ورواه أيضًا: الضياء المقدسي في المختارة (١/ ٤٨١) عنه. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٨): رواه أحمد وأبو يعلى في الكبير ورجالهما رجال الصحيح، عباد بن زاهر ثقة.

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٦٦) عن عبيد الله بن عدي بن الخيار... به. وقول المصنّف: انفرد به البخاري أي عن بقية الستة والحديث فيه في باب مناقب عثمان (٣/ ١٣٥١) ولفظه أطول عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أيضًا.

فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: القبرُ أول منازل الآخرة، فإن تنجُ منه فما بعده أيسرُ منه؛ وإن لم تنجُ منه فما بعدَه أشدُّ منه. قال: وقال رسولُ الله ﷺ: والله ما رأيتُ منظرًا قطُّ إلا القبرُ أفظعُ منه؛ نعوذ بالله من عذاب القبر[١].

٦١ ـ ذكر ما أشار به المغيرة على عثمان (رض):

روى الإمامُ أحمد في المسند بإسناده قال: دخل المغيرةُ بن شعبة على عثمان (رض) وهو محصور، فقال: إنك إمامُ العامّة، وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرضُ عليك خِصالًا ثلاثًا، اختر إحداهن: إما أن تخرجَ فتقاتِلهم فإنّ معك عددًا وقوةً، وأنت على الحق وهم على الباطل وإما أن تخرق لك بابًا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك، فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلُوك وأنت بها؛ وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمانُ (رض): أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أولَ مَن خلف رسولَ الله ﷺ في أُمَّته بسفكِ الدماء؛ وأما أن أخرجَ إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: يُلحد رجلٌ من قريش بمكة عليه نصفُ عذاب العالم فلن أكون أنا إياه؛ وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فلن أفارقَ دارَ هجرتي ومجاورةَ رسول الله ﷺ قوله: يلحد رجلٌ من قريش بمكة فإن أهلَ الشام كانوا يقولون: هو عبد الله بن الزبير[٢].

٦٢ ـ ذكر بشارة النبيّ عليه السلام لعثمان (رض) بالجنة:

روى البخاري في صحيحه بإسناده عن سعيد بن المسيّب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري (رض) أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقلت: لألزمنَّ رسول الله ﷺ، ولأكوننّ معه يومي هذا. قال: فجاء المسجدَ فسأل عن النبيّ ﷺ، فقالوا: خرج ووجَّه هٰهنا. فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئرَ أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس قد توسط قفها وكشف عن ساقيه ودلّاهما في البئر. فسلّمت عليه ثم انصرفت. فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو

(١) رواه عبد الله في زوائده على المسند (١/ ٦٣) عن هانىء... به، ورواه أيضًا: ابن ماجة في السنن (٢/ ١٤٢٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٦٧) عن المغيرة بن شعبة قال: فذكره، ورواه أيضًا: الحارث في مسنده (٢/ ٨٩٨). قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣٠): رجاله ثقات إلا أن محمد بن عبد الملك بن مروان لم أجد له سماعًا من المغيرة.

بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رِسلك. ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشِّره بالجنة. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشِّرك بالجنة. فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلّى رجليه في البئر كما صنع النبيّ ﷺ، وكشف عن ساقيه. ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يُرد الله بفلان خيرًا، يريد أخاه، يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: مَن هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلّمت عليه، وقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: ائذن له وبشِّره بالجنة، فجئت فقلت: ادخل ويبشِّرك رسول الله ﷺ بالجنة. فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلّى رجليه في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأتِ به. فجاء إنسان يحرّك الباب، فقلت: مَن هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رِسلك. وجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ائذن له وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه. فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ على بلوى تصيبك. فدخل فوجد القف قد مُلىء، فجلس وِجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد: فأوّلتها قبورهم[1].

وروى البخاري أيضًا بإسناده عن أنس بن مالك (رض) أن النبيّ ﷺ صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم، فقال: اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان. وفي رواية، فضربه برجله وقال: اثبت فما عليك إلا نبيّ وصديق وشهيدان[2].

وروى البخاري أيضًا بإسناده عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى قال: كنت مع النبيّ ﷺ في حائطٍ من حيطان المدينة، فجاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبيُّ ﷺ: افتح له وبشِّره بالجنة. ففتحتُ له فإذا أبو بكر، فبشرْته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبيّ ﷺ: افتحْ له وبشِّرْه بالجنة. ففتحتُ له، فإذا عمر فأخبرتُه بما قال النبيّ ﷺ فحمد الله. ثم استفتحَ رجلٌ، فقال لي: افتح له وبشِّره

---

(١) هذا حديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) ومسلم (٤/ ١٨٦٨) بإسنادهما عن سعيد بن المسيب. . . به.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٤٤) عن أنس، ورواه أيضًا: الترمذي (٥/ ٦٢٤)، وأبو داود (٤/ ٢١٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١١٢)، وأبو يعلى (٥/ ٤٦٦)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٢١).

بالجنة على بلوى تصيبه؛ فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان[١].

٦٣ ـ ذكر فضل عثمان بعد أبي بكر وعمر (رض):

عن نافع عن ابن عمر (رض) قال: كنا نخيِّر بين الناس في زمن رسول الله ﷺ، فنخيِّر أبا بكر ثم عمر ثم عثمان (رض)[٢].

وفي رواية أخرى عن ابن عمر (رض) قال: كنا في زمن النبيّ ﷺ لا نفاضل بينهم. رواهما البخاري[٣].

وعن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم مَن؟ قال: عمر؛ قلت: وخشيت أن أقول: ثم مَن، فيقول: عثمان. قلت: ثم أنت. فقال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين. انفرد به البخاري[٤].

قال الإمام أحمد (رض): اذهب في التفضيل إلى حديث ابن عمر (رض)، وفي الخلافة إلى حديث سفينة عن النبيّ ﷺ: الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكًا، وآخر الخلافة إلى آخر خلافة عليّ بن أبي طالب (رض).

وعن أحمد رواية أُخرى: التربيع بعلي (رض) فيقول: خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم[٥].

٦٤ ـ ذكر مصاهرة عثمان (رض) رسول الله ﷺ:

كان عثمان (رض) صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه رُقية وأُم كلثوم، فلهذا كان يقال لعثمان (رض) ذو النورين، وهذا من أعظم الفضائل. ولم يجمع بين ابنتي نبيّ منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى قيام الساعة إلا عثمانُ بن عفان (رض).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٥٠) عن أبي عثمان النهدي... به، ورواه أيضًا: ابن حبان (١٥/ ٣٤١).

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٣٧) عن نافع... به، وكذا ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٧).

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٣٥٢) عن نافع... به، ورواه أيضًا: الخلال في السنة (٢/ ٣٨٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٧) من طريق نافع... به.

(٤) رواه البخاري (٣/ ١٣٤٢) من طريق أبي يعلى عن محمد ابن الحنفية... به.

(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٦١)، والترمذي في السنن (٣/ ٤٤٨)، وأبو داود (٢/ ٢٧٢)، وابن ماجة (١/ ٦٤٧) عن ابن عباس.

وكان علي (رض) أيضًا صهر رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة (رض). وكان أبو العاص بن الربيع أيضًا صهر النبيّ ﷺ على ابنته زينب، وهي أكبر بناته، وكان تزوجها أبو العاص بن الربيع قبل النبوة. فلما بُعث محمد عليه السلام فارقها أبو العاص بن الربيع، ثم إنه أسلم، فردّها عليه النبيّ ﷺ بعد سنتين بنكاحها الأول لم يحدث شيئًا.

وقد رُوِيَ أنه ردَّها عليه، وكان إسلامها قبل إسلامه بستِّ سنين بالنكاح الأول، ولم يحدث شهادة ولا صداقًا. رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي[١]. وقيل: ردها عليه بنكاح جديد ومهرٍ جديد. وكان النبيّ ﷺ يثني على صحبته خيرًا.

وروى البخاري في صحيحه بإسناده عن المِسْور بن مَخرمة، قال: إن عليًا (رض) خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة (رض)، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعمُ قومُك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدّثني وصدّقني، وإن فاطمة بضعةٌ مني، وإني أكره أن يسوؤها شيء. والله لا تجتمعُ بنتُ رسول الله وبنتُ عدوِّ الله عزّ وجلّ عند رجل واحد. فترك علي الخِطبَةَ[٢].

وفي رواية أخرى عن المسور قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ ذكر صهرًا له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، فأحسن، قال: حدّثني فصَدَقني، ووعدني فوفى لي. رواه البخاري. قلت: يُحتمل أن يكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام: وعدني فوفى: أنه وعده أنه لا يتزوج علي ابنته زينب (رض) عنها. وهذا شرط صحيح يلزم الوفاء به، لقوله عليه الصلاة والسلام: إن أحقّ ما وفيتُم به من الشروط ما استحْللتُم به الفروج. رواه أحمد وأبو داود[٣].

٦٥ ـ ذكر تجهيز عثمان (رض) جيش العسرة من ماله:

قال النبيّ ﷺ: مَن يجهز جيشَ العُسرة وله الجنة؟ فجهزه عثمانُ (رض) من ماله. فروى عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمانُ بن عفان (رض) إلى النبيّ ﷺ

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٦١)، والترمذي في السنن (٣/ ٤٤٨)، وأبو داود (٢/ ٢٧٢)، وابن ماجة (١/ ٦٤٧) عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (٣/ ١١٣٢)، ومسلم (٤/ ١٩٠٢) عن المسور.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣٢٦)، وأبو داود (٢/ ٢٢٥). وأيضًا: البخاري (٣/ ١٣٦٤)، ومسلم (٤/ ١٩٠٣).

في غزوة تبوك وفي كُمه ألفُ دينار، فصبّها في حجر النبيّ ﷺ، قال عبد الرحمٰن: فرأيت النبيَّ ﷺ يقلبُها بيده في حجره، ويقول: ما ضرّ عثمانَ ما فعلَ بعدَ هذا أبدًا[١].

وعن قتادة: أن عثمان بن عفان (رض) جهّز في جيش العُسرة تسعمائةٍ وثلاثين بعيرًا وسبعين فرسًا[٢].

وعن ابن شهاب، وهو الزهري، قال: حمل عثمان بن عفان (رض) في غزوة تبوك على تسعمائة وأربعين بعيرًا، ثم جاء بستين فرسًا فأتمَّ بها الألف[٢].

وعن الأحنف بن قيس قال: نشد عثمانُ بن عفان (رض) عليًّا وطلحة والزبيرَ وسعدًا رضي الله عنهم: هل تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قال يوم جيش العسرة: من يجهّزه غفر الله له، فجهّزْتُهم حتى ما يفقدون خِطامًا ولا عِقالًا؟ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: مَن يشتري بئرَ رومة فيجعلها سِقاية للمسلمين غفر الله لهُ، فاشتريتها، ثم ذكرتُها لرسول الله ﷺ، فقال: اجعَلْها سِقايةً للمسلمين ولك أجرُها؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: فنشدْتُكم بالله هل تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قال: مَن اشترى بيتًا فزاده في المسجد غفر الله له، فابتعتُه، ثم ذكرتُ ذلك له، فقال: زده في المسجد وأجرُه لك ففعلتُ ذلك؟ قالوا: اللهم نعم. ذكر هذا الآجرّي في كتابه[٣].

٦٦ ـ ذكر كلام أحمد بن حنبل في التفضيل:

قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن الشهادة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بأنهما في الجنة، فقال: نعم، أذهبُ إلى حديث سعيد بن زيد. قال: وكذلك أصحابُ النبيّ الثمانية. وقال النبيّ ﷺ: أصحابُ الجنة عشرون ومائة صنف: ثمانون منها من أمتي، فإذا لم يكن أصحاب النبيّ منهم فمن يكون![٤]

---

(١) رواه أحمد (١/ ٧٠)، والنسائي (٦/ ٤٦)، والدارقطني (٤/ ١٩٥) من حديث الأحنف بن قيس.
(٢) لم نقف عليه.
(٣) أخرجه أيضًا: النسائي (٦/ ٢٣٣)، والبزار في مسنده (٢/ ٤٦)، والدارقطني (٤/ ١٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنّف (٧/ ٢٣٣) والطيالسي في مسنده (ص ١٤)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٠٧).
(٤) رواه الخلال في السنة (٢/ ٣٦٦) وحديث «أصحاب الجنة عشرون...» عند أحمد في المسند (٥/ ٣٤٧) من حديث بريدة عن أبيه.

وقال أحمدُ في رواية الميموني: إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتَّهِمْه على الإسلام.

قال عبد الله بن أحمد، قلت لأبي: مَن الرافضي؟ قال: الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر (رض). قال: وسألت أبي عن رجل يشتم رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: ما أراه على الإسلام.

وقال المرّوزي: قال أحمد بن حنبل رحمه الله: لما مرض رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر ليصلي بالناس. وقد كان في القوم من هو أقرأُ منه، وإنما أراد الخلافة[1].

وقال عبدوس بن مالك العطار: سمعت أحمد بن حنبل يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان (رض). نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدّمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك. ثم بعد هؤلاء أصحاب الشورى الخمسة: علي والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد (رض). كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام. ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر (رض): كنا نعد، ورسول الله ﷺ حي، وأصحابه متوافرون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت. ثم بعد أصحاب الشورى أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار، من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة أولًا فأولًا. ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله القرن الذين بُعث بينهم، كل من صحبه سنة أو شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسَمع منه ونظر إليه نظرة. فأدناهم صحبة أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال؛ كان هؤلاء الذين صحبوا النبيّ ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبتهم من التابعين ولو عملوا كلَّ أعمال الخير. وما انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه أو ذكر مساوئه، كان مُبتدعًا حتى يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا.

وقال صالح بن أحمد: سئل أبي، وأنا شاهد، عمن يقدم عليًا على عثمان يُبدع، قال: هذا أهلٌ أن يُبدَّع، أصحاب رسول الله ﷺ قدَّموا عثمان.

وعن عمر بن عثمان الحمقي قال: لما حُمل أحمدُ بن حنبل من العسكر إلى الروم نزل هـٰهنا حمص، فدخلت عليه فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في عليٍّ

---

(١) ويروي أحمد في مسنده (١/٣٥٦) عن ابن عباس نحو هذا.

وعثمان؟ فقال: عثمان ثم علي. ثم قال: يا أبا حَفص، من فضل عليًا على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى.

وعن محمد بن عوف قال: سألت أحمد بن حنبل عن التفضيل فقال: مَن فضّل عليًا على أبي بكر فقد طعن على رسول الله ﷺ؛ ومَن قدم عليًا على عمر فقد طعن على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر؛ ومن قدّم عليًا على عثمان فقد طعن على رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعلى المهاجرين، ولا أحسب يصلح له عمل.

وعن عبد الله قال: حدّثَ أبي بحديث سفينة، فقلتُ: يا أبت، ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمرُ وعثمان. فقلت: وعلي بن أبي طالب؟ قال: يا بنيّ، علي بن أبي طالب من أهل بيتٍ لا يقاسُ بهم أحد.

وقال عبدُ الله: سمعتُ أبي يقول: ما لأحدٍ من الصحابة من الفضائل بالأحاديث الصِحاحِ ما لِعليّ (رض).

وقال أحمد بن حنبل: من لم يُثبت الإمامة لعليّ (رض) فهو أضلُّ من حمارِ أهله.

قال المروزي: قيلَ لأبي عبد الله، ونحنُ في العسكر، وقد جاء بعضُ رسل الخليفة: يا أبا عبد الله، ما تقولُ فيما كان بين عليٍّ ومعاوية؟ فقال: ما أقولُ عنهم إلا الحُسنى.

قال المروزي: وسمعتُ أبا عبد الله، وذُكر له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: رَحِمهم الله أجمعين ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري والمغيرة كلهم وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفَتح: الآية ٢٩] وسأله رجل عما جرى بينَ عليٍّ ومعاوية، فأعرضَ عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجل من بني هاشم. فأقبل عليه، فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٤].

٦٧ ـ ذكر أن عثمان (رض) وأصحابه برءاء من الفتن وأنه يُقتل مظلومًا (رض):

عن أبي الأشعث الصنعاني قال: شهدتُ خطباء في أول الفتنة بالشام؛ قال: فقام رجلٌ في آخرهم يقال له مُرّة بن كعب فقال: لولا حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت. إن رسول الله ﷺ ذكر يومًا فتنةً، فمرّ رجلٌ مقنع، فقال: هذا وأصحابُه على الحق. فاتبعتُه فإذا هو عثمانُ رضي الله عنه[1].

(١) رواه الترمذي (٥/٦٢٨) عن أبي الأشعث الصنعاني، والحاكم في المستدرك (٣/١٠٩) عنه=

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر رسولُ الله ﷺ فِتنةً، فمرّ رجل مقنع فقال: يُقتل هذا المقنعُ مظلومًا. قال: فنظرتُ إليه فإذا هو عثمان بن عفان (رض)[١].

وعن مجاهد عن عائشة (رض) قالت: دخل عثمان بن عفان (رض) على النبيّ ﷺ فناجاه طويلًا. فما فجأت إلا وعثمان (رض) عنه جاث على ركبتيه يقول: ظلمًا وعدوانًا يا رسول الله؟ قالت عائشة (رض): فظننت أنه أخبره بقتله[٢].

وعن زيد بن أرقم قال: بعثني رسول الله ﷺ، فقال: انطلق حتى تأتي السوق فتلقى عثمان فيها يبيع ويبتاع، فقل له: إن رسول الله ﷺ يقرأُ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة بعد بلاء شديد. فانطلقت حتى أتيتُ السوق، فلقيت عثمان (رض) يبيع ويبتاع كما قال رسول الله ﷺ، فقلت: إن رسول الله ﷺ يقرأُ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة بعد بلاء شديد. قال: وأين رسول الله ﷺ؟ قلت: بمكان كذا وكذا. فأخذ بيدي، فجئنا جميعًا حتى أتينا رسول الله ﷺ. فقال له عثمان: يا رسول الله، إن زيدًا أتاني فقال لي: إن رسول الله ﷺ يقرأُ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة بعد بلاء شديد. فأي بلاء يصيبني يا رسول الله؟ فوالذي بعثك بالحق ما تغنيت ولا تمنيْت ولا مَسسْت ذكري منذ بايعتك. فقال: هو ذاك هو ذاك[٣].

وفي رواية أخرى، قال زيد بن أرقم: بعثني رسول الله ﷺ إلى عثمان (رض) فبشرته بالجنة على بلوى تصيبه. فأخذ عثمان بيدي فانطلق بي حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما هذه البلوى التي تصيبني؟ فوالله ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسستُ فرجي بيميني منذ أسلمت وبايعتُ رسولَ الله، ولا زنَيْت في جاهلية ولا

= أيضًا. ورواه ابن ماجة عن كعب بن عجرة (١/ ٤١). قال البوصيري (١/ ١٨): إسناده منقطع. ورواه أحمد في المسند (٤/ ٢٣٦) عن أبي الأشعث.

(١) رواه الطرطوسي في مسند عبد الله بن عمر (ص ٢٨).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٧٥) عن عروة عن عائشة... به، ورواه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٣١) عن مجاهد عنها... به، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٠) عن حبيب الرحبي عن فلان عن عائشة. قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٨٤) على رواية أحمد: فيه فرج بن فضالة وقد وثق وهو ضعيف وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٦٦) عن زيد بن أرقم. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٦) فيه: عبد الأعلى بن أبي المساور وقد ضعفه الجمهور ووثق في رواية عن يحيىٰ بن معين والمشهور عنه تضعيفه.

إسلام. فقال له النبيّ ﷺ: إن الله عزّ وجلّ مُقمِّصك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه[(١)].

وعن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: لو لم يكن في عثمان (رض) إلا هاتان الخَصْلتان كفتاه: بذلُه دمَه دون دماء المسلمين، وجمعُه المصحف.

وعن أيوب السجستاني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عثمان (رض) أصبح يحدِّثُ الناس فقال: رأيتُ النبيّ ﷺ، فقال: يا عُثمان، أفطِرْ عندنا. فأصبح صائمًا ثم قُتِل من يومه رحمه الله[(٢)].

٦٨ ـ ذكر إنكار أصحاب رسول الله ﷺ قتل عثمان (رض):

لما قُتل عثمان (رض) عظُم ذلك على أصحابِ النبيّ ﷺ وأنكروه أشدَّ الإنكار. فروي عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: رأيتُ عليًا (رض) عند أحجار الزَّيتِ رافعًا إصبعيه أو قال: مادًّا إصبعيه، يقول: اللهم إني أبرأُ إليكَ من دمِ عثمان.

وعن حبيب بن ثابت عن محمد بن علي قال: لما كان يومُ الدار أرسلَ عثمان إلى علي، رضي الله عنهما، يدعوه، فأراد إتيانه فتعلَّقوا به ومنعوه؛ فألقى عمامة سوداء عن رأسه، ونادى ثلاثًا: اللهم إني لا أرضى قتلَه ولا آمُرُ به[(٣)].

وعن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يردُّ الناسَ عن عثمان (رض) يوم الدار بسيفين يضرب بيديه جميعًا[(٤)].

وعن مولى حُذيفة، قال: لما بلغ حذيفة بن اليمان قتل عثمان (رض) جعل يتردد في الدار قائمًا وذاهبًا كهيئة النادم وهو يقول: اللهم إني أخاف أن يكون أمير المؤمنين مضى وهو عليٌّ ساخط.

وعن زيد بن علي أن زيد بن ثابت بكى عثمان (رض) عنه يوم الدار[(٥)].

---

(١) هذه الرواية ذكرها الهيثمي في المجمع (٩/٥٦) وعزاها إلى الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وقد سبق القول فيه.

(٢) رواه البزار في مسنده (٢/ ١٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٢)، وأبو يعلى في الكبير كما في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٢) قال الهيثمي: فيه أبو علقمة مولى عبد الرحمٰن بن عوف ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٦٨) عن حبيب، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٩) عنه.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨١) عن فطر بن خليفة عن زيد.

وعن قيس بن أبي حازم قال: سمعتُ سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفيل يقول: لو انقضّ أُحُد فيما فعلتم بابن عفان لكان محقوقًا أن ينقضّ. وفي لفظ، قال سعيد بن زيد للقوم: لو أنّ أحدًا انقضّ لِما صنعتم بعثمان لكان محقوقًا أن ينقض.

وفي رواية: لو ارفضّ أو انقضّ أُحُدٌ فيما صنعتم بابن عفان لكان محقوقًا أن يرفض أو ينفض ـ بالفاء في ينفض، وقد رُوِيَ بالقاف ومعناه زال عن مكانه، ومن رواه بالفاء فمعناه تهدّم وتفرّق وتقطّع.

وعن ابن سيرين قال: بعث عثمان (رض) سليطَ بنَ سليط، وعبد الرحمٰن بن عتّاب بن أسيد، فقال: اذهبا إلى ابن سَلام فتنكرا له وقولا له: إنه قد كان من أمر الناس ما قد ترى، فما تأمرنا؟ قال: فأتيا ابن سلام، فقالا له نحوًا من مَقالتِه. فقال لأحدهما: أنت فلان ابن فلان، وقال للآخر: أنت فلان ابن فلان، بعثكما أميرُ المؤمنين، فأقرئاه السلام وأخبراه أنه مقتول فليكفّ، فإنه أقوى لحُجّتِه يوم القيامة عند الله عزّ وجلّ: فأتياه فأخبراه، فقال عثمانُ (رض): عزمت عليكم أن يقاتل معي منكم أحد.

وعن قتادة قال: قال عبدُ الله بن سلام: والله لئن كان قتلَ هُدًى لتَحْلُبنَّ لبنًا إلى يوم القيامة؛ ولئن كان قتله ضلالةً لتحلبنَّ دمًا إلى يوم القيامة.

وعن عبد الملك بن عمير ابن أخي عبد الله بن سلام قال: لما أُريدَ عثمان (رض) جاء عبد الله بن سلام (رض) فقال له عثمان (رض): ما جاء بك؟ قال: جئتُ في نصرتك. قال: اخرج إلى الناس. فخرج عبد الله إلى الناس فقال: يا أيها الناس، إنه كان لي اسم في الجاهلية، فسماني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت فيَّ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: الآية ١٠]. ونزل فيّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرّعد: الآية ٤٣] إن لله سيفًا مغمودًا عنكم، وإن الملائكة جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم ﷺ. فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه؛ فوالله لئن قتلتموه لتُطردنَّ جيرانكم من الملائكة، وليُسلنّ سيف الله المغمود عنكم، فلا يُغمد إلى يوم القيامة.

وعن حميد بن هلال قال: قال لهم عبد الله بن سلام: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم؛ فوالله لئن قتلتموه ليذهُبنّ ثم لا يعودون أبدًا. ووالله لا يقتله منكم رجل إلا بقي أجذم لا يد له. وإن سيف الله لم

يزل مغمودًا عنكم. وإنكم والله لئن قتلتموه ليسلنّه الله ثم لا يغمد عنكم أبدًا. ما قتل نبيّ قط إلا قتل به سبعون ألفًا، وما قتل خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفًا وقل أن يجتمعوا. وذكر أنه قتل على دم يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام سبعون ألفًا.

قلت: ولعمري لقد قتل بسبب عثمان (رض) في وقعة الجمل وصفين أكثر من خمسة وثلاثين ألفًا، ولا اجتمعت كلمتهم أبدًا، ولا اقتسموا فيئًا، ولا غزوا عدوًا جميعًا. ولقد احتلبوا بعده الدم لا اللبن.

وقد ذكرنا أن أبا هريرة دخل على عثمان (رض) يوم الدار لينصره، فقال له: يا أبا هريرة، أيسرك أن تُقتل الناسُ جميعًا وإياي؟ قال: لا. قال: فإنك والله لئن قتلتَ رجلًا واحدًا فكأنما قتلت الناس جميعًا. قال: فرجع ولم يقاتل[1].

قال الأعمش عن أبي صالح قال: كان أبو هريرة إذا ذكر ما صُنع بعثمان (رض) بكى فكأني أسمعه يقول: هاه! هاه ينتحب[2].

وعن أبي المليح عن ابن عباس (رض) قال: لو اجتمعوا على قتل عثمان لرجموا بالحجارة كما رجم قوم لوط[3].

وعن أبي صالح عن كعب الأحبار قال: لا تقتلوا عثمان، فوالله لئن قتلتموه ليُستحلنّ القتلُ ما بين دروب الروم إلى صنعاء، ولتكونن فتنٌ وضغائن.

٦٩ ـ ذكر الاختلاف في قتلة عثمان رضي الله عنه وخاذليه:

كان بنو أمية وأتباعهم من أهل الشام يتهمون عليًا بالرضى بقتل عثمان رضي الله عنهما، حتى كتب معاويةُ إلى علي (رض) يقول له: قُتل أمير المؤمنين عثمان معك في المحلة، وأنتَ تسمعُ الهائعةَ فلم تنصُرْه، ولم تذبَّ عنه بيد ولا لسان. فكتب علي (رض): إني ما قتلتُ عثمانَ، ولا مالأتُ على قتله، ولا رضيتُ به.

قال الجاحظ: وسألتَ عن أمر عليٍّ وعثمان (رض) عنهما وقلتَ: إن الناسَ قد أكثروا في قاتليه وخاذليه في ذلك العصر وذلك الدهر وقالوا: إن عليًا سمَّ أبا بكر، ودسَّ لعمر حتى قُتل، وأنه أعلن في أمر عثمان حتى قتل عَنوة وجهرة، واستشهدوا في ذلك بقول الشعراء في ذلك الزمان والدهر، واحتجوا بأن الشعرَ ديوانُ العرب

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٠) عن أبي صالح عن أبي هريرة وقد تقدم.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨١) من طريق الأعمش عن أبي صالح... به.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨٠) عن زياد بن أبي المليح عن أبيه... به.

وتاريخ الأمم، وأنه الحجةُ القاطعة؛ وأكثروا من الروايةِ المختلفِ فيها. فمِن ذلك قولُ حسّانَ:

يا ليتَ شعري وليتَ الطيرَ تخبرني ... ما كان شأنُ عليٍّ وابنِ عفّانا
لتسمعنَّ وشيكًا في ديارِهم ... اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا

وقال حكيم بن حزام:

أيا من ذا عذيري من علي ... طوَى كَشحًا وعثمانٌ قتيلُ
تعاوَرَه السيوفُ وناصروه ... من الأحياءِ كلُّهم قليلُ
تبرّا الناسُ منه غير رهطٍ ... أجابوه عزيزهمُ ذليلُ
تواصَوْا بالحِفاظِ فأدركَتْهم ... منایاهُم وأنفسُهُم تسيل

وقال يحيىٰ بن الحكم بن مروان:

قولا لِطلحةَ والزبير خَطِئتُما ... بقتلكما عثمان خيرَ قتيلِ
رميتُم أبا عمرو بكلّ عظيمةٍ ... على غيرِ شيءٍ غيرَ قال وقيلِ
فإما جَدَعتُم بابن أروى أنوفَنا ... ولم تظفروا من قتلِه بقتيلِ
وقالوا عليٌّ لازمٌ قعرَ بيتِه ... فما أمرُهُ فيما أتى بجميلِ
ولو قال: كفّوا عنه، شاموا سيوفَهم ... وولّوْا بغم في النفوس طويلِ
ولكنه أغضى، وكان سبيلُه ... سبيلَهمُ، والظُّلمُ شرُّ سبيلِ
فكلٌّ له ذنبٌ إلينا، نعدُّه ... وذنبُ عليٍّ فيه غيرُ قليلِ

وقال سعيد بن العاص:

ثلاثةُ رهطٍ شاربو كأس علقم ... بقَتْل إمامٍ بالمدينة مُحرِمِ
هم قتلوا عثمانَ من غير ردّةٍ ... ولا رجمِ إحصان ولا قتلِ مُسْلمِ
تعالَوْا فعايونا، فإن كان قتلُه ... لواحدةٍ منها، فحلٌّ لكم دَمي
وإلّا فأعظِمْ بالذي جئتُمُ بهِ ... ومن يأتِ ما لم يَرضَهُ اللهُ يَظْلِمِ
فقالوا: قتلْنا كافِرًا حلّ قتلُه ... لا شيءَ أعمى للقلوبِ من الدَّمِ
فلا يَهْنِئَنَّ الشامتين مُصابُه ... فقصدُهم من قتله حربُ جُرْهُمِ

وقال عمرو بن العاص:

أتَتْني أمور فصدَّقْتُها ... وكنتُ لها إذ أتتْ قائِلا

بأنَّ الزبيرَ رمى رميةً وطلحةَ هدًّا بها الكاهلا
وأن عليًّا يديرُ الأمور أيقتُلُ أم يَمْنَعُ القاتِلا
وكيف يؤمّل نصر القتيل وكان لعثمانِنا خاذلا
سيسْحبُ فيها لهم ذيْله ويمشي لهم حافيًا ناعِلا

وقال مروان بن الحكم:

إن تكن يا عليّ لم تُصبِ المَقْـ ـتولَ جهرًا أصبتَه أنت سرًا
إنّ عمّارًا الذي قتل الشَّيْـ ـخَ وهذا محمد قد أقرّا
بالذي يوجب القصاص على النا س ولو حاذَرَ القِصاصَ لفَرّا
يا ابن أبي طالب جدعت به الأنـ ـف وأبقيت بعدُ شرا شِمِرّا
قتلوا، والذي يحج له النا س؛ بريّا من الفواحش بَرّا
أقربُ الناس بالمدينة خيرا لقريب وأبعد الناس شرّا
أن أعِشْ أو يعش معاوية العا م تذق طعم ما جنوْا لك مُرّا

وقال صفوان بن أمية بن صفوان الجمحي يخاطب عليًّا:

إن بني عمك عبد المطلب هم قتلوا عثمانَ من غير كذِب
ظلمًا وعُدوانًا بلا دم طُلب وأنت أولى الناس بالوثب فثب

قال: والروافض تشهدُ أن عليًا (رض) سم أبا بكر، ودسّ لعمر أبا لؤلؤة حتى قتله. وقالوا: دجى به وقال له: سِرْ طوى الله لك البعيد؛ وإنه جاهر في أمر عثمان حتى قتل. فيمدحونه بذلك، ويجعلونه منقبة وديانة وفضيلة لعلي (رض).

فأما أصنافُ الخوارج والزيدية فإنهم يُنكرون أمر أبي بكر وعمر (رض) ويبرئونه منهما، ويُثبتون قتل عثمان (رض) عليه، ويصحّحونه ويقولون: نحن كنا أعوانه على قتْله عثمانَ (رض) وإخوانه، ويتقلدون دمه، ويجعلونه أفضل أعمالهم وأعماله، وقالوا: لو لم يقتله لغُلِبَ الدين وذهب الإسلام. وقالوا: هذا بعد تحريق المصاحف وتمزيقها، وبعد تعطيل الحدود والأحكام التي في القرآن، والحمى والقطائع والجوائز وإيواء الطريد وأخذ الفيء وأكله، ومنع المهاجرين والأنصار حقوقهم وتفرقهم خاصة، وقتل الرجال، وتسيير الصحابة من ديارهم، شيء يخاف منه على الإسلام.

وقالت الخوارج في قتال الفئة الباغية: نسير فيهم بالإكفار. وقالت المرجئة: لا قتالَ بين المؤمنين ولا امتناع بسلاح، لأنهم أهل لا إلـه إلا الله. وقالت المعتزلة

بإيجاب القتال على جهة الدفع، لا على جهة القصد للقتال والسبي. قال الجاحظ: وهو خير الأقاويل وأعدلها وأرضاها عند الله، قال الله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٧] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٨] قال: والأصل الذي عندنا فيمن ليس كعليٍّ (رض) وسابقيه وتكاملِ خصاله بل في أدنى رجلٍ ألا يُستحلَّ أن يُظنّ به ذلك، وإن كان الناسُ قد قرفوه بقتلِ عثمان، وأنه قد أوى قتلتَه ومنعهم.

وقد اختلفَ الناسُ في اللهِ وصفاته أشدَّ الاختلاف، فكيف بعليٍّ وعثمان (رض) عنهما؟ وعلى أنّ بعضَ أهل العلم قد قال: لقد عجز عن معرفة أمرِ عثمان (رض) من شهده، فكيف من غاب عنه؟ لأنه أمرٌ مُشْكل. قال: ولو كان معاوية القائمُ بثأره الطالبُ بدمه هو القائم بعده بالحجاز والعراق، لوجدتَ مَن يقول: إنه كان دسيسًا منه، وهو الذي أفسدَ عليه الأمر، فإن لم تجد ذلك فاشيًا ظاهرًا ففي الخفية، وهكذا الناسُ منذ كانوا. وأعظم ما ابتُليَ به عليٌّ دمُ عثمان، والتهمةُ له به فيه. إنّ دهماءَ الأمة كانوا يعظِّمون شأن دمه، ويبرئون عليًا (رض) منه ما خلا قريشًا كلها فإنها تُلزِمُه دمَه، وكانوا هم أكثر أجناد الخلافة والقوادَ والرؤساءَ، فكان رضي الله عنه إن هو أظهر الولاية الصحيحةَ في البراءة من قاتليه خافَ أن يُفسد عليه جنده ويفارقوه إلى غيره، لأن أكثرَهم كان ممن في قلبه على عثمان (رض) حنق؛ فكان يكرهُ أن يبوحَ به، وكان يمسك عن ذكره ما أمكنه، فإذا اضطرّه القول قال قولًا يحتملُ رضا الفريقين، ويعلق قوله تعليقًا يحتملُ التأويل، نحو قوله: نحن دلَّيْناه للمقتل.

وكقوله: أيها السائل عن دم عثمان، دمُ عثمان في جُمجمتي هذه، وما أمرتُ بقتله، ولا نهيتُ عنه.

وكقوله: والله ما سرّني قتله ولا ساءني، في كلام طويل.

وكقوله: ويل لي إن قتلتُ عثمان وويلٌ لعثمان إن قتلتُه، مع أنه بريءٌ من دمه.

٧٠ ـ ذكر عذر عثمان (رض) عند أصحاب رسول الله ﷺ:

عن مسعر بن كدام عن أبي عون عن محمد بن حاطبٍ قال: ذُكر عثمان رضي الله عنه عند الحسن والحسين (رض) عنهما فقالا: هذا أميرُ المؤمنين يأتيكم الآن ويُخبرُكم عنه. فجاء عليٌّ (رض) فسألوه، فقال: عثمانُ من الذين اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين[١].

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١١١) من طريق آخر عن محمد بن حاطب ولفظه أطول. ورواه=

وعن عطية عن أبي أيوب عن عليٍّ (رض) عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسرَاء: الآية ٤] إلى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ [الإسرَاء: الآية ٥] قال: قتل زكريا. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الإسرَاء: الآية ٧] مقتل يحيىٰ عليه السلام. والأولى من فساد هذه الأمة مقتل عثمان، والآخرة النفس التي تباح لها قريش. قلت: المراد به مقتل الحسين (رض)[١].

وعن عطية عن أبي أيوب عن عليٍّ (رض) قال: أتاه رجل فقال: إني أُبغِضُ عثمان، فقال: مهلًا، فإنهم ـ يعني أصحاب النبيّ ﷺ والكافرين الذين أنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: الآية ٧] أصحاب النبيّ ﷺ ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [غافر: الآية ٧] من الشرك واتبعوا الرسول إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ [غافر: الآية ١٠] فإياكم أن تكونوا ببغضه منهم[١].

وعن مجالد عن الشعبي عن المغيرة بن شعبة قال: قلتُ لعلي: إن هذا الرجل مقتول، وأنه إن قُتل وأنت بالمدينة ألحدوا فيك. فاخرجْ فكن في مكان كذا وكذا، فإنك إنْ فعلتَ فكنتَ في غارٍ باليمن طلبك الناسُ، فأبى. حُصر عثمان (رض) اثنين وعشرين يومًا ثم قتل[٢].

وعن سعيد بن عبدِ الله الجمحي عن عبد الرحمٰن ومحمد بن أبي حاطب: أن رجلًا أتى عليًا (رض) يسأله عن عثمان (رض)، وعنده أصحابه، فكلهم قال: كافر. فقال الرجل: إني لستُ أسألكم، أسألُ أميرَ المؤمنين. قال علي (رض): في عثمان (رض) وأصحابه نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠١][١].

وروى الآجرّي بإسناده عن يوسف بن سعد قال: قدم محمد بن علي البصرة، فقلت: حدِّثني. قال: شهدتُ عليًا (رض) وهو على سرير وعنده عمّارُ بن ياسر وزيدُ بن صُوحان وصعصعة، فذكر عثمان (رض)، قال: وعلي (رض) ينكث في

= ابن أبي شيبة في المصنّف (٦/ ٣٦٤) بهذا السند واللفظ سواء عن مسعر بن كدام عن عون... به. ورواه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٨٣) عن العوام بن حوشب عن محمد بن حاطب... به. وكذا الواسطي في تاريخ واسط (١/ ٤٨).

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٦٧٦) عن سيف عن المجالد... به، وكذا ابن عساكر في التاريخ (٣٩/ ٤١٠).

الأرض بعودٍ معه، فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: الآية ١٠١] قال: نزلَتْ في عثمان. فقلتُ لمحمد بن علي: أروي هذا عنك؟ قال: نعم[١].

وعن محمد ابن الحنفية قال: لو كان عليٌّ ذاكرًا لعثمان بسوء ذكره يوم جاء ناس يشكون إليه سُعاةَ عثمان فقال لي علي: اذهب بهذا الكتاب إلى عثمان وأخبره أنَّ فيه صدقة رسول الله ﷺ، فمُرْ سُعاتَك يعملون بها. فأتيتُه بها فقال: أغنِها عنا. فأتيتُ بها عليًا فقال: لا عليك، ضعها حيثُ وجدتَها. قال بعض الرواة عن سفيان بن عُيَيْنة: لم يجِد عليٌّ بدًّا حين كان عنده علم منه أن يُنهِيَه إليه. قال: ويرى عثمان إنما رده أن عنده علمًا من ذلك فاستغنى عنه. حكاه أبو مسعود الدمشقي في الأطراف، وذكره الحميديّ في الجَمْع بينَ الصحيحين[١].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن سالم بن عبدِ الله بن عمر قال، قال عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما: جاءني رجل في خلافة عثمان رضي الله عنه فكلّمني بكلام طويل، يُريدُ أن أعيبَ على عثمان (رض)، وهو امرؤ في لسانه ثقل، لا يكاد يقضي كلامَه في سريع، فلما قضى كلامه قلت: قد كنا نقول ورسول الله حيّ: أفضلُ أمة رسول الله ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وأنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسًا بغير نفس، ولا جاء من الكبائر شيئًا، ولكن إنما هو هذا المال، فإن أعطاكموه رضيتُم، وإن أعطى أولي قرابَتِه سخِطْتُم؛ إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا يتركون لهم أميرًا إلا قتلوه. قال: ففاضت عيناه بأربع من الدمع، ثم قال: اللهم لا نُريدُ ذلك[٢].

وعن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: لقد عابوا على عثمان أشياء لو فعل بها عمرُ (رض) لما عابوها عليه.

٧١ ـ ذكر الأسباب التي نقموها على عثمان والجواب عنها والاعتذار لعثمان (رض):

اعلم، رحمك الله، أن الرافِضةَ والمُلحدةَ قد طعنوا على عثمان (رض) عنه وتعلّقوا عليه بأشياء فعلها لا تثبت لهم عليه بها حُجَّة، قد ذكرنا أكثرها فيما مضى، ونذكر الآن منها طرفًا، ونذكر الجواب عنها بحسب الإمكان فنقول:

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٩٤) من طريق الزهري عن سالم... به، والخلال في السنة (٢/ ٢٨٦) من هذا الطريق أيضًا.

فإن قيل: فإنَّ ابنَ مسعود (رض) أنكرَ على عثمان (رض) في أمر المصاحف وتحريقها، فالجواب: أن ابنَ مسعود دونَه في الفضل والمرتبة فكان عثمان (رض) أعلم بما فعل؛ ولأن الرجلَ كان يقول للرجل: قراءتُنا خيرٌ من قراءتك، فأزال عثمان (رض) هذا وجمعهم على شيء واحد. وكان قد ولّى زيد بن ثابت أمر المصاحف، ولو كان ذلك متوجهًا إلى عثمان (رض) لكان ذلك طعنًا على من قبله من الصحابة. وقد رُوِيَ أن عليًا (رض) قال: عن ملأٍ منا ـ أصحاب رسول الله ـ فعل ذلك عثمان. ولو كان منكرًا لكان عليٌّ غيّره لما صار الأمرُ إليه. فلما لم يغيِّره، علم أن عثمان (رض) كان مصيبًا فيما فعل.

فإن قيل: إنه اعتدى بتولية الوليد بن عقبة، وإنه سكر فصلّى بهم الفجرَ ركعتين، ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فالجواب: أنه قد ولّى رسولُ الله ﷺ بعض الناس على الصدقة ففسق، فأنزل الله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: الآية ٦] فليس يلحق عثمانَ (رض) إلا ما لحق رسولَ الله ﷺ.

وولى عمرُ بن الخطاب (رض) قدامة بن مظعون البحرين فشرب الخمر متأولًا، فجلده عمر (رض). وقدامة بدريٌّ من أولي السابقة والفضل، وكذلك عثمان.

وولى عليٌّ (رض) المختار بن أبي عبيد المدائن، فأتاه بُصرة، فقال: هذه من أُجور المومسات، فقال علي (رض): قاتله الله، لو شُقّ عن قلبه لوجد ملء حب اللات والعزى، وهو أفسق من الوليد. فأخذ المختار المالَ ولحق بمعاوية. وكان علي (رض) يلقى من ولاته وعماله الأمر الشديد فكان يقول: ولَّيتُ فلانًا فأخذ المال، ووليتُ فلانًا فخانني إلى غير ذلك. ذكر هذا أبو نعيم في كتاب الأمة.

فإن قيل: فقد أنكر ابن مسعود وأبو ذر إتمام عثمان الصلاة بمنًى وأنه صلّى أربعًا، فالجواب: إنه قد اعتذر عن ذلك، قال: ذاك رأي رأيته، ثم لو كان فعله خلاف الحق لما تبعاه ووافقاه، فقيل لهما في ذلك، فقالا: الخلافُ شر. وقد رُوِيَ عن جماعة من الصحابة إتمام الصلاة في السفر، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة (رض). والذي حمل عثمانَ (رض) على إتمام الصلاة أنه بلغه أن قومًا من الأعراب شهدوا الصلاة معه بمنًى، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: الصلاة ركعتان، كذلك صليناها مع عثمان بمنى. فلأجل ذلك صلاها أربعًا ليعلمهم ما بنوا به الخلاف والاشتباه. وكذلك فعل عمر (رض) في أمر الحجِّ وأن يجمعوا بين الحجِّ والعمرة في أشهر الحج، وخالفه ابنه عبد الله وقال: سنّة رسول الله أَحَقُّ أن تتبع. وتابعه أبو

موسى وجماعة من الصحابة على ترك الجمع بين الحج والعمرة مع علمهم بفعل رسول الله ﷺ وإقامته على الإحرام حتى دخل مكة معتمرًا حتى فرغ من المناسك. ولم ينكروا ذلك على عمر (رض)، ولو كان منكرًا لما تابعوه على رأيه.

فإن قيل: إنه أعطى من مال الصدقة ووفّر أقرباءه، فالجواب: أن عثمانَ (رض) أعلمُ مِمّن أنكر عليه. والإمامُ إذا رأى المصلحة في فعل شيء فعله، فلا يكون إنكار من جهل المصلحة في ذلك حجّة على مَن عرفها؛ فإنه لا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيثُ لا يعرفونه. فقد فرّقَ رسولُ الله ﷺ غنائم خيبر في المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الأنصارَ لما رأى في ذلك من المصلحة، حتى قالوا: تُقسَمُ غنائمنا في الناسِ وسيوفنا تقطرُ من دمائهم. وجهلوا ما رآه النبيُّ عليه الصلاة والسلام من المصلحة. وذلك أعظم مما فعله عثمانُ (رض) ولأن مالَ المؤلفة من الغنيمة. فلا يلزمُ عثمانَ من إنكار من أنكر عليه إلا ما لزم رسول الله ﷺ حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداءً برسول الله ﷺ. فإن قيل: الذي أعطى رسولُ الله كانَ من الخُمس. قيل له: لو كان من الخمس لما أنكرت الأنصار ذلك، ولما قالت: غنائمنا، ولقالَ رسولُ الله ﷺ: إنما أعطيتُهم من مال الله. ألا تراه استمالَ قلوبهم بقوله: ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله إلى بيوتِكم؟ قالوا: رضينا. والحديثُ مشهور[1].

فإن قيل: بأن عثمان (رض) ضرب عمّارًا، قيل: هذا لا يثبُت، ولو ثبت فإنّ للإمام أن يؤدِّبَ بعض رعيته بما يراه وإن كان خطأ. ألا ترى أن النبيّ عليه الصلاة والسلام أقصّ من نفسه وأقاد، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أدّبا رعيتهما باللطم والدِرّة وأقادا من أنفسهما. وذلك لمّا أصابَ رسولُ الله ﷺ بطنَ رجل بخشبة فجرحه، فرفع قميصَه وقال: تعال فاقتصّ، فعفا عنه. وجاء رجلٌ إلى أبي بكر (رض) يستحمله فلطمه، فأنكر ذلك الناس، فقال أبو بكر (رض): إنه استحملني فحملتُه، فبلغني أنه باعه، ثم قال له: دونك فاستقِدْ. فعفا عنه. وضرب عمر (رض) جاريةً لسعدٍ بالدرّة فساء ذلك سعدًا، فناوله عمر (رض) عنهما الدرة، وقال له: اقتصّ، فعفا.

فإن قيل: عثمانُ (رض) لم يقدْ من نفسه، قيل له: كيف ذلك؟ وقد بذل من نفسه ما لم يبذله أحدٌ خصوصًا يومَ الدار، فإنه قال: يا قوم، إن وجدتم في كتاب الله

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٣٧) عن أنس بن مالك.

أن تضعوا رجليّ في قيدٍ فضعوهما. وقد ذكرنا أن عمّارًا تقاذف هو ورجل آخر فجلدهما عثمان (رض) حدّ القذف.

فإن قيل: أعطى عثمان (رض) من بيتِ المال من ليس له فيه حق، قيل: لا يثبت ذلك عنه. وكيف نقبل هذا وعثمان (رض) من أكثر الناس مالًا وأكثرهم عطيةً ومعروفًا؟ مع أن العصرَ لا يخلو من جُهّال يقولون ما لا يعلمون؛ فقد قسم رسولُ الله ﷺ يومًا قسمًا، فقال له رجل: هذه قسمةٌ ما أريدَ بها وجهُ الله[1]. فبلغ ذلك النبيّ عليه الصلاةُ والسلام فغضب ثم قال: رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من ذلك فصبر.

وقسم يوم حُنَين تِبرًا، فقال له رجل: اعدِلْ يا محمد. فقال له: ويْحك، ومن يعدل إذا لم أعدل[2]! فهذا رسول الله كان يلقى من الجهال هذا، فكيف بعثمان (رض)؟

فإن قيل: إنه ولّي أقوامًا لا يستحِقون الولاية، منهم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدِ الله بن عامر وغيرهم، قيل: فمن أينَ لكم أن هؤلاء لم يعدلوا؟ ولئن جاز لكم ادعاء الفسق في ولاة عثمان (رض) لجاز ذلك في ولاة عمر وعليٍّ رضي الله عنهما. فقد ولّى عمرُ المغيرةَ البصرةَ فرُمي بما لا يثبت. وولى أبا هريرةَ البحرين، فقالوا: خان مالَ الله. وولى قدامةَ البحرين فشرب الخمر متأوّلًا. وولى عليّ الأشترَ وأمره ظاهر. وولى ابنَ مخنف فأخذ المال وهرب. فلم خصصتم عثمان بالطعن مع أن النبيّ ﷺ ولّى زيدَ بن حارثة فطعن الناس فيه حتى قام خطيبًا منكرًا عليهم فيما طعنوا عليه، وقالوا فيه وفي أسامة ابنه، والحديث مشهور. وإنما طعن الناسُ على عثمان (رض) للينه وحيائه. وكثر في أيامه من لم يصحب النبيّ عليه الصلاة والسلام، ومَن جهل فضل الصحابة (رض).

فإن قيل: فقد نفى أبا ذر إلى الرَّبذة فردًا، قيل: لم يكن ذلك نفيًا؛ وإنما كان ذلك تخييرًا له، لأنه كان كثير الخشونة، ولم يكن يُداري من الناس ما يُداري غيره. فخيَّره عثمان (رض) بعد استئذانه في الخروج من المدينة، فاختار الربذة ليبعد عن

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٥/ ٢٢٦٣) عن عبد الله بن مسعود ورواه أيضًا في الأدب المفرد (ص ١٤١).

(٢) رواه الحكيم في النوادر (١/ ٢٢٣) عن أبي سلمة بهذا اللفظ وله شاهد من الصحيح عند البخاري (٥/ ٢٢٨١) من حديث أبي سعيد، وعند مسلم (٢/ ٧٤٠) من حديث جابر.

الناس ومعاشرتهم؛ وذلك أنه كان بالشام، فجرى بينه وبين معاوية مناظرة في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٤] فقال معاوية: هي في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: هي فيهم وفينا. فكتب معاوية إلى عثمان (رض) في ذلك، فكتب إلى أبي ذر: أن أقدم عليَّ، قال: فقدمت عليه فانثال عليَّ الناس كأنهم لم يعرفوني. فشكا ذلك إلى عثمان (رض) واستأذنه في الخروج من المدينة، فخيَّره، فاختار نزول الربذة لما يلقى من الناس واجتماعهم عليه، فخاف الافتتان بهم. هذا هو الصحيح.

فأما الرافضة فيضعون عليه أشياء لا أصل لها. فإن جُعل إشخاص أبي ذر (رض) من الشام وحبسه بالمدينة طعنًا على عثمان (رض)، قيل: الأئمة إذا خشوا الفتنة والاختلافَ فلهم أن يبادروا إلى حسمه. وقد فعل عمرُ (رض) مثل ذلك: حبسَ جماعة من الصحابة عنده بالمدينة لأجل أحاديث حدَّثوا بها الناس، ومنعهم من الخروج، ومنعهم من لبس أشياء كانت لهم مباحة خوفًا أن يتأسى بهم من لا علم له ولا ورع عنده، فيرتكب بذلك ما ليس له. مع أن للإمام أن ينفي أقوامًا إذا خاف الافتتان بهم؛ فقد رُوِيَ أن عمر بن الخطاب (رض) نفى نصر بن حجّاج لما خاف أن يفتتن به النساء لحسن صورته، وقصَّتُه مع أم الحجاج بن يوسف مشهورة وشعرها فيه:

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربُها ... أم هَلْ سبيلٌ إلى نصْرِ بن حجّاجِ

ونفى عليٌّ (رض) النعمانَ عن ملأٍ من الصحابة؛ ونفى حسانَ أيضًا والله أعلم.

فإن قيل: إنَّ جماعة وافقوا على حصره وقتله، فقد رُوِيَ أن حذيفة وعمّارًا قالا: قتلناه كافرًا، وأنَّ طلحة كان فيمن حصره، وأن عليًا أعان على قتله، وأن الناس خذلوه وأسلموه، إلى غير ذلك من الأمور، قيل: هذا لا يصحُّ عن حُذيفة، وإنما المنقولُ عنه خلاف ذلك، وإنما هذا من كلامِ الرافضة. وإن نُقل ذلك فإنه لا يخلو أحدٌ من الصحابة من حاسدٍ وممن يبغضه، فكيف بعثمان (رض) وهو من أهل السابقة والفضل والكمال! والطعن على عثمان (رض) طعنٌ على من تقدمه.

وأما طلحة فإنه كان يقول يوم الجمل: اللَّهمَّ خُذ لعثمان مني حتى ترضى(١).

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٢) عن حكيم بن جابر الأحمسي عن طلحة... به.

وأما عليٌّ رضي الله عنه فإنه قال غير مرة: اللهم إني أبرأُ إليك من دم عثمان وقال: والله ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ على قتله. ولما بلغه قتلهُ قال: اللهم إني لم أرضَ بقتله ولم آمُرْ[١].

وقال فيه: كان عثمانُ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين[٢].

وسُئِلت عائشة عن عثمان فقالت: قُتل مظلومًا، لعن اللهُ قاتله، أقادَ الله من ابن أبي بكر، وساق اللهُ إلى أغرّ بني تميم هوانًا، وأهرق الله دماء ابن بُدَيل، وساق الله إلى الأشتر سهمًا من سهامه. فوالله ما من القوم أحدٌ إلا أصابته دعوتُها[٣].

وأما تركُ الصحابة الإنكار على مَن حصره فلقد ناصحوا عنه، ولم يظنوا أن الأمرَ يبلغُ إلى قتله، وإنما ظنوا أنها تكون معْتبة. ومع ذلك فإن عثمان (رض) كان يعزم عليهم ليكفوا عن القتال، ولقد أنكروا وبالغوا في الإنكار؛ منهم عليٌّ، وزيدُ بن ثابت، وعبدُ الله بن سلام، وابنُ عمر، وأبو هريرة، والمغيرةُ، والزبيرُ، وابن عامر. وحُمل الحسنُ بن علي يومئذٍ جريحًا، ولبس ابنُ الزبير الدرع مرتين؛ رضي الله عنهم أجمعين.

وعن ابن عون: لقد قُتل عثمان (رض) وأن في الدار لسبعمائة رجل، منهم: الحسن، وابن الزبير (رض). ولو أذن لهم لضربوهم حتى أخرجوهم من المدينة. وأما طلحة فإنه انصرف ولم يكن فيمن حصره؛ كيف وهو يلعن قاتله مع عائشة (رض) صباحًا ومساء! وكان هو والزبير وعائشة ومعاوية يطلبون بدمه، فكيف يعينون عليه ويطلبون بدمه! هذا خُلف. ومع هذا فينبغي الكف عما شجر بين الصحابة، والاستغفار لهم، والإمساك عما نسب إليهم من الرذائل. وكذلك تُبّاع الأنبياء، إنما تُذكر محاسنهم التي مُدحوا عليها، ويُمسك عما سواها.

فإن قيل: إنّ عثمان (رض) حمى الحمى ومنع منه الناس. قيل: رُوِيَ أن المصريين جاؤوا إلى عثمان (رض)، فقالوا: ادعُ بالمصحف، فدعا به، ففتحوا سورة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٠) عن قيس بن عباد عن علي في حديث طويل. ورواه البغوي في الجعديات (١/ ٣٢٩) عن ابن أبي ليلى عن علي بنحوه.

(٢) مرّ ذكر قوله هذا في باب: ذكر عذر عثمان رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله ﷺ وهو مخرج هناك.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٨٨) في حديث طويل عن عائشة. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٩٧): رجاله رجال الصحيح خلا طلق وهو ثقة.

يونس هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يُونس: الآية ٥٩] فقالوا له: أرأيت ما حَميت من الحمى، آلله أذن لك، أم على الله تفتري؟ فقال: هذه الآية نزلت في كذا وكذا؛ وأما الحِمى فقد حَمَى الأئمة قبلي لإبل الصدقة؛ فلما زادت إبل الصدقة زدت في الحِمى. فجعلوا لا يأخذونه بآية إلا قال: نزلتْ في كذا وكذا حتى أخذ عليهم ألا يشقوا عصا المسلمين. فأقبلوا راجعين إلى بلادهم راضين؛ فرأوا في الطريق غُلامًا معه كتابٌ فرجعوا إليه، فقال: إني لم آمر به ولا شعرت به. فحصروه باغين عليه ظالمين له. وقد حمى النبيّ ﷺ نقيعَ الخضمات لخيل المسلمين.

وقال البخاري: بلغنا أن النبيّ ﷺ حمى النقيع، وحمى عمر (رض) عنه السَّرف والربذة، واستعمل على الحمى مولى له يُدعى هُنيئًا. فلم يثبت على عثمان (رض) ذنب، ولو ثبت لما استحق بذلك القتل وانتهاك الحريم وشق العصا وتفريق الجماعة. ولكنَّ الله أكرَمَهُ بالشَّهادة وألحقَه بالنبيِّ عليه السلام وصاحِبَيْهِ في الجَنَّة، حافظًا لوصيَّةِ رسولِ الله ﷺ في خَلْع القميص. وخطا قاتِلوه بالخِزْي واللَّعنة وانتهاك حُرْمَةِ المدينة في الشهر الحرام[١].

فإن قيل: فقد رويتُم عن النبيّ ﷺ أنه ذَكر فتنةً تكونُ بعده، وقال في عثمان (رض): فاتَّبِعوا هذا وأصحابَه فإنَّهم على هُدى، فأخبِرْنا مَنْ أصحابُه. قيل: أصحابُه أصحابُ رسولِ الله المشهود لهم بالجنة، المذكورُ بعضُهم في التوراة والإنجيل، الذين من أحبَّهُمْ سَعِدَ، ومن أبغضَهم شَقِي، مثل علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وسعد وسعيد وغيرهم من الصحابة ممن كان في وقتِهم رضي الله عنهم؛ فإنهم كلهم كانوا على هدى، كما قال النبيُّ صلواتُ الله وسلامه عليه؛ وكلُّهم أنكرَ قتلَه، وكلهم استعظم ما جرى على عثمان (رض)، وشَهِدوا على قَتَلَتِه أنهم في النار. وهم الذين تجمعوا وتألبوا عليه، مثل عبد الله بن سبأ وأصحابه الذين أشقاهم الله بقتلِه، حسدًا منهم له، وبغْيًا عليه، وإرادة الفتنة، وأن يوقعوا الضَّغائنَ بينَ أمةِ محمد ﷺ، لما سبق عليهم من الشقاء في الدُّنيا، وما لهم في الآخرةِ من العذاب الأليم.

واجتهد الصحابة في نُصرته والذبِّ عنه، وبذلوا أنفسَهم دونه، فأمرهم بالكفِّ عن القِتال وقال: إني أحِبُّ أنْ ألقى الله سالمًا مظلومًا؛ ولو أَذِنَ لهم لقاتلوا عنه.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٢/ ٨٣٥) والظاهر من الرواية أن الذي يقول: بلغنا هو الصعب بن جثامة.

قال ابنُ سيرين: كان معه في الدارِ جماعةٌ من المهاجرين والأنصار وأبنائهم فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، خَلِّ بيننا وبينهم، فعزم عليهم أن يقاتلوا.

فإن قيل: فقد علموا أنه مظلوم وقد أشرف على الهلاك، فكان ينبغي عليهم أن يقاتلوا عنه وينصروه، وإن كان قد منعهم، قيل: إن القوم كانوا أهلَ طاعةٍ لإمامهم، وقد وفَّقهم الله تعالى للصوابِ من القول والعمل، وقد فعلوا ما يجبُ عليهم بقلوبهم وألسِنَتِهم، وعرضهم لنصرته على حسب طاقَتِهم؛ فلما منعهم من نُصرته علموا أن الواجبَ عليهم السمعُ والطاعة له، ولا يسعهم مخالفته، وكان الحقُّ عندهم فيما رآه عثمان (رض).

فإن قيل: فلِمَ منعهم عن نُصرته وهو مظلومٌ، وقد عَلِمَ أن قتالهم عنه نهيٌ عن المنكر وإقامةُ حقٍ يقيمونه، فالجواب: أن منعه إياهم يحتملُ وجوهًا كلُّها محمودَة: أحدُها عِلمُه بأنه مقتول مظلومًا لا شك فيه؛ لأن النبيَّ عليه السلام قد أعلمه أنه يُقتل مظلومًا وأمره بالصبر، فقال: اصبر. فلما أحاطوا به تحققَ أنه مقتول، وأنَّ الذي قاله النبيّ ﷺ له حقٌّ لا بد أن يكون. ثم علم أنه قد وعد من نفسه الصبر، فصبر كما وعد. وكان عندَه أنَّ من طلبَ الانتصارَ لنفسه والذبَّ عنها فليس هذا بصابر، إذ وعده من نفسه الصبر.

الوجه الثاني: أنه كان قد علم أنّ في الصحابة قِلةَ عددٍ، وأن الذين يريدون قتله كثير عددُهم؛ فلو أَذِنَ لهم بالقتالِ لم يأمَنْ أن يتلف من أصحاب النبيّ ﷺ بسببه كثير؛ فوقاهم بنفسه إشفاقًا منه عليهم، لأنه راعٍ عليهم، والراعي يجبُ عليه أن يحفظَ رعيَّته بكل ما أمكنه. ومع ذلك فقد عَلِمَ أنه مقتولٌ فصانهم بنفسه.

الوجه الثالث: أنه لما علم أنها فِتنة، وأن الفتنة إذا سُلَّ فيها السيف لم يُؤمن أن يُقتل فيها مَن لا يستحق القتل، فلم يختر لأصحابه أن يسلوا السيف في الفتنة إشفاقًا عليهم؛ نعم، وتذهب فيها الأموال، ويُهتك فيها الحريم، فصانهم عن جميع هذا.

ووجه رابع: وهو أنه يحتمل أن يكون رضي الله عنه صبر عن الانتصار، لتكون الصحابة رضي الله عنهم شهودًا على من ظلمه، وخالف أمره، وسفك دمهُ بغير حَق، لأن المؤمنين شهداءُ الله في أرضه. ومع ذلك فلم يحبّ أن يهرق بسببه دمُ مسلم، ولا يخلف النبيَّ ﷺ في أمته بسفك دم رجل مسلم. وكان عثمانُ (رض) بهذا الفعل موفقًا معذورًا رشيدًا محبورًا وكان الصحابة في عذر، وشقي قاتله وخاذله والله أعلم.

٧٢ ـ ذكر ما فعله الصحابة لما بلغهم حصرُ عثمان وقتله (رض):

قال عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح، وبلغه حصر عثمان (رض):

أرى الأمر لا يزدادُ إلا تفاقمًا   وأنصارُنا بالمكّتين قليلُ
تدابر أهلي بالمدينة، والهوى   هوى آل مصرٍ والذليلُ ذليلُ
فكيف أبا عمرو نجاؤكَ منهمُ   ولم يُشفَ من غيظٍ عليكَ غليلُ
فإن يشغل القوم الشعاب فعلّه   ستنجو وإلّا لا فأنتَ قتيلُ

وقال المغيرةُ بن الأخنس وهو يقاتل:

لما تهدّمت الأبوابُ واحترقت   تيممت منهم، يا غبن محترقِ
شدًّا أقولُ لعبدِ الله آمُره   إن لم يقاتِلْ كذا عثمانُ فانطلقِ
هذا أميري فلستُ اليوم أخذله   إن الفرار عليَّ اليومَ كالسَّرَقِ
والله أبرحه ما دام لي رمق   حتى يزايل بين الرأس والعنقِ

وعن محمد وطلحة قالا: وبلغ عائشة رضي الله عنها مقتلُ عثمان (رض) فاسترجعت واستغفرت وتلهفت وتمثلت:

لو كان في الدنيا كريمٌ مخلدا   خَلدْتَ ولكن ليس حيٌّ بخالدِ

وبلغ معاويةَ أن الذين تولوْهُ أهلُ مصر فقال:

يا أَخوَيْنا من أبينا وأُمِّنا   إليكم إليكم لا سبيلَ إلى حَسْر

يعني الشام ومصر والخلافة يؤيِسُ منها من تعرّضَ لها. ووضع لهم الأرصاد، فلم يخبر الناس بالخبر مع أول ما جاء. فاستراب علقمةُ بنُ حكيم الكناني بالمسالح، وكان لا يزال يستخبره كل يوم أتاه الخبر الصريحُ فيُخبره بما بلغه، حتى أتاه موتُه، فاستخبره، فعرّض له، فلما قال له: هل بلغك شيء؟ تمثّل له معاويةُ (رض):

ألم تسمع بمعركة اليهودِ   وقتلِ أذينةَ بنِ أبي الكتودِ

فلقِنَها علقمة، فسكت حتى أظهر معاويةُ ذلك بعد. وبلغ جيشَه الخبرُ وقد قطعوا وادي القرى، وبلغ أوائلُهم إلى السُّقْيا؛ فرجعوا. وبلغ مجاشعُ بن مسعود النباجَ وعلى مقدمته زفرُ بن الحارث؛ استقبله رجلٌ ممن كان شخَص من أهل البصرة،

فقال: ما وراءك؟ قال: قُتل نعثل. قال: وما نعثل؟ قال: عثمان. فأخذه فأضجعه، ثم ذبحه. فكان ذلك الرجلُ أولَ من قتل على ذم عثمان (رض) بعد يوم الدار. وبلغ القعقاعُ فيْد، وبلغه الخبرُ فرجع.

وكان أول ما عمل به معاويةُ أن أخذ بالطرق، وترك أن يَعرض في شيء إلا في محاولة قتلة عثمان (رض). فلما سمع علقمة معاوية تمثل ذلك الشعر، علم أن الخبر قد بلغه، وأنه يريد بكتمانه شيئًا، فلم يعد يسأله، واجتزأ بكتبه وقد أطرق معاوية كيلا يُنذر المصريون ويدعو المرور. فلما مرّ أوائلهم، وأخذوا وحُبس الآخرون، عَلقَ القومُ فما استطاعوا أن يرجعوا إلى مصر، ولا أمنوا حتى بُويع عليّ. وما استطاع أحدٌ منهم أن يرجعَ إلا أهل الكوفة وأهل البصرة. وأما أهل مصر فإنهم عَلقوا: قُتل أوائلهم وعَلق آخرهم.

وعن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما استولى القومُ على المدينة، وكتب عثمانُ (رض) إلى الناس يستمدهم في أمصارهم ويخبرهم الخبر، خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهًا نحو الشام فقال: يا أهل المدينة، والله لا يقيمُ بها أحدٌ فيدركه قتلُ هذا الرجل إلا ضربه الله بذل؛ من لم يستطع نصره فليهرب. فسار وسار معه ابناه عبدُ الله ومحمد؛ وخرج بعده حسّان بن ثابت، وتتابع على ذلك من شاء الله، وخرج آخرون نحو مكة. ومضى عمرو فلما انتهى إلى العجلان من أرض فلسطين نزله وانتظر الأخبار، والطريق عليه. فلما قدمت الرسلُ على أهل الأمصار واجتمعوا جميعًا على الإغاثة، وانتدب لذلك الرجال، فكان ممن انتدب بالشام حبيبُ بن مَسلمة الفهريّ، ويزيدُ بن شجعة الحميري. وكان من المحضِّضين على ذلك بالشام عُبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عبسة في أشباه لهم من الصحابة (رض)؛ ومن التابعين شريك بن خباشة وأبو مسلم وعبد الرحمن بن غَنْم في أشباههم من التابعين رحمهم الله[1].

وعن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال: كان رسول عثمان (رض) إلى معاوية المِسور بن مخرمة الزهري، وإلى ابن عامر عبد الله بن أبي بكر. فأما معاوية، فإن الكتاب لما انتهى إليه وهو مع المِسور ـ قبل أن يقرأه أو يأخذه ـ ثار قائمًا، فمشى حتى بلغ باب داره؛ وتبعه المِسور وجعل يقول: ما لك؟ ما لك؟ فقال: قد فُتن

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/ ٣٨٠) من طريق سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان... به.

الصادر والواردُ، واتسع الخرقُ وضل الناشد. ثم رجع إلى مجلسه. قال المِسْور: قد كنت له مُستصغرًا قبل ذلك، فلما رأيتُ منه ما رأيت، وسمعت عنه ما سمعتُ، علمتُ أنه رجلُ الناس، وعَظُم والله في صدري، وتذكرتُ رأيَ الوُلاةِ فيه، وأيقنتُ أن الله عزّ وجلّ لم يوقع ذلك له إلا وقد قضى له بشيء[1].

وعن سعيدِ بن عبد الله الجُمَحي قال: قال حبيبُ بن مسلمة: أُريتُ فيما يرى النائمُ أن بعيرًا عربيًا سمينًا بينا هو قائم انتهى إليه أعراب هزلى، فأطافوا به، فخففتُهم عليه، وصحتُ بهم، فبادروه فعقروه، ثم انتهبوه. فلما أصبحتُ أتاني أصحابي؛ وإني لأقصُّها عليهم إذ جاءني رسولُ معاوية فأتيتُه، فقال: يا حبيب، إن عثمانَ قد تُرِك منزولًا به، ولا أدري إلامَ يترامى هذا الأمر؛ فتجهَّزْ واعجل. فرجعتُ إلى أصحابي فأخبرتهم الخبر، واستكْتَمْتُهم الرُؤيا. فبينا نحنُ في ذلك قدِم عليه كتاب آخر: قد حصر فأرسل إليَّ وأخبرَني الخبر، وأخرَجني، فخرجت، فأقمتُ لأصحابي بالطريق حتى يلحقوا بي.

عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لما أتى معاويةَ الخبرُ أرسلَ إلى حبيب بن مَسلمة الفهري، فقال: إن عثمانَ (رض) قد حُصر، فأشِرْ عليّ برجل ينفذ لأمري ولا يُقصِّر، فقال: ما أعرف ذلك غيري. قال: أنت لها، فأشر عليّ برجل أبعثه على مقدمتك لا يُتهم رأيه ولا نصيحتُه أعجله في سَرْعان الناس، فقال: أمِن جندي أم من غيرهم؟ قال: من أهل الشام، فقال: إن أردته من جُندي، أشرتُ به عليك؛ وإن كان من غيرهم فإني أكرهُ أن أغُرَّك بمن لا عِلمَ لي به. فقال: فهاتِه من جُندك. قال: يزيد بن شجعة الحميري، فإنه كما تحب. فإنهم لفي ذلك إذ قدم الكتابُ بالحصر، فدعاهما ثم قال لهما: النجاء سيرًا، فأغيثا أمير المؤمنين، وتعجّل أنت يا يزيد، فإن قدمت يا حبيب وعثمان حيٌّ فهو الخليفة، والأمر أمره، فأنفذ لما يأمرك به؛ وإن وجدته قُتل فلا تدعن أحدًا أشار إليه ولا أعان عليه إلا قتلتَه؛ وإن أتاك شيءٌ قبل أن تَصِلَ فأقِمْ حتى أرى من رأيي. وبعث يزيد بن شجعة، فأمضاه على المقدمة في ألف فارسٍ على البغال يقودون الخيل، معهم الإبل عليها الروايا، وأتبعهم حبيبَ بن مسلمة وهو على الناس، وخرجوا جميعًا. وأغذَّ يزيد السير، فانتهى إلى ما بين خَيبر والسُّقيا، فلقيه الخبر، ثم لقيه النعمانُ بن بشير معه القميص الذي قتل فيه عثمان (رض) مخضّبًا بالدماء وأصابعُ امرأته، وأخبره الخبر. فرجع

---

(١) لم نقف عليه.

يزيد إلى حبيب ومعه النعمان؛ فأمضى حبيبٌ النعمانَ إلى معاوية، وأقام، فأتاه برأيه. فرجع حتى قدم دمشق. ولما قدم النعمان على معاوية أخرج القميصَ وأصابعَ نائلة بنتِ الفرافصة، إصبعان قد قطعتا ببراجمهما وشيء من الكف، وإصبعان مقطوعتان من أصلهما مفترقتان ونصف الإبهام، وأخبره الخبر. فوضع معاويةُ القميصَ على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد. وثابَ إليه الناس، وبكوا سنةً وهو على المنبر والأصابع معلقةٌ فيه، والرجال من أهل الشام لا يأتون النساء ولا يمسُّهم الغُسل إلا من الاحتلام، ولا ينامون على الفرش حتى يقتلوا قَتَلَةَ عثمان (رض) ومن عرض دونهم بشيء، أو تَفْنى أرواحُهم. فمكثوا يبكون حولَ القميص سنةً والقميصُ يوضَع كلَّ يوم على المنبر، ويُجلِّله أحيانًا فيُلْبسه، وعُلق في أردانه أصابع نائلة[١].

عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: بينما عمرو بن العاص جالس بعجلان ومعه ابناه، إذ قدم عليه راكب، فقالوا: من أين؟ فقال: من المدينة. فقال عمرو: ما اسمك؟ قال: حُصير، قال: حُصر الرجل أو قُتل، فما الخبر؟ قال: تركتُ الرجلَ محصورًا، فقال عمرو: يُقتل. ثم مكثوا أيامًا، فمر بهم راكب، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، قال عمرو: ما اسمك؟ قال: قتّال، قال عمرو: قتل الرجل، فما الخبر؟ قال: قتل الرجلُ ثم لم يكن إلا ذلك إلى أن خرجت. ثم مكثوا أيامًا، فمر بهم راكب، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة. قال عمرو: ما اسمك؟ قال: حرب. قال عمرو: يكون حرب، فما الخبر؟ قال: قتل عثمان وبويع عليٌّ رضي الله عنهما. قال عمرو: وأنا أبو عبد الله؛ تكون حرب، من حكّ فيها قرحةً نَكأها. رحم الله عثمانَ وغفر له. فقال سلامة بن زِنْباع الجُذامي: يا معشرَ قريش، إنه قد كان بينَكم وبينَ العرب بابٌ فاتَّخذوا بابًا إذا كُسر الباب، فقال عمرو: ذلك الذي نريد، ولا يُصلِحُ البابَ إلا أشافِ يُخرج الحقَّ من خاصرة الباطل، ويكون الناس في العدل سواء، وتمثل عمرو في بعض ذلك:

يا لهفَ نفسي على مالكٍ ... وهَل يصرفُ اللهفُ خبط القدر!

أنزعٌ من الجِنِّ أزرى بهم ... فأعذرهم أم بقومي سكرْ!

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٣٤) من طريق سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان... به.

ثم ارتحل داخلًا إلى الشام ومعه ابناه يبكي كما تبكي المرأة، ويقول: واعثماناه! أنعي الحياء والدين، حتى قَدِمَ دمشق. وقد كان سقط إليه من الذي يكون علمٌ فعمل عليه(١).

وعن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان، قال: كان النبيّ ﷺ قد بعثه إلى عُمان، فسمع هناك من حبر شيئًا، فلما رأى مصداقه وهو هنالك أرسل إلى ذلك الحبر فقال: حدِّثني بوفاة النبيّ ﷺ، وأخبرني من يكونُ بعده، قال: الذي كتب إليك بعده، ومدته قصيرة، قال: ثم مَن؟ قال: رجلٌ من قومه مثله في المنزلة، قال: فما مُدّته؟ قال: طويلة ثم يُقتل. قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: عن ملأ، قال: ذاك أشد. قال: فمن يلي بعده؟ قال: رجل من قومه ينتشر عليه الناس، ويكونُ على رأسِه حربٌ شديدة بين الناس، ثم يُقتل قبل أن يجتمعوا، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: لا، غيلة، ثم لا يرون مثله، قال: فمن يَلي من بعده؟ قال: أمير الأرض المقدسة، فيطولُ ملكه ثم يموت، فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه، يعني بذلك إمارة معاوية، والأرض المقدسة أرض الشام.

وقال عبدُ الرحمٰن بن عُديس البلوي يوم الدار:

خرجن من إليونَ والصعيد ... مُستحقباتٍ حَلقَ الحديدِ
نريد حقَّ الله في الوليد ... وفي ابن عفان وفي سعيدِ
حتى رَجعْنَ بالذي نريدُ

فأجابه رجل من أهل الشام:

كلا وربّ الذاريات البيد ... لا تنزلون سند الصعيد
ما اهتزّ فيها خضر الجريد

قال: وبلغ معاويةَ أن محمد بن أبي بكر يطلبُ مروان ويتوعده ويقول متمثلًا:

لأعرفنك إذ نيرانها اضطرمت ... تعوذُ من شرِّها إذ قمتَ تبتهلُ
حتى يصبيك منا فرط سابقة ... أنت المبان وأنت الخائف الوَجلُ
وأنت إن تلقنا عن غبّ معركة ... لا تُلِفنا من دماء القوم ننتفلُ

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/٥٥، ٢٨) من طريق سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان... به.

فقال معاوية:

لقد ـ لعمري ـ رام الناسُ قبلكم عيدانَنا فعست إذ عضّها الثقف

وقال في المصريين سعد بن مالك:

ألم تعجبوا........... وذو الرأي مهما يَقل يصدق

ولو شئتُ قد مطرت ديمةٌ شآبيب من غيثه تصعقُ

وقتل يوم الدار من قريش ثم من بني أسد بن عبد العزّى عبدُ الله بن وهب بن زمعة، وشيبة بن ربيعة، وعبدُ الله بن عبد الرحمٰن بن العوام، من بني عبد الدار عبدُ الله بن أبي هبيرة بن عوف بن السبّاق؛ ومن بني زهرة المغيرة بن الأخنس بن شريق؛ وقتل من المصريين من لا يسمى أناس. فلما سمع حُمران بن سُودان بما لقي أبوه وعمّه من الضيعة ـ وكان ممن يرقب الزبير ـ أخذ سيفه وما كان له ولحق بمعاوية بن حديج.

عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، قال: رأيت مصحف عثمان (رض) ونضح الدماء فيه على أشياء من الوعد والوعيد، وكان ذلك عند الناس من الآيات[١].

عن محمد وطلحة وأبي عثمان وأبي حارثة قالوا: وبعثت نائلة بنت الفرافصة بأصابعها وبقميص عثمان إلى المسلمين بالشام، فلما انتهت إلى معاوية مع الرسول ألبس منبر دمشق قميص عثمان (رض)، وعلّق به أصابع المرأة، وقرأ عليهم كتابها: إنهم لم يدَعوا لنا إناء فما سواه؛ وإنهم بالمدينة متجبرون؛ فأجمعوا جميعًا على طلبِ بدمه وإقادتهم[٢].

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٣/ ٦٩) من طريق سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان... به.
(٢) لم نقف عليه.

الباب الحادي عشر
في ذكر ما رُثِيَ به عثمان من الأشعار

٧٣ ـ لما قتل عثمان (رض) قال فيه الشعراء: فمن مادحٍ وهاجٍ، ومن ناعٍ باكٍ، ومن سارٍّ فرح. فممن مدحه حسّان بن ثابت (رض)، وكعبُ بن مالك وغيرهما. فمن ذلك قول حسان بن ثابت (رض) هِجاء لِغُزاة عثمان (رض) وأرضاه:

أتركتُمُ غزوَ الدروبِ وراءَكم ... وغزوْتُمونا عندَ قبرِ محمدِ
فلبئس هديُ المسلمين هَدَيتُمُ ... ولبئس أمرُ الفاجر المتعمِّدِ
إن تُقدموا نجعلْ قِرى سَرواتكم ... حولَ المدينةِ كلَّ لدن مذودِ
أو تُدْبروا فلبِئسَ ما سافرتُم ... ولمثلُ أمر أميركم لم يَرشدِ
وكأن أصحابَ النبيّ عشيَّةً ... بُدنٌ تنحّر عند باب المسجدِ
أبكي أبا عمرو وحُسْنَ بلائه ... أمسى مُقيمًا في بَقيع الغرقدِ[1]

وقال كعب بن مالك الأنصاري:

يا للرجال لهمٍّ هاجَ لي حزني ... وقد عجبتُ لمن يبكي على الدِّمَنِ
إني رأيت أمينَ الله مضطجعًا ... عثمانُ يُهدي إلى الأحداث في كفنِ
يا قاتلَ الله قومًا كان أمرُهم ... قتلَ الإمامِ الزكي الطيب الفطِنِ[2]
قد قتّلوه وأصحابَ النبيّ معًا ... لولا الذي فعلوا لم نُبْلَ بالفِتَنِ
قد قتّلوه نقيًا غيرَ ذي أُبَنِ ... صلى الإلهُ على وجهٍ له حَسَنِ
قد جمّع الحِلمَ والتقوى لمعْصَمةٍ ... مع الخلافة أمرًا كان لم يشِنِ
هذا به كان رأيٌ في قرابته ... لم يحظَ شيئًا من الدنيا ولم يخُنِ

---

(١) الأبيات في ديوان حسان بن ثابت (ص ٢٨).
(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في ديوان حسان (ص ٢١).

وقال الوليدُ بن عُقبة:

ألم تر للأنصار فُضّتْ جموعُها لتكشِفَ يومًا لا تُوارى كواكِبُه
وإن قريشًا وزّعتْها عصابةٌ سَما لهم فيها الدميمُ وصاحبُه
وصاحبُ عثمانَ المشيرُ بقتله تدبُّ إلينا كلّ يوم عقاربُه
وإنّ دُلَيْمًا يظهِرُ اليومَ عذرَه وفي نفسِه الأمرُ الذي هو راكبُه
هم زجروا من عاب عثمانَ بينهم وأوْلى بني العَلّات بالعيبِ عائبُه
وقد سرّني كعبٌ وزيدُ بن ثابت وطلحةُ والنعمانُ لا جُبَّ غاربه

وقال النضر بن الحارث السهمي:

لعَمر أبيهم لقد أورَدوا ولا يُصلِحُ الوِرْدَ إلا الصَّدَرْ
ونالوا دمًا إن يكن سفكُه حرامًا فقد حلّ فيه الغيَرْ
وإن يَكُ كان لهم سَفْكه حلالًا، فقد حارَ فيه البَصَرْ
وقد عابَ قومٌ ولم يأمُروا وسِيَّان: من عابَه أو أمَرْ
ثلاثةُ رهط همُ أنغَلُوا علينا المدينةَ دونَ البشَرْ
هم أنهبوها بأضبارها وهم كسفوا شَمْسها والقَمَرْ
وهم حملونا على شُبْهةٍ وقد ضَربونا بخيرٍ وشَرْ

وقال الوليد بن عقبة:

قولا لعمرو والدّميم خَطِئتُما بقتل ابن عفَّانٍ بغيرِ قتيلِ
ورَميِ أبي عمرو بكلّ عظيمةٍ على غير شيءٍ غير قالَ وقيلِ
وأصبحتُما، والله بالغُ أمره، ولم تظفَرا من عيبِه بفَتيل
فإمّا جَدَعْتُم بابنِ أروى أنوفَنا وجئتُم بأمرٍ كان غيرَ جميلِ
فإنا وأنتم في البليةِ عصبةٌ على صَبر أمر من شنّا وذحُولِ
نلاحِظُكم في كلّ يومٍ وليلةٍ بطرف على ما في النفوس دليلِ
إلى أن يُرى ما فيه للعَين قرةٌ وتلك التي فيها شِفاءُ غليلِ
وقالوا: دلَيْمٌ لازمٌ قعرَ بيتِه وما أمْرُه فيما أتى بجميلِ
وما كانَ بالأمر الخفيِّ مكانُه وما كان فيما قد مضى بضليلِ
ولو قال كُفوا عنه شاموا سيوفهم وولّوْا بغم في النفوس طويلِ

ولـكـنـه أغـضـى وكـانـت سـبـيـلـه سـبـيـلـهـمُ والـظـلـمُ شـرُّ سـبـيـلِ
فـكـلٌ لـه ذنـبٌ إلـيـنـا نـعـدُّه وذنـبُ دُلـيـم فـيـه غـيـر قـلـيـلِ

وعن خُليد بن زفر، قال: قدم المغيرة بن الأخنس بن شريق على عثمان (رض) من الحجِّ فدخل عليه، فقال له: ائذن لي في القتال، فقال:

ولا تبعثوا حربًا ضروسًا مضيرة فتلقحْ كشافًا عن حيال بهيْطلِ

قال: فلما حاذه القومُ وأشرف عليهم قال:

أبلغ بني سعدٍ فلا يك كيدهم كما اجتذب الأحلاف من حرب نهشل
بني عمنا: رُمُّوا الصدوع وسلموا بـنـي عـمـنـا: إن الـسـلامـة أجـمـلُ

ونزل فقال: يا مغيرة.

ارقـبُ الله وخـلِّـيـتُ لـهـم عِـبـرة جـاء بـهـا رحـبُ الـزمـن

وقال حسّان بن ثابت:

من سره الموتُ صرفًا لا مزاج له فـلـيـأت مـأسـدة فـي دار عـثـمـانـا
مستشعري حَلَق الماذيِّ قد سفعت قبل المخاطم بيْضٌ زان أبدانا
صبرًا فدى لكم أُمي وما ولدت قد ينفع الصبرُ في المكروه أحيانا
فـقـد رضـيـنـا بـأهـل الـشـام نـافـرة وبـالأمـيـر وبـالإخـوان إخـوانـا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا ما دمت حيًا وما سُميتُ حسانًا
ضحّوا بأشمط عنوانُ السجود به يُـقـطِّـع الـلـيـل تـسـبـيـحًـا وقـرآنـا
لـتَـسـمـعنَّ وشـيـكًـا فـي ديـارهـم الله أكـبـرُ يـا ثـارات عـثـمـانـا[1]

فلما سمع أهلَ الشام يتَّهمون عليًا زاد فيها:

يا ليتَ شعْري وليت الطير تخبرني مـا كـان شـأنُ عـلـيٍّ وابـنِ عـفـانـا

وقال حنظلةُ بن الربيع التميميّ وبلغه قتلُ عثمان وتنحّل شعره هذا حسانُ بن ثابت:

أوَفتْ بنو عمرو بن عوفٍ عهدها وتـلـوَّنـت غـدرًا بَـنـو الـنـجّـار

(١) انظر: ديوان حسان (ص ٢٢).

جيرانُه الأدنوْنَ حولَ بُيوتِه غَدَروا به والبيتِ ذي الأستار
وتبدَّلوا يوم الحفيظةِ إنهم ليسوا هنالِكُم منَ الأخيار
ونسوا وَصاةَ محمد في صهْره وتبدّلوا بالعزِّ دار بَوار
وتركتموه مجدّلًا بمضيعة تنتابُه الغوغا من الأمصار
لهفانَ يدعو غائبًا أنصارَه يا ويحَكمْ يا معشَر الأنصار
هلَّا وفيتم عندها بعهُودكم وفديتُمُ بالسمْعِ والأبصار

وقال حسان بن ثابت:

إن تمسِ دارُ ابنِ أروى اليوم خاويةً باب صديع وبابٌ مُحرقٌ خربُ
فقد يصادف باغي الخير حاجتَه فيها ويهوي إليها الذكر والحسبُ
يا أيها الناس أبدوا ذاتَ أنفسكم لا يستوي الصدق عند الله والكذبُ
قوموا بحقّ مليك الناس تعترفوا بغارة: عُصبٌ من خلفها عُصبُ
فيهم حبيبٌ شهابُ الموت يقدمهُم مُستلئِمًا قد بدا في وَجههِ الغضبُ[1]

وقال الوليد بن عقبة:

تبدلتُ من عثمان عمرًا وفاتني فلله من مولى ومن ناصر عمرو
ألا إنَّ خيرَ الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصرِ
فإن يكُ ظني بابن أميَ صادقي عمارة لا يدرك بذَحل ولا وِترِ
يظل وأوتار ابنِ عفان عنده مخيِّمة بين الخورنق والجِسرِ

وقال أيضًا:

ضرب التُّجيبيُّ المضلل ضربةً ردت بنانا في بني شيبانا
والعائديّ لمثلها متوقع لما يكن وكأنه قد كانا

وقال الوليد بن عقبة:

بني هاشم ردوا سِلاحَ ابن أختكم ولا تنهبوه لا يحلُّ تناهُبُه
بني هاشم إلا تردوا فإننا سواء علينا قاتلاه وسالبُه
بني هاشم كيفَ الهوادةُ بيننا وسيف ابن أروى عندكم وحرائبُه

(١) ديوان حسان (ص ٢٣).

قتلتم أميرَ المؤمنين جناية كما غدرت يومًا بكسرى مرازبه
جنيتم بقتل الكهل حربًا طويلة وشرًا طويلًا ما تغيبُ كواكبُه
فوالله لا أنس ابنَ أمي معيشتي وهل ينسينَّ الماء من كان شاربُه
هو الأنف والعينان مني فليس لي سوى الأنف والعينين وجهًا أعاتِبُه[1]

وقال كعب بن مالك:

يا للرجال لِلبُّكَ المخطوفِ ولدمعك المترقرقِ المنزوفِ
ويحٌ لأمر قد أتاني رائع هدّ الجبال فأنغضت برجوفِ
قتلُ الخليفة كان أمرًا مُفظِعًا قامت بذاك بليَّةُ التخويفِ
قتلُ الإمام له النجومُ خواضعٌ والشمس بازغةٌ له بكسوفِ
يا لهفَ نفسي إذ تولّوا غدوةً بالنعش فوق عواتق وكتوفِ
ولّوا ودلّوْا في الضريح أخاهم ماذا أجنَّ ضريحه المسقوفِ
من نائلٍ أو سؤدَدٍ وحمالةٍ سبقت له في الناس أو معروفِ
كم من يتيمٍ كان يجبرُ عظمه أمسى بمنزلة الضيّاع يطوفُ
فرّجتَها عنه برحمك بعدما كادت وأيقنَ بعدها بحتوفِ
ما زال يقبلهم ويرأبُ ظلمهم حتى سمعتَ برنَّة التلهيفِ
أمسى مقيمًا بالبقيع وأصبحوا متفرقين قد أجمعوا بحفوف
النار موعدُهم بقتلِ إمامِهم عثمانَ طُهرٍ في البلاد عفيفِ
جمع الحَمالة بعدَ حِلْمٍ راجح والخيرُ فيه مبيّنٌ معروفُ
يا كعبُ لا تَنفكّ تبكي هالكا ما دمتَ حيًا في البلاد تطوفُ
فابكي أبا عمرو عفيفًا واصلاً ولرأيه إذ كان غير سخيفِ
ولْيَبْكه عند الحِفاظ لمُعظمٍ والخيلُ بين مَقانبٍ وصُفوفِ
قتلوكَ يا عثمانُ غيرَ مدنّسٍ قتلًا لعمرُكَ واقعا بسقيفِ

وقال أيضًا يرثي عثمان (رض):

من مبلغُ الأنصار عني آيةً رسلًا تَقُصُّ عليهم التّبيانا
رسلا تخبِّركم بما أوليتُمُ أن البلاءَ يكشّف الإنسانا

---

(١) انظر: أنساب الأشراف (٥/ ١٠٤)، والأغاني (٥/ ١٣٦).

أنْ قد فَعلتم فَعْلَةً مذكورةً رمت الشيوخ وأبْدت الشنآنا
بقعودكم في دارِكم وأميرُكم تغشَى ضواحي داره النيرانا
حتى إذا خَلَصوا إلى أبوابه دخلوا عليه صائمًا عطشانا
أنسيتُمُ عهدَ النبيّ إليكُم ولقد ألظَّ ووكَّد الأيمانا
بمنًى غداة تلا الصحيفةَ فيكم فأهجتمُ وقبلتمُ الأديانا
إلا تُوالوا ما تغوَّر راكب أخزى المنون مواليا أعوانا
والله لو شهد ابنُ قيسٍ ثابتٌ ومعاشرٌ كانوا له إخوانا
ورفاعةُ العُمري وابنُ مُعاذهم وأخو المشاهد من بني العجلانا
وأبو دجانةَ وابن أقرم ثابت وأخو معونةَ لم يخَف خذلانا
كانوا يرون الحقَّ نصرَ إمامِهم ويرَوْن طاعةَ أمرِه إيمانا
لا يجبنون عن العدوِّ ولا ترى يوم الحفاظ جموعهم تيهانا
وقوامُ أمر المسلمين إمامُهم يزعُ السفيهَ ويقمعُ العُدوانا
فودِدْتُ لو كنتم بذلتم عهدَكم لبقي أميركُمُ على ما كانا
وكررتم كرَّ المحافظ إنما يسعى الحليمُ لمثله أحيانا
فمنعتموه أو قتلتم حوله مُتلبِّبينَ البيضَ والأبدانا
ولقد عتِبتُ على معاشر منكُم يومَ الوقيعة أسلموا عثمانا
وليَعليَنَّ الله كعبَ وليِّه وليجعلنَّ عدُوّه الذُّلانا
إني رأيت محمدًا اختاره صِهرًا وكان لنفسه خلصانا
محض الضرائب ماجدًا أعراقه من خيرِ خندفَ منصبًا ومكانا
عرفتْ له عُليًا معدٌّ كلها بعد النبيّ المجد والسلطانا
من معشر لا يغدرون بجارهم كانوا بمكة يرتعون زمانا
يعطون سائلهم ويأمنُ جارهم فيهم ويرْدون الكماة طِعانا

والعمري: رفاعة بن عبد المنذر؛ وابن معاذ: سعد بن معاذ؛ وأخو المشاهد: معن بن عدي، وأبو دجانة: سماك بن خرشة، وابن أقرم: ثابت بن أقرم قتله طلحة بن خويلد؛ وأخو معونة: المنذر بن عمرو.

وقال حسّان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان (رض):

ألا من مبلغُ الأنصار عني رسالة ناصحٍ من أبي الوليدِ

فإني خائفٌ شَفقٌ عليكم ... مغبّة رأيكم غير الرشيدِ
فررتُم من زعانف عاندوه ... فعند الله عادات الشهيدِ
فعثمانُ بنُ عفانٍ سَلوه ... تُصيبوا أمرَكم مِن بعيدِ
وقوموا دونه بالبيض شهرًا ... كما زحفت بخفانٍ أسود
فإنكم على أثباج أمر ... ورأي غير معتدل رشيدِ
وفُوا لله في عثمان حقًا ... وما أعطيْتُموه من العهودِ
ومهلًا لا تقولوا لِلّيالي ... وللأيام في عمياءَ عودي
فإنا لن نعودَ إلى أنيس ... بخيرٍ غير مُعترك العبيدِ
وإني قد أرى رأيًا وأمرًا ... سيكشِفُ بعدُ عن أمرٍ شديدِ
سيوشك أن يكشِّفَ عن قليلٍ ... لأهل الرأي عن أمرٍ حميدِ
فبصِّر أهلها وأَعِنْ برأيٍ ... يُعاشُ بفضِله، رأي سعيدِ

وقال خالدُ بن عقبة بن أبي مُعَيْط لأزهر بن سيحان المحاربي، وكان من أصحابِ عثمان يومَ الدار وانفلتَ يومئذٍ:

لعُمركَ ما نادى ولكن رأيتَه ... بعينيك إذ مسعاكَ في الدارُ واسعُ

فأجابه أزهرُ بن سيحان المحاربي:

يقول رجالٌ: قد دعاكَ فلم تُجب ... وذاك دعاءٌ من خليليَ رائعُ
فإن كان نادى دعوةً فسمعتُها ... فشُلَّت يدي، واستكَّ مني المسامعُ
وإلا فكانتْ بالذي هو قالها ... ودارتْ عليه الدائراتُ القوارعُ
تلومونني أن جُلْتُ في الدار حاسرًا ... وقد فرّ عنه خالدٌ وهو دارعُ

ونادى رجل من قتلةِ عثمان يقال له خليل بن لخم: مَن يبارز؟

فيا ليتني ألقى فوارسَ ناعق ... وأثبتةَ الأزديّ ثم أموتُ

فحمل عليه أثبتةُ بن عبدِ الله الأزدي فضربه فقتله، وقال في ذلك:

ألم يأتِ عثمانَ الخليفة مقْدمي ... على البطلِ اللخميِّ والجمع حابس
وأثبت فيه زاعِبيًا كأنه ... شِهاب أضاة للمغيرة قابِسُ
فلولا ثلاث هنَّ من عيشة الفتى ... وجدِّك لم أحفلْ متى قام رامِسُ

وقال عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود:

آلـيـتُ جُـهـدًا لا أبـايـعُ بـعـدَه ... إمـامًـا ولا أرعـى لـمـا قـال قـائِلُ
ولا أبرح البابَين ما هبّت الصبا ... بذي رونَق قد أخْلصَتْه الصّياقِلُ
حسام كلونِ الملح ليس بعائدٍ ... إلى الجَفْن ما هبّتْ رياحٌ شمائِلُ
نُـقـاتِـلُ مـن دون ابـن عـفـانَ إنـه ... إمـامٌ وقـد جـاشـتْ عـلـيه القبـائِلُ

وقال المغيرة بن الأخنس:

وكـفَّ يَـدَيْـه ثـم أغـلقَ بـابَـه ... وأيـقـنَ أنّ الله لـيـس بـغـافِـلِ
وقـال لأهـلِ الـدار لا لا تـقـاتـلوا ... عفا الله عن كل امرئٍ لم يقاتِلِ
فـكـيف رأيت الله ألـقـى عـلـيهـم ... العَداوةَ والبغضاء بعدَ التواصل
وكـيـف رأيـتَ الـخـيرَ أدبر بعـده ... عن الناس إدبارَ النعام الجوافلِ
وكيف رأيتَ الشرَّ يُقبل نحوهم ... ويُكتبُ عن أيمانهم والشمائلِ[1]

وقال حسان بن ثابت (رض):

ماذا أردتم من أخي الدين باركت ... يـدُ الله فـي ذاك الأديـم الـمـقـدّدِ
قـتـلتـم ولـيَّ الله فـي جـوف داره ... وجـئـتـم بـأمـر جـائـر غـيـر مُـهـتـدِ
فـهـلّا رعـيـتـم ذمـةَ الله بـيـنـكـم ... وأوفـاكـم قـدمـا لـدى كـلّ مـشـهـدِ
فـلا ظـفـرت أيـمـان قـوم تـتـابـعـوا ... على قتل عثمانَ الرّشيد المسدّدِ[2]

وقال كعب بن مالك يرثي عثمان (رض):

فإن أُمسِ قد أنكرتُ جسمي وقوتي ... وأدركني ما يدرك المرءَ في العُمرِ
فـلا ضـيـرَ أن الله أعـطـى ونـالـنـي ... مـواقـف تُـرجـى غـيـر مـنٍّ ولا فـخـرِ
وإنـي مـن الـقـوم الـذيـن سـمـعـتـمُ ... أجـابـوا ولـبّـوْا دعـوةَ الله فـي الأمـرِ
أنـابـوا ولـم يـفـتـنْـهـمُ مـا أصـابـهـم ... من التّكث فيها والبلاء بل الوترِ
فـجـادوا بـحـوبـاء الـنـفـوس ولـم يـروا ... لـهـم هـذه الـدنـيـا كـعـاقـبـةِ الـدهـرِ
ومـا جـعـلـوا مـن دونِ أمـر رسـولـهـم ... لـــدن آزروه مـــن ورود ولا صـــدرِ

(١) انظر: أنساب الأشراف (٥/ ٧٢)، والأغاني (١٦/ ١٧١).
(٢) انظر: ديوان حسان (ص ٧٠).

ويـأمـرهـم أمـثـال سـعـد ومـنـذر وأمثال عبد الحارث الحسن الذكرِ
ونعمان وابن الجدّ معن وثابت بن قيس وأمثال ابن عفراء بالصبرِ
ومثل ابن عمرو وامرىء القيس منهم وأمثال محمود ومثل أبي عمرو
ومثل رجال فيهم لم اسمُهم وكم من نجيب في طوائفهم شِمْر
ورهطٍ مع الفاروق والمرءِ عامر وزيد وزيد والأمير أبي بكرِ
مع ابن كَنود وابن جحش ومصعب وذي العاتق المضروب يومَ رحى بدرِ
وطلحةُ والحجاج منهم وحاطبٌ وليس ابن عوام بناس ولا عمرو
وعمرو وعثمان بن عفان والفتى أبو مرثدٍ سُقيا لذلك من ذكرِ
أولئك أقوامٌ لهم ما تقدموا هم مَهلوا قبل البرية في الأجر
تضاعف ما أسدوْا من الخير كله وما أمر معروفِ المشاهد كالنُّكرِ

وقال رجل من العرب:

هلّا على عثمانَ يبكي مُدَفَّعٌ عن الباب أنباه الحجابُ غريبُ
وهلّا على عثمانَ تبكي أراملٌ ظُلمنَ فما يُعطى لهنَّ نصيبُ

وقد ذكر عمر بن شبّة النميريّ في مقتله أبياتًا لحسّان بن ثابت وهي:

خذلَتْه الأنصارُ إذ حضر المو تُ وكانت ثقاتِه الأنصارُ
من عذيري من الزبير ومن طلحة هاجا أمرًا له إعصارُ
فوليه محمد بن أبي بكـ ـر جهارًا وخلفه عمّارُ
وعليٌّ في بيته يسأل النا سَ بظهر وعندَه الأخبارُ
ينظر الأمرَ أن يُزفّ إليه كالذي سببت له الأقدارُ

٧٤ ـ ذكر نوح الجن على عثمان (رض):

قال محمد بن الحسين الآجرّي في كتاب الشريعة: لما قُتل عثمان (رض)، بكى عليه كثير من الصحابة، ولزم قوم بيوتَهم فما خرجوا إلا إلى قبورهم. وبَكتْه الجِنُّ وناحتْ عليه، فروى عثمانُ بنُ مرّة قال: حدّثتني أمي قالت: لما قُتل عثمان (رض)، بكت الجنُّ على مسجد رسول الله ﷺ ثلاثًا؛ وكانت تُنشِدنا ما قالت الجنُّ على عثمان رضي الله عنه وأرضاه:

ليلةَ المسجد إذ يرْ مون بالصُّمّ الصِّلاب

ثـم قـامـوا كـرة يـنـ ـعـون صـقـرًا كـالـشـهـابِ
زينَهم في الحيِّ والمجـ ـلس فـكّـاك الـرقـابِ

قال الآجريّ: وحدّثنا ابن أبي داود قال، حدّثنا عبدُ الله بن سعيد قال، حدّثنا أبو نُميْلة قال، ذكر محمد بن إسحٰق قال: سُمع صوت الجن:

تـبـكـيـك نـسـاءُ الـحـ ـيِّ يـبـكـيـنَ شـجـيّـاتِ
ويـخـمـشـنَ وجـوهًـا كـالـ ـدّنـانـيـرِ نـقـيّـاتِ
ويـلـبـسـنَ ثـيـابَ الـسـو دِ بـعـد الـقـصـبـيّـاتِ

الباب الثاني عشر

في ذكر الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه ممّن باشر قتله أو أعان عليه

٧٥ ـ اعلم أنه لما قُتل عثمان (رض)، انتدب لأخذ ثأره من قتلتِه معاويةُ (رض)، وترك عليهم المراصد، وجدّ في طلبِهم، وحرّض أهلَ الشام، وألبس منبر دمشق قميصَ عثمان (رض) الذي قُتل فيه، وعلّق أصابع نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان (رض) على القميص. ومكث أهلُ الشامِ يبكون حول القميص سنة، يوضع كل يوم على المنبر ويُجَلله أحيانًا فيُلبَسه، وعلق في أردانِه أصابع نائلة.

وكان أول من قُتل منهم رجلٌ من أهل البصرة، وذلك أن معاوية كان قد كتب إلى أمراء الأجنادِ ليُوافوه بالعساكر لما حُصِر عثمان (رض)، وساروا نحوه. فسار مجاشع بن مسعود فبلغ النباجَ ـ وهو موضع، وعلى مقدمته زفر بن الحارث ـ فاستقبله رجل ممن كان شخص من أهل البصرة، فقال: ما وراءك؟ قال: قُتل نعثل، قال: ما نعثل؟ قال: عثمان. فأخذه فأضجعه ثم ذبحه، فكان ذلك الرجل أول مَن قُتل على دم عثمان رضي الله عنه بعد يوم الدار. وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم.

أما سودان بن حُمران، عليه اللعنة، فإنه هو الذي ضرب عثمان رضي الله عنه فقتله، فلما رآه عبد لعثمان (رض) وثب عليه فقتله، فوثب قُتيرة على الغلام فقتله، فوثب عبد آخر لعثمان (رض) على قتيرة فقتله، فكان سودان بن حُمران أول مَن قتل يوم الدار.

٧٦ ـ ذكر مقتل مالك الأشتر:

كان محمد بن أبي بكر عاملًا على مصر من قبل عليّ بن أبي طالب (رض)، فاضطربَتْ عليه، وذلك سنة ثمان وثلاثين، فبعث عليٌّ (رض) الأشتر ليكون عاملًا عليها؛ فعظُمَ ذلك على معاويةُ، وعلم أنه إن قدِمَ الأشتر مصر كان أشدّ عليه من محمد، فبعث معاوية إلى المقدّم على الخراج بالقُلزم، وقال: إنْ كفيْتني الأشترَ لم آخذْ منكَ خراجًا ما بقيتُ وبقيتَ.

وخرج الأشترُ من العراق يريدُ مصر، فلما انتهى إلى القُلزم استقبله ذلك الرجلُ وعرض عليه النزولَ فنزلَ عنده، فأتاه بطعام، فأكل، وأتاه بشرابٍ من عسل وقد سمّه، فلما شربه ماتَ في الحال. وكان معاويةُ يقول لأهل الشام: إنَّ عليًا قد بعث الأشترَ إلى مصر فادعوا الله عليه، فكانوا يدعون الله عليه كل يوم، فأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فخطب معاويةُ الناس، وأعلمهم بذلك.

ولما بلغ عليًا (رض) موتُه قال: لليدين والفم، وكان قد ثَقُلَ عليه الأشتر لأشياء نُقلت عنه. وقيل: إنه لما بلغه موتُه استرجع ونعاه إلى الناس. وكان هذا هو الصحيح، لأنه لو كان كارهًا له لما ولاه مصر.

وكان الأشترُ قد روى الحديثَ عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وأُم ذر، وروى عنه جماعة؛ لكنه كان منحرفًا عن عثمان، وكان ممن ألّبَ الناسَ عليه، وممن سار إليه فقتله، وقد ذكرنا ذلك.

٧٧ ـ ذكر مقتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر التُّجيبي:

ثم إن معاوية بعث عمرو بن العاصِ إلى مصرَ لقتال جندها، فخرجَ وسار فنزل قريبًا منها، وراسل محمدًا وأمره بالخروج عن مصر. فبعث محمدٌ إلى عليٍّ (رض) يخبره بذلك ويستمِدُّه؛ فكتب إليه عليّ (رض) يأمُره بالصبر والقتال، ويعدُ إنفاذَ الجيوش.

ثم خرج محمد لقتال عمرو، وعلى مقدمته كنانةُ بن بشرٍ التُّجيبي في ألفين، ومع محمد أيضًا ألفان، فاقتتل كنانةُ بن بشرٍ هو وعسكر عمرو قتالًا شديدًا فقُتل كنانة بن بشر، وكان ممن دخل على عثمان (رض) وباشر قتله. وقيل إنه قُتل يوم الدار، والأول أصح.

ولما بلغ قتلُه محمدَ بن أبي بكر تفرّقَ عنه أصحابه، وأقبل نحوه عمرو بن العاص وما بقي معه أحد. فخرج محمدٌ يمشي في الطريق، فانتهى إلى خِربة في ناحية الطريق فأوى إليها. وسار عمرو حتى دخل فُسطاطَ مصر، وخرج معاويةُ بن حُديج السَّكوني في طلب محمد، فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق، فسألهم عنه، فقال أحدهم: دخلتُ تلك الخربة، فرأيت فيها رجلًا جالسًا، فقال ابن حديج: هو هو. فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشًا، وأقبلوا به نحو الفسطاط، فقال أخوه عبدُ الرحمٰن بن أبي بكر (رض) لعمرو بن العاص: أتقتل أخي صَبرًا؟ ابعث إلى ابنَ حُديج فانهه عنه، فبعث إليه عمرو يأمره أن يأتيَه بمحمد، فقال: قتلتم

كنانة بن بِشر، وأُخلي أنا محمدًا، هيهات! هيهات! فقال محمد: اسقوني ماء، فقال معاويةُ بنُ حُديج: إنكم منعتم عثمان الماء، والله لأقتلنَّك حتى يسقيك الله من الحميم، فسبَّه، فغضب منه وقتله، ثم أدخله في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشةَ (رض) جزعت عليه جزعًا شديدًا، وقنتت في دُبر الصلاةِ تدعو على معاوية بن حُديج وعمرو بن العاص. وأخذت عيال محمدٍ إليها، ولم تأكل شِواءً من ذلك الوقت حتى توفيت.

وملك عمرو مصر، وسُر أهلُ الشام بقتل محمد. ولما بلغ خبرُ قتله إلى علي (رض) حزن عليه حزنًا شديدًا، ونعاه، ولام أصحابه في ترك النفير إليه ومساعدته.

وكان محمد منحرفًا عن عثمان (رض) لأجل الحدِّ الذي أخذه منه. وكان ممن دخل على عثمان (رض) وقتله. وقيل إنه ناشده فاستحيا وتركه وخرج، ولم يباشر قتله. وكان محمد يُدعى مذممًا، لقَّبته بذلك عائشة (رض) لسوء صنيعه، فلقي عقوبة ذلك في الدنيا من القتل والحرق، وعند الله يجتمع الخصوم.

٧٨ ـ ذكر مقتل طلحة والزبير (رض):

كانت عائشة (رض) لما قُتل عثمانُ (رض)، عظم ذلك عليها؛ ورأت أمورًا منكرة؛ ورأت قتلةَ عثمان (رض) والذين حَصروه قد انضموا إلى عسكر عليٍّ (رض) فساءها ذلك، فخرجت تريد مكة؛ وانضم إليها طلحة والزبير (رض) في جماعة.

ثم إنهم ساروا نحو البصرة مطالبين بدم عثمان (رض) يتتبعون قتلته، فبلغ خبرهم عليًا (رض)، فبعث عمارًا إلى الكوفة يستنفر الناسَ لقتالهم. فسار إليهم إلى البصرة. فلما تراءى الجمعان: عليٌّ وعسكرُه، وطلحة والزبير وعسكرهما، وركبت عائشةُ الجملَ، وألبسوا الهودجَ الأدراع، وأقبلتْ حيث تسمع الغوغاء، واقتتلَ الناس، أتى طلحةَ سهمٌ غَرَبٌ فشكَّ رجلَه بصفحة القوس وهو ينادي: إليَّ عباد الله، الصبر! الصبر! فقال له القعقاع: إنك لجريح، وإنك عما تريد لعليل، فادخل البيوت. فدخل وهو يبكي ويقول: اللهم خُذ لعثمان مني حتى ترضى. فلما امتلأ خفه دمًا قال لغلامه: أردفني وأمسكني وابغني مكانًا أنزل فيه؛ فأدخله البصرة وأنزله في دار خربة فمات فيها.

ولما مات (رض) دُفن في بني سعد، وقال قبل موته: لم أر شيخًا أضيع دمًا مني. وقيل: إن الذي رمى طلحة كان مروانَ بن الحكم، وقيل: غيره.

قال ابن سعد: أخبرني مَن سمع إسماعيل بن أبي خالد يخبر عن حكيم بن جابر الأحمسي، قال: قال طلحة بن عبيد الله (رض) يوم الجمل: إنّا داهنّا في أمر عثمان فلا نجدُ اليوم شيئًا أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى[1].

وقال قيس بن أبي حازم: رمى مروانُ بن الحكم يوم الجمل طلحةَ (رض) في ركبته، فجعل الدم يسيل، فقال: والله ما بلغت إلينا سهامهم بعد، دعوه، إنما هو سهم أرسله الله، فمات، فدفنوه على شطِّ الكلاءِ. فرأى بعض أهله أنه قال: ألا تريحونني من هذا الماء فإني قد غرقت، ثلاث مرات يقولها، فنبشوه من قبره أخضر كأنه السِّلق، فنزعوا عنه الماء، ثم استخرجوه فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض. فاشتروا دارًا من دور آل أبي بكرة، فدفنوه فيها.

وعن قتادة قال: رمي طلحة فأعنق فرسه فركض فمات في بني تميم فقال: يا لله، مصرعُ شيخ أُضيع[2].

وعن نافع قال: كان مروانُ مع طلحة في الخيل، فرأى فرجة في درع طلحة (رض)، فرماه بسهم فقتله (رض). وكان عمره (رض) يوم قتل أربعًا وستين سنة، وفي رواية وهو ابن اثنتين وستين سنة.

وأما الزبير (رض) فإنه قاتل يومئذٍ. فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح، والزبير كافّ عنه يقول: أتقتلني يا أبا اليقظان، فيقول: لا، يا أبا عبد الله. وإنما كفّ عنه الزبير (رض) لقول رسول الله ﷺ: تقتُلُ عمّارًا الفئة الباغية[3]، ولولا ذلك لقتله.

ثم إنها كانت الهزيمة، فمضى الزبير (رض) من وجهه إلى وادي السباع. وإنما فارق المعركة لأنه قاتل تَعْذيرًا. فمرّ الزبيرُ (رض) بعَسكر الأحنف، فقال الأحنف: من يأتيني بخَبره؟ فقال عمرو بن جُرموز: أنا فأتبعه؛ فلما لحقه، نظر إليه الزبير (رض) وقال: ما وراءك؟ قال: إنما أريد أن أسألك. فقال غلام للزبير

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٢) عن حكيم بن جابر الأحمسي عن طلحة... به.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٣) من طريق روح بن عبادة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة... به.

(٣) رواه مسلم في الصحيح (٤/ ٢٢٣٦) من حديث أم سلمة وكذا ابن حبان (١٥/ ٥٥٣)، ورواه النسائي (٥/ ١٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

(رض): إنه مُعِدّ، قال: ما يهولُكَ من رجل؟ وحضرت الصلاة، فقال ابن جُرموز: الصلاة. فقال الزبير (رض): الصلاة. فلما نزلا، استَدْبَره ابنُ جُرموز فطعنه في جُرُبَّان دِرعه فقتله، وأخذ فرَسه وسلاحَه وخاتمَه. فدفنه الغلام بوادي السباع، ورجع إلى الناس بالخبر.

وأتى ابنُ جُرموزٍ عليًا (رض)، فقال لحاجبه: استأذِنْ لقاتل الزبير، فقال علي (رض): ائذنْ له وبشِّره بالنار. وأحضر سيفَ الزبير عند علي رضي الله عنهما، فأخذه، ونظر إليه وقال: طالما جلّى به الكرْبَ عن وجهِ رسول الله ﷺ، ولكنَّ الحيْنَ ومصارعَ السُّوءِ، ولم يُقِدْه به.

وإنما ذكرنا هٰهنا طلحة والزبير رضي الله عنهما لأنهما كانا من جملة من حضر حصارَ عثمان (رض).

قيل: وكان طلحة (رض) يوم الدار عليه درع، فأشرف عثمان (رض) على القوم، فقال: أفيكم طلحة؟ فقال: نعم. فناشده الله، فرجع طلحةُ تائبًا هو والزبير رضي الله عنهما، ولم يشهدا قتلَه؛ ولهذا قال طلحةُ عند موته: اللهم خُذْ لعثمان مني حتى ترضى؛ مع أنهما من جُملة العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

شهد الزبير (رض) بدرًا وهو ابنُ تسعٍ وعشرين سنة، وقُتل وهو ابن أربعٍ وستين سنة، ودفن بوادي السباع، وجلس عليّ (رض) يبكي عليه هو وأصحابه.

وعن قُبيصة بن عُقبة عن سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: قال عليّ (رض) عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧] وقال جرير بن الخَطفى يرثيه:

إن الرزيّة من تضمَّن قبرَه ... وادي السّباع لكلّ جنبٍ مصرعُ
لما أتى خبرُ الزبير تواضعت ... سورُ المدينة والجبالُ الخشَّعُ
وبكى الزبيرَ بناتُه في مأتم ... ماذا يردُّ بكاء من لا يسمعُ

وقالت زوجته عاتكة بنت زيد:

غدَر ابنُ جرموزٍ بفارس بُهمة ... يومَ اللقاءِ وكان غيرَ مُعرِّدِ
يا عمرو لو نبّهتَه لوجدته ... لا طائشًا رَعِشَ الجنان ولا اليدِ
شلَّتْ يمينُك أن قتلتَ لمسلمًا ... حلّت عليك عقوبةُ المتعمِّدِ

ثكلتك أُمك هل ظفرتَ بمثله فيمن مضى فيما تروحُ وتغتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طِرادُكَ يا ابن فَقع القَرْدَدِ

٧٩ ـ ذكر قتل عمار بن ياسر (رض):

لما كان يومُ صِفّين، خرج عمارُ بن ياسر وبيده حربة يهزها وهو يرجُفُ من الكبر وهو يقول: الجنة تحت ظلال السيوف، والموت تحت أطراف الأسَل، وقد فُتحت أبواب السماء، وزُيِّنت الحورُ العين؛ اليومَ ألقى الأحبة محمدًا وحزبه. وتقدم فقاتل حتى قتل (رض). وكان يقول: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر لعلمتُ أننا على الحق وأنهم على الباطل.

قيل: قتله أبو الغادية المزني، واحتز رأسه ابنُ حوي السَّكسكي وقيل: ضربه مروانُ على ركبته فكبا، ثم قتلوه. وكان عمرُه لما قتل قد جاوز الثمانين سنة.

وعن حذيفة وعمرو بن العاص قالا: سمعنا النبيّ ﷺ يقول لعمار (رض): تقتلك الفئة الباغية[1]. والبغاة هم الذين يخرجون على الإمام بتأويل سائغ في الشرع. ويجب على الإمام أن ينظرَ في حالِهم. فإن ذكروا له مظلمة أزالها، أو شبهة كشفها لهم.

وقال ابن عقيل في كتاب الإرشاد: إن الباغيةَ هي الطالبةُ بدم عثمان (رض)، وحكاه عن أحمد، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ [يُوسُف: الآية ٦٥] أي ما نطلب. وقد سماهم الله مؤمنين في حال قتالهم، فقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجرَات: الآية ٩] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠].

وكان معاويةُ وأصحابُه وطلحةُ والزبيرُ وعائشة (رض) عنهم قد خرجوا يطلبون بدم عثمانَ المظلومِ (رض)، وقالوا لعليّ (رض): ادفع إلينا قتلة عثمان (رض). وكانوا جماعة معينين، فلم يفعل. فيُحتمل أن يكون مذهبُه أن الجماعة لا تُقتلُ بالواحد. وقد رُوِيَ أنه قتل أهل النهروان لأنهم قتلوا عبدَ الله بن حنيف. وفي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم.

(١) حديث حذيفة: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٤٣٥)، والبزار كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٦) وقال في موضع آخر (٩/٢٩٧) رواه الطبراني وفيه مسلم بن كيسان الأعور وهو ضعيف. ولم نقف عليه من روايتهما معًا كما هٰهنا.

وإنما ذكرنا عمارًا هـٰهنا، لأنه كان منحرفًا عن عثمان (رض)، وخلعه وألّب الناس عليه كما ذكرنا.

وقد ذكر الجاحظ أن عمارًا قام وسط مسجد المدينة فقال: نحنُ قتلنا عثمان كافرًا. وكان يمنع أن يدفن في مقابر المسلمين وأن يُصَلّى عليه في مُصلّاهم، حتى ترك على مزبلة ثلاثة أيام لـم يُدفن. فدفنه ابنُ الزبير في خفية في بئر في حش كوكب، ومحمد بن أبي بكر في بني تميم يعاونون عمارًا.

٨٠ ـ ذكر مقتل عمرو بن الحمق الخزاعي:

كان عمرو بن الحمق الخزاعي من أصحاب حُجر بن عديّ الكِنْدي. وكان حُجر ممن يَعيبُ عثمانَ ومعاوية (رض) عنهما، ويزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلّا في آل علي بن أبي طالب (رض). وكان زياد بن أبي سفيان يوم جمعة يخطب، فأطال الخطبة وأخّرَ الصلاة. فلما خشي حُجر فوتَ الصلاة، أخذ كفا من حصى ورمى به زيادًا وقام إلى الصلاة، وقام الناسُ معه. فنزل زيادٌ وصلى بالناس، وكتب إلى معاوية يخبره، فكتب إليه معاوية: أن ابعثْ به إليّ. فشدّه في الحديد، وحمله إلى معاوية. فلما دخل عليه، قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: أأنا أمير المؤمنين؟ أنا والله لا أُقيلك ولا أستقيلك؛ ثم أمر به فضُربت عنقه. وكان قتله سياسة لافتئاته على الإمام، ويجوز للإمام قتل بعض رعيته لصلاح الباقي.

ولما قبض زياد على حُجر بن عديّ طلب أصحابه. فخرج عمرو بن الحِمق فأتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد، فاختفيا بجبيل هناك. فرفع أمرهما إلى عامل الموصل عبد الرحمـٰن بن عثمان الثقفي، ويُعرف بابن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية؛ فأرسل إليهما من يأتيه بهما. وكان عمرو قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع، وكان رفاعةُ قويًا، فركب فرسه ليقاتل عن عمرو، فقال له عمرو: ما ينفعني قتالك عني، انجُ بنفسك. فحمل عليهم، فأفرجوا له، فنجا. وأُخذ عمرو أسيرًا، فسألوه: مَن أنت؟ فلم يخبرهم، فبعثوه إلى عامل الموصل، فعرفه؛ فكتب فيه إلى معاوية؛ فكتب إليهم معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص، فاطعنوه كما طعن عثمانَ (رض). فأخرج فطعن، فمات في الأولى منهن أو الثانية، فذاق وبال أمره، وقبره ظاهر بالموصل. وكان قتله في سنة إحدى وخمسين.

٨١ ـ ذكر قتل عمير بن ضابىء وكميل بن زياد:

لما ولّى عبد الملك بن مروان الحجاجَ بن يوسف الثقفي العراق وذلك في سنة خمس وسبعين، أرسل إليه بعهده وهو بالمدينة، وأمره بالمسير إلى العراق، فسار في اثني عشر راكبًا على النجائب حتى دخل الكوفة. وبدأ بالمسجد، وصعد المنبر، وأمر بعهده فقرىء على الناس. ثم نزل، ودخل منزله. ثم دعا بالعرفاء وقال: ألحِقوا الناسَ بالمهلَّبِ بن أبي صُفرة، وكان يقاتل الخوارج، وأتوني بالبراءات بموافاتهم، ولا تُغلقنَّ أبواب الجسر ليلًا ولا نهارًا حتى تنقضي هذه المدة. فقام إليه عمير بن ضابىء الحنظلي، وقال: أنا في هذا البعث، وأنا شيخ كبير عليل، وابني هذا أشبّ مني، فقال: ومَن أنت؟ قال: أنا عُمير بن ضابىء، قال: أسمعتَ كلامنا بالأمس؟ قال: نعم، قال: أنت الذي غزا عثمان بن عفان؟ قال: بلى، قال: يا عدوّ الله، أفلا إلى عثمان بعثت بدلًا؟ ثم قال له: أنت القائل:

همَمتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتني ... تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه

قال: نعم. ثم قال: ما حملك على ذلك؟ قال: إنه حبس أبي حتى مات في الحبس. فقال الحجاج: ابنُك خيرٌ لنا منك، وإني لأحسب في قتلك صلاح المصرين. وأمر به فضربت عنقه، وأنهب ماله.

وكان عُمَيرُ بن ضابىء فيمن دخل على عثمان (رض)، فوثب عليه، فكسر ضِلعًا من أضلاعه، وقال: سجنتَ أبي حتى مات في السجن. ثم سأل الحجاج، فقال: هل بالكوفة أحد غيره؟ قيل: نعم، كُمَيل بن زياد. فطلبه، فهرب. فأخذ النخعَ به، وضيّقَ عليهم. فلما رأى كُمَيلُ ما لقي قومُه، خرج حتى أتى الحجاج، فقال له الحجاج: أنت الذي أردت ما أردت من أمير المؤمنين عثمان، ثم لم ترض حتى أقْعَدْتَه للقصاص ودفعك عن نفسه؟ قال: على أي ذلك تقتلني: على عفوه أم على عافيتي؟ فأمر به، فضُربت عنقه.

وكان عميرُ بن ضابىء وكميلُ بن زياد قد سارا من الكوفة إلى المدينة ليقتلا عثمان (رض). فأما عميرُ فإنه نكل عنه، وأما كميلُ بن زياد فإنه اجترأ عليه، وثاوَرَه، وكان جالسًا، فوجأ عثمانُ (رض) وجهَه، فوقع على استه، فقال: أوْجَعْتني يا أميرَ المؤمنين. قال: أولستَ بفاتك؟ قال: لا. وحلف بالله، ووقع عليه الناس، فقالوا: نفتشه يا أمير المؤمنين، قال: لا، قد رزق الله العافية، ولا أشتهي أن أطلعَ منه على غير ما قال، وقال: إن كان كما قلتَ فاقتَدْ مني ـ وجثا ـ فوالله ما حَسِبْتُكَ إلا

تريدني، ثم قال: إن كنتَ صادقًا فأجرُكَ على الله، وإن كنتَ كاذبًا فأقادك الله. وقعد له على قدميه، وقال: دونك يا كُمَيْل، فقال: قد تركت.

عن المستنير عن أخيه قال: لا والله ما سمعتُ ولا علمتُ بأحد غزا عثمانَ (رض) ولا ركبَ إليه إلا قُتل.

٨٢ ـ ذكر قتل جماعة ممّن غزا عثمان (رض):

لما سارت عائشةُ والزبيرُ وطلحة رضي الله عنهم إلى البصرة يطلبون بدم عثمان (رض)، واجتمعت القبائلُ من أهل البصرة مع حُكَيم بن جَبَلة ومن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من أفناء ربيعة، ثم ساروا نحو دار الرزق، قالتْ عائشةُ (رض): لا تقتلوا إلا مَن قاتلكم، ونادوا: مَن لم يكن من قَتَلةِ عثمان فليكفف عنا فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان (رض)، ولا نبدأ أحدًا بقتال. وجاء طلحةُ والزبير (رض) عنهما ومن تابعهما، واصطفوا للقتال، وكان حُكيم بحيال طلحة (رض)، وذَريح بحيال الزبير (رض)، وابن المحرِّش بحيال عبد الرحمـٰن بن عتّاب، وحُرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمـٰن بن الحارث بن هشام، واقتتلوا قتالًا شديدًا. فضرب رجلٌ رِجْلَ حكيم فقطعها، فأتى عليه رجل فقال: ما لك يا حكيم؟ قال: قُتلت، قال: مَن قتلك؟ قال: وسادي، وكان قد أخذ رجله المقطوعة فرمى بها صاحبها فأصاب أحشاءَه فصرعه، ثم أتاه فقتله، ثم اتكأ عليه. ثم احتُمل حُكيم، فضُمَّ إلى أصحابه فمات. وكان حُكيم بن جبلة فيمن غزا عثمانَ (رض)، وكان يسبُّ عائشة رضي الله عنها، فذاق وبال أمره.

وقتل يومئذٍ ذريح ومَن معه، وابنُ المحرِّش ومَن معه، وأفلت حُرقوص بن زهير في نفر من أصحابه.

ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلهم أحد ممن غزا عثمان (رض) بالمدينة فليأتِنا بهم. فجيءَ بهم كما يجاءُ بالكلاب فقُتلوا، ولم يُفلِت منهم من أهل البصرة جميعًا إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد منعوه، وكان من بني سعد.

وقال طلحة والزبير (رض) عنهما: الحمدُ لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تُبق منهم أحدًا، وأقدْهم اليوم فاقتُلهم.

٨٣ ـ ذكر قتل حرقوص بن زهير:

ثم إن حُرقوص بن زهير قُتل بعد ذلك؛ وذلك أنه كان قد منعته بنو سعد، فاختفى. ثم إنه لحق بعد ذلك بالخوارج من أهل النهروان؛ فلما حاربهم عليٌّ (رض)

وقتلهم، حملَ جيشُ بن ربيعة الكِنانيّ، وكان من أصحاب علي (رض)، على حرقوص بن زهير فقتله، فذاق وبال أمره، وكان عاقبة أمره خسرًا.

ولم يُفلت ممن قتلَ عثمان (رض) أو أعانَ على قتله أحدٌ إلا هلك، وذلك جزاء البغي، فإن البَغيَ مصرعة، وأنشد في ذلك:

يا صاحبَ البغي إن البغيَ مصرعة أقصِرْ فخيرُ فعال المرء أعدلُه
فلو بغى جبل يومًا على جبل لاندكّ منه أعاليه وأسفلُه

٨٤ ـ ذكر تعظيم شأن قتل عثمان (رض):

اعلم، رحمك الله، أن شأن قتل عثمان عظيم، وأنه كان هو أساس الفتن التي جرت من بعده، من الحرب بين علي (رض) ومعاوية، وبين طلحة والزبير وعائشة (رض) وبين أهل البصرة، إلى غير ذلك من الفتن والاختلاف.

وأهل الإلحاد والرفض والزيغ يقولون: إن قتله كان رضا لله، وطعنوا عليه بأشياء صنعها، لا يتوجه إليه منها طعن، ولا يثبت لهم بها عليه حجة. وقد ذكرنا ذلك وأجبنا عنه بما يسره الله وما وصل علمنا إليه.

وعن موسى بن يزيد بن رفاعة قال: أُتي عليٌّ (رض)، وإنه ليأكل على ترس، فقيل له: قُتل عثمان وكان قتله رضا، فقال: إن كان قتله رضا احتلبتم به لبنًا إلى يوم القيامة، وإن كان هو سخطًا احتلبتم به دمًا إلى يوم القيامة، قال: فاحتلبوا والله به دمًا[1].

وعن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال: مرَّ عليٌّ (رض) على فئتين بالمدينة بعدما قُتل عثمان وقبل بيْعته وهما يقولان: قتل ابن بيضاء ومكانه من الإسلام والعرب، ثم والله ما انتطح فيه عنزان، فقال علي: ما قلتما؟ فأعادا عليه، فقال: بلى والله، ورجالٌ بعد رجال، وكتائب بعد كتائب، وزحوف بعد زحوف، ورجال وكتائب وزحوف في أصلاب رجال حتى ينادي ـ أو يخرج ـ ابن مريم[1].

وعن مجالد عن الشعبي قال: بلغ عديَّ بن حاتم حصرُ عثمان (رض) فقال: علام يحصرونه، فوالله لو قتلوه ما حبقت فيه عَناق. فلما أُصيبَ ابناه وفقئت عينه،

(١) لم نقف عليه.

وقتل خاله، ولم يزدد الأمر إلا شدة قيل له: يا أبا طريف، هل حبقت فيه عَناق؟ قال: إي وأمانة الله، إي وأمانة الله، والتيس الأكبر(١).

وعن عبد الله بن سعيد قال: قال عبدُ الله بن سلام يوم الدار: يا قوم، لا تقتلوا عثمانَ فإنه ليس في هذه الأمة دمٌ أغلى من دمه؛ فردّوا رأيَه، فرجع ولم يعرفوا قوله إلا بعدُ حين تعقّبه الناس(٢).

وعن سعيد بن عبد الله عن أبيه قال: جاء المصريون إلى علي (رض) فقالوا: ابسُطْ يَدَك نبايِعْك، فلقد كان قتلُ عثمان (رض) لله رضا، فقال: كذبتُم، والله ما كان قتله لله رضا، لقد قتلتموه بلا تِرَةٍ ولا رِدَّةٍ ولا حدٍّ ولا عُذْر، والله أعلم(٢).

٨٥ ـ ذكر ما رُوِيَ في ذم قتلة عثمان (رض):

روى أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّي في كتاب الشريعة بإسناده عن ابن عونٍ عن الوليد أبي بشر عن جُندب عن حُذَيفة بن اليمان (رض) قال: ساروا إليه، والله ليقتُلنّهُ، قال: قلتُ: فأين هو؟ قال: في الجنة، قال، قلت: فأين قَتَلَتُه؟ قال: في النار والله(٣).

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن زياد بن أبي مليح عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو اجتمعوا على قتل عثمان لرجموا بالحجارة كما رجم قوم لوط(٢).

وعن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: بلغني أن عامةَ الركب الذين ساروا إلى عثمان (رض) جنّوا. قال ابن المبارك: وكان الجنون لهم قليلًا. وفي لفظ: أن عامةَ الركب الذين خرجوا إلى عثمان (رض) جنّوا، قال ابن المبارك: الجنونُ أيسره(٤).

ورُوِيَ بإسناده عن سليمان بن يسار أن جَهْجاه الغِفاري أخذ عصا عثمان (رض) التي كان يتخصّرُ بها، فكسرها على ركبته، فوقعتْ في رُكبته الأكَلة(٥).

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ٩٢) من طريق آخر عن عمران بن مناح... به.
(٢) لم نقف عليه.
(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنّف (٧/ ٥١٦) من طريق يعلى بن الوليد عن جندب... به، ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٦) من طريق يونس بن عبيد عن الوليد... به.
(٤) رواه الطبراني في الكبير (١/ ٨٨) من طريق ابن المبارك... به.
(٥) انظر الطبراني في التاريخ (٢/ ٦٦٢) فأورد رواية نحو هذا بلفظ أطول.

وفي رواية عن نافع أن رجلًا يقال له جهجاه تناول عصا من عثمان (رض) فكسرها على ركبته، فرمي ذلك المكان بأكلة(١).

ورُوِيَ بإسناده عن الأعمش عن أبي إسحٰق عن زيد بن أثيع قال: تجهّز الناسُ إلى عثمان (رض) فتلقّاهُمْ حذيفة (رض) وقال: ما سعى قوم إلى ذي سلطانٍ لهم في الأر لِيُذلوه إلا أذلهم الله عزّ وجلّ قبل أن يُؤتوا(٢).

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن الحسن بن علي (رض) أنه قال: ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتُها: رأيت رسولَ الله ﷺ متعلقًا بالعرش، ورأيت أبا بكر (رض) واضعًا يده على منكب النبيّ عليه الصلاةُ والسلام، ورأيت عمر (رض) واضعًا يده على منكب أبي بكر، ورأيت عثمان (رض) واضعًا يده على منكب عمر، ورأيت دونهم دمًا، فقلت: ما هذا؟ فقيل: هذا الله عزّ وجلّ يطلب بدم عثمان (رض)(٣).

وفي رواية عن عبد العزيز بن الوليد بن سليمان بن أبي السائب قال: سمعت أبي يذكر عن الحسن بن علي (رض) أنه سمع أعمى يذكر عثمان (رض) ويتناوله، فقال الحسنُ (رض): ألعثمان يقولون: لقد قتل عثمان رحمه الله وما على الأرض أفضل منه، وما على الأرض من المسلمين أعظم حرمة منه. فقيل له: قد كان فيهم أبوك، فقال: ذروني من أبي، لقد قتل عثمان يوم قتل وما من رجل أعظم على المسلمين حرمة منه. لو لم يكن إلا ما رأيت في منامي لكفاني، فإني رأيت السماء انشقت فإذا أنا برسول الله ﷺ وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، والسماء تمطر دمًا، فقلت: ما هذا؟ فقيل: هذا دم عثمان قتل مظلومًا(٤).

وروى الآجري بإسناده عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: سمع عثمانُ (رض) أن وفدًا من أهل مصر قد أقبلوا، فخرج فتلقاهم، وذكر قصة قتله، ثم قال: دخل عليه رجل من بني سَدوس يقال له الموت الأسود، فخنقه وخنقه، ثم خرج فقال: ما رأيت ألينَ من حَلقه، لقد خنقته حتى نظرتُ إلى نفسه تردّد في جسده

(١) انظر الأثر السابق.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنّف (١١/ ٣٤٤) عن أبي إسحٰق... به. والبزار في مسنده (٧/ ٦٦) من طريق آخر عن حذيفة، وكذا أبو عمرو الداني في الفتن (٢/ ٣٨٧).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٩٢) وفي الأوسط (٧/ ١٩٥) وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٣٤) عن الحسن.

(٤) لم نقف عليه.

كأنها نفس جان؛ ثم دخل عليه رجل وفي يده السيف فقال: بيني وبينك كتاب الله عزّ وجلّ، فضربه ضربة، فاتقاها بيده، فقطعها، لا أدري أبانها أم لا؛ ثم دخل عليه التُّجيبي فأشعره مشقصًا فانتضح الدم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧]. فإني رأيتها لفي المصحف حُكت، وذكر الحديث[1].

وروى الجوزقاني في تاريخه قال: قتله المحمّدون: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن عمار، ومحمد بن حبيب بن نهشل، وولي قتله كنانةُ بن بشر التُّجيبي[1].

٨٦ ـ فصل فيمن يشنأ عثمان (رض):

روى محمد بن الحسين الآجري بإسناده عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبيّ أنه أُتي بجنازة رجل ليصلي عليه، فلم يصلّ عليه، فقالوا: يا رسول الله، ما رأيناك تركتَ الصلاة على أحد إلا على هذا، فقال: إنه كان يبغض عثمان، أبغضه الله[1].

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن هلال بن يسار عن حيّان بن غالب، قال: جاء رجل إلى سعيد بن زيد، فقال: إني أبغضت عثمان بغضًا لم أبغضه أحدًا، فقال: بئس ما صنعت! أتبغض رجلًا من أهل الجنة؟ وذكر قصة حراء[2].

قال محمد بن الحسين: كفى شقوة لمن سبّ عثمان أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ قوله عليه السلام: من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقوله عليه السلام: الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم بعدي غرضًا، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم، فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه. وقوله ﷺ: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه.

قال: والذي يسبُّ عثمان (رض) لا يضر عثمان وإنما يضر نفسه، فإن عثمان (رض) قد شهدَ له النبيّ ﷺ بالجنة وبأنه يُقتل شهيدًا.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الضياء المقدسي في المختارة (٣/ ٢٨٠)، وأحمد في الفضائل (٢/ ٥٧٠).

وقد روى علي بن أبي طالب وعبد الرحمٰن بن عوف وجماعة من الصحابة (رض) في غير حديث: إن عثمان (رض) من أهل الجنة على رغم أنف كلِّ منافق ذليل مهين في الدنيا والآخرة[1].

٨٧ ـ فصل:

وقد اتخذت الرافضةُ اليومَ الذي قُتل فيه عثمان (رض) عيدًا وقالوا: هو يوم عيد الغدير الذي آخى النبيُّ ﷺ فيه بين الصحابة، وآخى بين نفسه وبين علي (رض)، وقالوا: هو اليوم الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: الآية ٣] وقالوا: النفقة فيه مخلوفة.

قلت: وليس الأمر كما زعموا، فإن اليوم الذي آخى النبيّ عليه الصلاة والسلام فيه بين الصحابة كان حين قدم المدينةَ مُهاجرًا في صدر الإسلام، فآخى بين المهاجرين والأنصار ليؤلِّفَ بينهم، فيرتفقوا ويتحابّوا. وأما يوم الغدير فإنه كان فيما زعموا في حجة الوداع قبل موته في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة.

فروى أحمد بإسناده أن عليًا (رض) قال في الرَّحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خُمّ، وهو يقول: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فشهد له رجال. المعنى: من كنت ناصرَه فعليٌّ ناصرُه، فلفظةُ المولى ترد على وجوه[2].

وقيل: كان سببُ ذلك أن أسامةَ بنَ زيد قال لعليٍّ رضي الله عنهما: لستَ مولاي، إنما مولاي رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه. وأما اليوم الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ فهو يوم عرفة.

فروى الإمامُ أحمد في مسنده بإسناده قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر (رض) فقال: يا أميرَ المؤمنين إنكم تقرأون آيةً في كتابكم لو علينا معشر اليهود نَزلَتْ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأيُّ آية؟ قال: قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ قال، فقال عمر (رض): والله إني لأعلمُ اليومَ الذي نزلَتْ فيه على رسول الله ﷺ،

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٨٤)، وفي الفضائل عن زاذان بن عمر. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٧): رجاله ثقات.

والساعةَ التي نزلت فيها على رسول الله [ﷺ]؛ نزلت عشيَّةَ عرفة [في يوم الجمعة]، أخرجاه في الصحيحين[١].

وأما قولهم النفقة فيه مخلوفة، فلم يرد بذلك أثر، إنما المأثورُ أنَّ النفقة مخلوفة في يوم عاشوراء.

قال إسحٰق بن إبراهيم: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله قلت: هل سمعت في الحديث أنه من وسّع على عياله في يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السنة؟ قال: نعم، شيء رواه سفيان عن جعفر الأحمر عن إبراهيم بن محمد بن المبشر، قال سفيان: وكان من أفضل ما روينا أنه بلغه أن من وسّع على عياله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر السنة. قال سفيان بن عيينة: قد جربناه منذ خمسين أو ستين سنة فما رأينا إلا خيرًا.

٨٨ ـ فصـــل:

فإن قيل: لم كان مصابُ عثمان (رض) وقتله أعظم من مصاب عمر بن الخطاب (رض) وقتله وهو أفضل منه؟ ولم كان رزء الحسين بن علي (رض) أعظم من رزءِ عليٍّ (رض) وهو خيرٌ منه؟

فالجواب عن ذلك: أن قتل عثمان (رض) كان جهرًا عن ملأ وجمع من الناس، وطالت مدة حصاره أربعين يومًا، وقيل أكثر من ذلك. والذين قتلوه كانوا مسلمين حملهم الهوى والحنقُ والحسدُ على ارتكاب الفعل المحرم في البلد الحرام في الشهر الحرام، فكان أعظم وأشنع من قتل عمر (رض). فإن قتله كان على يد رجل واحد قتله غيلة، ولم يكن من المسلمين إنما كان يُبطن الكفر، والدليل على كفره قول عمر (رض) لما طعنه العلج: يا ابن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام. وأيضًا فإنه لما ظن العلج أنه مأخوذٌ نحر نفسه. وقد قال النبيّ ﷺ: مَن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في نار جهنم، ومَن قتل نفسه بسمٍّ فهو يتحساه في النار.

وأما قتلُ الحسين (رض) فإنما كان أعظم من قتل عليٍّ (رض)، لأن قتل الحسين (رض) كان أيضًا جهارًا عن ملإٍ وتجمُّع وعصبية، وكان على يدي قوم يدّعون

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٨) عن طارق بن شهاب... به. وأخرجه أيضًا: البخاري (١/ ٢٥) ومسلم (٤/ ٢٣١٢).

الإسلام، فكان أشنع؛ ولهذا لما بلغ يزيد بن معاوية قتل الحسين (رض) أنكره ولعن عبيد الله بن زياد.

فروى الرّسعني في مقتله أن عبيد الله بن زياد بعث بحرم الحسين (رض) في حالة سيئة مع شَمِر بن ذي الجوشن وزُحر بن قيس ومخفّر بن ثعلبة، ومعهم رأس الحسين (رض)، فلما دخلوا على يزيد تكلم زحر بن قيس، فقال: أبشر يا أميرَ المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي (رض) في ثمانية عشر رجلًا من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال على الاستسلام، فعدوْنا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل جانب، فلما أخذت السيوف منهم مأخذها، جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر كما تلوذ الحمائم من الصقور. فوالله ما كان إلا جزْر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم. فهاتيك أجسادهم بالعراق مجردة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم بقي قرقرٍ سبسب، لا مكفنين ولا موسّدين. فدمعت عينا يزيد، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحبه، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري، لأحببت أن أدفع عنه.

وأما قتل علي (رض) فإنما كان على يد رجل من الخوارج مارق من دينه فاستحل قتلَه، فكفر بذلك. والدليل على أنه قتله لكفره لا قصاصًا أنه كان في ورثة عليٍّ (رض) صغار وكبار فقتله، ولم ينتظر بلوغ الصغار، لو كان قتله قصاصًا لانتظر به بلوغ الصغار، ولما جاز قتله، ولأن عبد الرحمٰن بن ملجم قتل عليًا (رض) غيلة، فلم يكن مثل قتل الحسين (رض).

٨٩ ـ باب ذكر إكرام النبيّ عليه الصلاة والسلام لعثمان (رض):

روى ابن عباس (رض) عن النبيّ ﷺ أنه قال: ألا استحيي ممن تستحيي منه الملائكة! إن الملائكة لتستحيي من عثمان بن عفان[1].

---

(١) لم نقف عليه من رواية ابن عباس. والحديث عند ابن عساكر (٣٩/ ٩) وأحمد في الفضائل (٦/ ٢٨٨)، والبخاري في التاريخ (٥/ ١٠٤) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٢٨٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣١) من طرق عن حفصة بنت عمر في حديث طويل.

وروى الآجري بإسناده عن عطاء وسليمان ابنيْ يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن أن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ مضطجِعًا كاشِفًا عن ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحالة فتحدث. ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك؛ ثم استأذن عثمان، فجلس رسولُ الله ﷺ وسوّى ثيابَه، فتحدّث. فلما خرج، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، دخل أبو بكر فلم تُباله، ثم دخل عمرُ فلم تباله، ثم دخل عثمانُ فجلست وسوَّيْتَ ثيابَك، فقال: ألا أستحيي من رجلٍ تستَحيي منه الملائكة! ولهذا الحديث طُرق جماعة[1].

قال محمدُ بن الحُسَين: وقد روي من غير وجه عن النبيّ ﷺ أنه قال: أرحَمُ أمَّتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين[2].

وعن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبيٍّ رفيق في الجنة، ورفيقي فيها عثمان بن عفان[3].

وعن عطاء عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لعثمان (رض): أنت وليّي في الدنيا والآخرة[4].

وعن عبد الله بن شقيق عن عبدِ الله بن حَوالة قال: قال لنا رسول الله ﷺ: تهجمون على رجلٍ يبايع وهو معتجرٌ بِبُرْدَة حَبِرة من أهل الجنة؛ فهجمنا على عثمان (رض) وهو معتجرٌ ببردة حبرةٍ يبايع الناس ـ يعني البيع والشراء[5].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنّف (١١/ ٢٣٢) وأحمد في فضائل الصحابة (٦/ ١٧) وإسحٰق بن راهويه في مسنده (ص ٥٦٥) عن عائشة.

(٢) رواه الترمذي في السنن (٥/ ٦٦٤)، وابن ماجة في السنن (١/ ٥٥) والنسائي في الكبرى (٥/ ٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨٨)، والضياء المقدسي في المختارة (٦/ ٢٢٦) عن أنس بن مالك.

(٣) رواه ابن ماجة في السنن (١/ ٤٠) من طريق الأعرج... به قال البوصيري (١/ ١٨) إسناده ضعيف فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم. والحديث عند الترمذي (٥/ ٦٢٤) من حديث طلحة. وكذا عند أبي يعلى في المسند (٢/ ٢٨). ورواه من طريق الأعرج عن أبي هريرة أيضًا: ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨٩).

(٤) لم نقف عليه.

(٥) رواه الطيالسي في مسنده (ص ١٧٦) من طريق الجريري عن عبد الله بن حوالة... به.

٩٠ ـ شفاعة عثمان (رض) يوم القيامة:

روى أبو بكر الآجري بإسناده عن عبد الرحمٰن بن مَيْسرة قال: سمعت أبا أمامةَ الباهليّ (رض) يقول: قال رسولُ الله ﷺ: يدخلُ الجنّةَ بشفاعة رجل من أمتي مثل أحد الحيَّين ربيعة ومضر، قال: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان (رض)(١).

ورُوِيَ أيضًا عن أبي جعفر عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: يشفع عثمانُ يومَ القيامة بمثل ربيعة ومُضر(٢).

وعن الأوزاعي عن حسّان بن عَطِيّة قال: قال رسولُ الله ﷺ: غفر الله لك يا عثمان ما قدمتَ وما أخرتَ، وما أسررتَ وما أعلنتَ، وما أخفيتَ وما أبديتَ، وما هو كائن إلى يوم القيامة(٣).

٩١ ـ ذكر سخائه وكرمه (رض):

روى الآجري في كتاب الشريعة بإسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس (رض) عنهما قال: قحط المطرُ على عهدِ أبي بكر الصديق (رض)، فاجتمعَ الناسُ إلى أبي بكر (رض) فقالوا: السماءُ لم تمطرْ، والأرض لم تُنبتْ، والناسُ في شدة شديدة. فقال أبو بكر الصديق (رض): انصرفوا واصبروا، فإنكم لا تُمسون حتى يفرج الله الكريمُ عنكم. فما لبِثْنا إلا قليلًا أن جاء أُجَراءُ عثمان (رض) من الشام، فجاءته مائةُ راحلةٍ بُرًّا أو قال طعامًا؛ فاجتمع الناسُ إلى باب عثمان (رض)، فقرعوا عليه البابَ، فخرج إليهم عثمانُ (رض) في ملأٍ من الناس، فقال: ما تشاؤون؟ قالوا: الزمان قد قحط، السماءُ لا تمطرُ والأرض لا تُنبتُ، والناسُ في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعامًا، فبعناه حتى نوسِّع على فقراء المسلمين. فقال عثمان (رض): حبًا وكرامة، ادخلوا فاشتروا. فدخل التجار، فإذا الطعام موضوعٌ في دار عثمان (رض)، فقال: معشر التجار، كم تربحوني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر. فقال عثمانُ (رض): قد زادوني، قالوا: للعشرة أربعة عشر. قال عثمانُ (رض): قد زادوني، قالوا: للعشرة خمسة عشر. قال عثمان (رض): قد زادوني،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٧)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٣) بأسانيد عن أبي أمامة، قال الهيثمي (١٠/ ٣٨١) رجال أحمد رجال الصحيح وأحد رجال الطبراني ثقات.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٦) عن الأوزاعي عن حسان. . . به.

قال التجار: يا أبا عمرو، ما بقي في المدينة تجارٌ غيرنا، فمن الذي زادك؟ قال: زادني الله عزَّ وجلَّ كل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإني أُشهِدُ اللهَ أني قد جعلتُ هذا الطعام صدقةً على فقراء المسلمين. قال ابن عباس (رض) عنهما: فرأيتُ من ليلتي رسولَ الله ﷺ - يعني في المنام - وهو على برذون أبلق عليه حُلةٌ من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله قد اشتد شوقي إليك وإلى كلامك، فأين تبادر؟ فقال: يا ابن عباس، إن عثمان بن عفان تصدق بصدقة وإن الله عزّ وجلّ قد قبلها منه، وزوّجه بها عروسًا في الجنة، وقد دُعينا إلى عرسه.



ولنختم الكتاب بذكر نبذة من مصائب الرافضة

باب ذكر أنهم رافضة

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم أن يحب أصحاب محمد ﷺ وأهل بيته، ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله تعالى بهم، ويشكر الله على توفيقه لذلك، ويمسك عما شجر بينهم فإنه لا يبحث عن ذلك إلا مبتدع جاهل، منبت عن طريق الرشاد، خصوصًا طلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين.

فإن عليًا لما استأذن عليه قاتل الزبير رضي الله عنه قال: ائذن له، وبشّره بالنار سمعت رسول الله ﷺ يقول: لكل نبي حواريّ، وحواريّ الزبير.

وعن عطية العوفي قال: قال علي رضي الله عنه لابن طلحة رضي الله عنه: «إني لأرجو أن أكون وأبوك ممن قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧] فقال له رجل: تقتلهم ويقتلونك وتكون أنت وهم إخوانًا على سرر متقابلين؟ فقال له علي رضي الله عنه: التراب في فيك إذا لم نكن فمن عسى أن يكونوا[(١)].

ولما فرغ علي رضي الله عنه من أهل الجمل انطلق إلى بيته فسمع قومًا يذكرون عثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فقال: ما تقولون؟ فقالت امرأة منهم: ذكرنا عثمان وقرابته، والزبير وقرابته، وطلحة وقرابته فقال: «إني لأرجو أن نكون كالذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧] فمن هم إن لم نكن نحن أولئك»[(٢)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٥) عن ربعي بن خراش والطبراني في الأوسط (١/ ٢٥٢) عن الحارث بن الأعور الهمداني، ومن هذا الطريق أيضًا: ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٥). قال الهيثمي (٩/ ١٤٩): فيه الحارث ضعفه الجمهور وقد وثق دينه رجاله ثقات. ولم نقف على الحديث من طريق عطية العوفي كما أورده المصنف هٰهنا.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنّف (٧/ ٥٣٩) عن عبد الله بن الحارث عن أبيه بنحو لفظه.

ونجلّ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وأهل بيت النبيّ ﷺ عن مذاهب الرافضة الذين قد حظي بهم عن سبيل الرشاد، وما انتحلوه من سب أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وما ارتكبوه من سوء مذهبهم، لأن الرافضة لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف الصالح، ولا نكاحهم نكاح المسلمين، ولا طلاقهم طلاق المسلمين، وهم أصناف كثيرة منهم: الغلاة الذين يقولون: إن عليًا رضي الله عنه إلـٰهًا، ومنهم من يقول: هو أحق بالنبوة من محمد عليه الصلاة والسلام، وأن جبريل عليه السلام غلط بالوحي، ومنهم من يقول: هو شريكه في النبوة، ومنهم من يقول: هو نبي بعده، ومنهم من يشتم أبا بكر وعمر ويكفرون جميع الصحابة، ويقولون: هم في النار إلا ستة نفر، ومنهم من يرى السيف على المسلمين وإن لم يقدروا نافقوهم حتى يقتلوهم.

روى هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري في كتاب السنن بإسناده عن عبد العزيز القرشي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: مَن قدم على أبي بكر وعمر أحدًا فقد أزرى على اثني عشر ألفًا من أصحاب رسول الله ﷺ قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن الشافعي قال: ما أحد أشهد على الله بزور من الرافضة.

ورُوِيَ أيضًا بإسناده عن محمد بن يوسف قال: أخبرني رجل من قريش أن بعض الخلفاء أخذ رجلين من الرافضة فقال لهما: والله لئن لم تخبراني بالذي حملكما على تنقيص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لأقتلنكما، فأبيا عليه فقدم على أحدهما فضرب عنقه، ثم قال للآخر: والله لئن لم تخبرني لألحقنك بصاحبك. قال: فتؤمنني؟ قال: نعم. قال: فإنا لا ندري أردنا النبيّ عليه الصلاة والسلام فقلنا: لا يتابعنا الناس عليه، فقصدنا هذين الرجلين فتابعنا الناس على ذلك.

قال محمد بن يوسف: ما أرى الجهمية والرافضة إلا زنادقة.

قال الجاحظ: هلكت الرافضة حتى أفرطت في علي رضي الله عنه وقالوا: مثله كمثل عيسى ابن مريم عليه السلام ما قتلوه كما يقولون، فيقولون ولكن رفعه الله فهو في السحاب إلى وقت الرجعة، فإذا جاء الوقت رُدَّ إلى الدنيا ومعه الحسن فيقتل أعداءه وينشر أبا بكر وعمر فيصلبهما ويحرقهما قالوا: ففتنتهما ذلك اليوم إذا أخرجا لهو أشد على أهل الدنيا وعلى الناس من فتنتهما اليوم.

قال بشر بن المعتمر لأبي بشار من أين كفرت الرافضة فقال: من خمسة أوجه أولها: إيمانهم بالرجعة بعد الممات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، والرافضة والروافض كلها تدين بالرجعة ويحتجون في إيمانهم بآي من القرآن نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: الآية ١١] وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٢] وغيرها ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨].

والوجه الثاني: قولهم: بالتجسيم فإنهم كلهم يجسمون ربهم ويقولون طوله سبعة أشبار جعد قطط، ويقولون: هو واضعًا إحدى رجليه على الأخرى ويقولون هذه الجلسة لا تحل ولا تصلح لأحد من المخلوقين. ذكره ابن سيرين وكعب وغيرهما.

الوجه الثالث: البداء قالوا: إن ربهم يبدو له البدوات فيقدم ما يشاء ويؤخره ويحتجون بقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: الآية ٣٩] وبقوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٦] وبقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: الآية ١٠١] وبقوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٤] قالوا: ففر من الصلاة إلى بيت المقدس ثم بدا له فصرفها إلى الكعبة فهذا عندهم بداء، وقوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: الآية ٨٧] وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المَائدة: الآية ٢٦] فهذا عندهم بداء وهو كفر عندنا لأنه عزّ وجلّ لا تحل فيه الحلول، ولا تبدو له البدوات، ولا يحويه مكان، ولا وصف ولا ذات، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

الوجه الرابع: قولهم: إن عليًا كان يعلم الغيب ثم ولده، الأئمة منهم يتوارثون ذلك، ويعلمون بما هو كائن إلى يوم القيامة، وليس يعلم ذلك منهم إلا الإمام وعندهم كتاب الجفر فيه ألف باب من علم الغيب وهذا كفر قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٦٥] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٨] وقال لنبيه: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء.

الوجه الخامس: الإجبار فإنهم جوزوا ذلك على الله وهو الحكم العدل، ورضوا له من القبيح والفواحش التي أضافوها إليه ما كرهوه لأنفسهم وآبائهم.

قلت: ويتوجه كفرهم من أشياء غير هذا منها قولهم: إن القرآن مبدل مغير منقوص وأن عثمان رضي الله عنه هو الذي غيره ونقصه، وأنه إذا ظهر المهدي جاء معه يقرآن تمام.

ويقولون: نهينا عن قراءته وهذا كفر، لأنهم يجعلون ما ضمن الله حفظه مضيعًا قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: الآية ٩] ثم أين القائلون بالنهي عن قراءته وتلاوته وهب أنه بدل ونقص منه ونقى منه سورة واحدة أكان يأثم تاليها وقارئها.

وقولهم: إن عثمان رضي الله عنه نقصه وغيره قلت: فلما ولى علي رضي الله عنه الأمر فهلا أعاده إلى حاله الأول، هل كان يجب عليه ذلك ويأثم بتركه، فلما لم يغيره علمنا أن ما صنعه عثمان رضي الله عنه هو الصواب، وأن عليًا رضي الله عنه تبع سنن عثمان رضي الله عنه في خلافته، وكذلك أيضًا تبع علي رضي الله عنه في خلافته طريقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأن أبا بكر لم يدفع فدك وما بقي من خمس خيبر[1] إلى فاطمة رضي الله عنها لما طالبته بها واحتج عليها بقول النبيّ ﷺ: لا نورث ما تركناه صدقة، فلما صار الأمر إلى علي رضي الله عنه لم يغير شيئًا مما صنعه أبو بكر رضي الله عنه.

وأما اتباعه طريقة عمر فإن عمر رضي الله عنه سن صلاة التراويح جماعة، وعندهم أنها بدعة، فلما ولي علي رضي الله عنه الخلافة صلى التراويح، وكذلك لما أخرج عمر رضي الله عنه أهل نجران من أرضهم فلما ولي علي رضي الله عنه جاؤوه فقالوا له إن عمر أخرجنا من أرضنا فارددنا إليها فأبى وقال: لا أغير شيئًا صنعه عمر رضي الله عنه.

ومنها أنهم يقذفون عائشة رضي الله عنها مما برأها الله منه فيكفرون بذلك أيضًا لأنهم يردون على الله، ومن رد على الله فهو كافر بالإجماع، وحديث الإفك بطوله أخرجه البخاري[2] قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: الآية ٢٦].

---

(١) انظر رواية البخاري في ذلك (٤/ ١٤٨١) ومسلم (٣/ ١٣٨١) من حديث عائشة.

(٢) انظر صحيح البخاري (٢/ ٩٤٣)، ومسلم (٤/ ٢١٢٦).

ومنها أنهم يحرمون ما أحله الله وهو أكل الجريث[١] يعتقدون تحريمه وهو حلال بإجماع المسلمين، لأنه نوع من السمك، وكل من حرّم شيئًا مما قد أجمع المسلمون على حله فهو كافر حكمه حكم المرتد يستتاب ثلاثًا فإن تاب وإلا قتل بالسيف، وكذلك من أحل شيئًا أجمع المسلمون على تحريمه فقد كفر مثل الربا والخمر وقتل النفس وقذف المحصنات وسبّ السّلف الصالح، فمن اعتقد حِلّ شيء من ذلك فقد كفر وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالمقيد فقيه الشيعة في كتاب الإرشاد: إن الماء زاد في الفرات زيادة عظيمة فخرج علي رضي الله عنه إلى شاطىء الفرات وصلى ركعتين ودعا الله ثم ضرب الماء بقضيب بيده ففاض الماء حتى بدت الحيتان من قعر الفرات فسلم عليه كثير منها. ولم ينطق منها أصناف من السموك وهي الجري والمارماهي والزمير فتعجب الناس من ذلك وسألوه عن علة ذلك فقال: أنطق الله لي ما ظهر من السموك، وأصمت عني ما حرمه. قال المقيد: وهذا خبر مستفيض مشهور. قلت: وهذا خبر كذب محال قط ما جرى لكن الشيعة لغلوهم تحملهم الأهواء على نقل مثل هذه الأخبار الكاذبة والله أعلم.

والروافض يتعاطون أشياء خارجة عن الشريعة يطول ذكرها ليس موضعها.

ويتسمون بعبد علي وعبد الحسين وهذا شرك بالله مثل التسمية بعبد اللات وعبد العزى وعبد مناة وعبد المسيح وعبد الحارث.

وقد رُوِيَ أن إبليس أتى حواء عليها السلام وقد حملت فقال لها: أتدري أنك إذا ولدت وسَلِمت أن تسميه عبد الحارث فأجابته فجاء آدم عليه السلام فأخبرته فقال: ذلك إبليس فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: الآية ١٩٠]. ولأنه لا يجوز أن يسمى عبد النبي فكيف بعبد علي.

ذكر ما قاله الشعبي رحمه الله في الرافضة ومشابهتهم اليهود

روى اللالكائي في سننه بإسناده عن عبد الرحمٰن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: قال الشعبي رحمه الله: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدًا وأن يملؤوا بيتي ذهبًا على أن أكذب عليه أبدًا، يا مالك إنني قد مارست أهل الأهواء كلهم فلم أر قومًا هم أحمق من الرافضة الخشبية ولو كانوا من الدواب كانوا حمرًا ولو كانوا من

---

(١) الجريث: حوت لا يأكله أهل الكتاب. انظر: مصنف عبد الرزاق (٤/٥٣٧).

الطير كانوا رخمًا، وقال: أحذركم الأهواء المضلة وشرهم الرافضة وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود شابهوهم في خصال قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود وقالت الرافضة: لا تصلح الإمارة إلا في آل علي، وقالت اليهود: لا جهاد حتى يخرج المسيح الدجال أو ينزل شيء من السماء. وقالت الرافضة: لا جهاد حتى يخرج المهدي، واليهود تؤخر صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة وقد قال النبيّ ﷺ: لا يزال أمتي بخير ما لم يؤخروا صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم[١]. واليهود تغمض أبصارها في الصلاة وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة وكذلك الرافضة وقد نهى النبيّ ﷺ عن السدل[٢].

واليهود حرفوا التوراة عن مواضعها وكذلك الرافضة حرفوا القرآن عن مواضعه، واليهود تستحل دم المسلم وكذلك الرافضة تستحل دم المسلم، واليهود تحرم الذبح يوم صهيوم وهو عاشورهم ويحرمون الزُهرمات في أول العشر، وكذلك الرافضة يحرمون الذبح يوم عاشوراء والزهرمات من أول العشرة، واليهود لا يرون الطلاق الثلاث واقعًا وكذلك الرافضة، واليهود يبغضون جبريل ويقولون هو عدونا من بين الملائكة، وكذلك صنّف من الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ وإنما كانت النبوّة في علي.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا: أصحاب موسى الذين صحبوه، وسئلت النصارى من خير ملتكم فقالوا: الحواريون الذين صحبوا عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا: أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم وبالتجاوز عن مسيئهم فعابوهم، فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة، لا يثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية، ولا تجتمع لهم كلمة وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين.

قال القاضي: وجدت في تعاليق الشيخ إلى إسحٰق بن شاقلاء إن الرافضة أولاد زنا من أربعة أوجه: وجهان بإقرارهم على أنفسهم في نص مذهبهم ووجهان بإجماع المسلمين.

---

(١) رواه أبو داود (١/ ١١٢) من حديث مرثد بن عبد الله، ورواه ابن ماجة (١/ ٢٢٥) عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي في السنن (٢/ ٢١٧) من حديث أبي هريرة «نهى رسول الله ﷺ عن السدل في الصلاة» ورواه عنه أيضًا: أبو داود (١/ ١٧٤).

فأما الوجهان الأولان فأحدهما: أنهم قالوا لا يصح النكاح إلا عند إمام معصوم واتفقوا على أن الإمام موجود إلا المهدي ولا سبيل للوصول إليه وجميعهم يتزوجون عند الفقيه أو القاضي.

الوجه الثاني: أنهم قالوا: لا يجوز وطء الإماء إلا إذا كن من سبي إمام معصوم وهم يطأون الإماء وهن من غير سبي إمام معصوم.

أما الوجهان اللذان أجمع المسلمون عليهما فالأول: أن الرافضة لا يرون الطلاق الثلاث واقعًا وأجمع المسلمون على أن وطء المرأة بعد الطلاق الثلاث زنا صراح.

والثاني: أنهم يبيحون المتعة وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: الآيتان ٥، ٦]، وهذه زوجه فتعتد وترث، ولا ملك يمين فكان وطئها زنا صراح. ذكره القاضي في المعتمد.

باب في معائب الرافضة وقبح مذهبهم

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: اعلم أني لم أجد في أصناف المعاندين المتضادين ولا في طبقات المخلفين المناولين ولا المتعادين والمتسالمين ولا المتخاذلين والمتجاحدين ولا المسترشدين المتماوتين أشد تريدًا وتهورًا ولا أكثر مزية وتقولًا ولا أركب لروعة ولا أقل فكرًا في عواقب عنده وتفريطه في مراشد يومه، وتقصيره في أوان حسرته ووقت ندمه ولا أقذف لمحصنة بزنا ولا أشتم لأهل الجنة والصحابة وصالحي السلف والأئمة الراشدين وخيار التابعين وفقهاء الأمصار من الذين يلقبون أنفسهم الشيعة ويتلبسون بحب العترة ويتخذونه ذريعة إلى تلخيص ما حاولوا بردة الذرية الطيبة الطاهرة.

قد نصبت الحجج القاطعة لما قد نصبوا من الشبهة المضلة المهلكة ورفضهم لما رفضوا من الكتاب والسنة ولما خالفوا فيه الأئمة والجماعة المستقيمة في الدين، ورفضوا الدين صراحة، زعموا أنك لم تنصب للشبهة وإنما نصبت للعترة الطيبة ولم تردهم بالنقص إنما أردت عليًا وولده، ولم تقصد لعلي وحده حتى قصدت لبغض فاطمة ولم تبغض فاطمة بنت الرسول إلا لبغضك الرسول، ولم توصل العداوة والأذى والمثلبة إلى علي وولده إلا وقد أوصلته إلى الله ورسوله ولا يرى مع المنفرد وحشة إلى الجماعة ولا مع المستبد بالولاية حاجة إلى المشاورة حتى كان الله عنده لم

يأمر بالمشاورة، ولم يقل إن يدي مع الجماعة والألفة، ولم ينه عن الشذوذ والفرقة ويحث على الاتفاق والألفة حتى إن العجب هو الحزم، وتهمة الهوى هو الضعف، والقذف للمحصنات هو السنّة، والبهت هو المروءة، والجحود هو القوة، وتوكيد الحديث هو الحجة، والإفك والزور هو البرهان، فإن عدلته في قذف المحصنات أسند ذلك إلى الرسول ﷺ وجعله أمرًا منه وطاعة مفروضة ورُوِيَ أن النبيّ ﷺ أمر بذلك قال: لا يبغض عليًا إلا من هو لغير رشده أو منافق دعي أو من حملته أمه على غير ظهر. ولم يوجد الغلو قط إلا مع الضعف، والسخف والإفراط مع العجز، والاقتصاد مع القوة والحزم، ورأيت توحيدنا غير توحيدهم وإمامنا غير إمامهم وإيماننا غير إيمانهم، وقراءتنا وصلاتنا وطهورنا ووضوءنا غير شيء من أفعالهم في حدود الإسلام كلها وشرائعها.

حتى إنهم يخالفون في أكثر التنزيل ويقولون عن أهل البيت من القرآن أكثر مما في أيدينا وفرائضهم غير فرائضنا، ويسمون ذلك الكتاب كتاب الجفر والصحيفة ودرج علي وكتاب الثمر، وزعموا أن فيه علم ما تحتاج إليه الأمة في مصالحها إليه ومضارها وعلم ما هو كائن إلى يوم القيامة، وليس يظهرونه إلا مع الإمام إذا ظهر، وفيه علم الفتيا والأحداث إلى قيام الساعة، خصهم به الرسول وكتمه الناس ووجدت تزويجنا غير تزويجهم وطلاقنا غير طلاقهم وحجهم وطوافهم وجميع مناسكهم غير حجنا وطوافنا ومناسكنا، ثم هم يسندون ذلك إلى الرسول ﷺ وعترته وعلي وذريته، فيما يدعون كنت شريكهم في الإثم، وواحدًا منهم في الوزر، وأكفرت الرسول وعترته وعليًا وولده فإن لم تكفر ضللتهم، وإن لم تضللهم بدعتهم، واحذر كل الحذر أن لا يكون رسول الله خصمك عن عترته أو علي عن نفسه وذريته في تصديقهم عليهم، ويكذبون على أحيائهم كما يكذبون على موتاهم، فاعرف علامة الثقة من علامة الريبة وتعرف مواقع الشك من مواقع اليقين.

ذكر مكائدهم وقولهم بالتقية

قال الجاحظ: ولو أن هذا الذي ينحل هذا الكذاب الإمامة ويشهد له بعلم الغيب، ويدعي عليه نقض كل سنة، وقف به على جماعة بعد جماعة ثم اكذبه عند جميع الناس لقال: إنما فعل هذا الإمام للتقية لأن التقية من دينه دين آبائه ولا دين لمن لا تقية له، ولو أن زاده مع الكذب له إمامه ضربًا وجيعًا لزاده بزيادته جسارة وكذبًا، فقد أعيوهم وأعيوا المحتج عليهم، فإن من يجوز للإمام المعصوم أن يفعل

الشر تقية لأن التقية دينه ودين آبائه قلنا: التقية نوع من الكذب لأن الإمام ربما سئل عن حكم تعم البلوى به فخان فأفتى السائل بخلاف الحق تقية فضل وأضل، والإمام المعصوم لا يجوز عليه الكذب عندهم لأن الكذب معصية، ومن صدرت منه المعصية لا يصلح أن يكون إمامًا، شرط الإمام عندهم أن يكون منزهًا عن جميع الرذائل والنقائص. قال حدّثني أبو تمام الأنصاري، قال: مرّ بنا ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الذي يعرف بابن الرضا وأنا في جماعة منهم أبو العباس بن نهيك وابن الزماني وهما من شيعة العسكر فقلت: ما رأيت رجلًا أجمل وأتم محاسن من هذا الفتى لولا أن سواد جلدته قد غمرته، وجعود شعره، فأقبل على ابن نهيك فقال: وهو أسود الجلد قلت: نعم، قال: كذبت يا عدوّ الله بل هو أبيض أمهق. فقلنا: إنه يعود الساعة فيتأمله من حضرنا فأقبل عليه ابن الزماني وغيره فقالوا: أنت أنت إنما تراه أسود لسواد قلبك وبغضك ومقتك أباه ولو كنت تحب الله ورسوله كما نحبه فانعته كما تراه أبيض الجلد، فأضجروني فحلفت أنه أسود الجلد مغلف الشعر فشتموني أقبح الشتم، ثم حلفوا بالعتاق والطلاق وكل يمين غموس أنه أبيض أمهق يرونه كأبيض الرجال وإن من رآه أسود فهو من سود الله قلبه وليس يريد إلا الطعن على رسول الله ﷺ وفاطمة، وقذفوا كل مَن يقول إنه أسود، فبقيت محيرًا لا أدري ما أقول فهذه المكابرة التي يكابر أهلها العيان الحاضرة فما ظنك بالغائب. فاستعمل عندما يلزمك لهم سلامة قلبك لآل الرسول، ونيتك حتى تتفقد سلامة نيتك لسلامة قلبك ومناظرة اللجوج، ومقاولة الكذوب مخرجك إلى طاعته، وإلى حكاية عمله، وكل غيظ فهو مانع في التحصيل وهو تحول عن التعديل، والرأي والصواب، ولا يدعوك تفصيل بني هاشم والمحبة لهم إلى تخطئة السلف والصحابة في تقديم من قدموا، ولا يدعوك تصويب صنيعهم إلى بخس العترة الطيبة حقوقهم فقد علمت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دون الدواوين ورتب المراتب وفرض الأعطية وفضل أصحاب السوابق قدم بني هاشم على نفسه وفضلهم بألف على جميع المهاجرين فلم ينكر عليه ذلك أحد من الصحابة بل صوبوا رأيه وثبتوا قوله وجعلوا ذلك منقبة حسنة له، وفرض لعلي بن أبي طالب أول بني هاشم ثم الحسن ثم الحسين ثم لأسامة بن زيد بعدهم، ولو كانوا كسائر الناس لما قال عمر لعلي رضي الله عنهما لما طلب مصاهرته على ابنته وتأميل مشاركته حين رام لك في إمارته وقد رده علي رضي الله عنه وقال: إني قد أعددتها لابن أخي وإنها صغيرة لا تصلح فقال له عمر رضي الله عنه: والله ما أريدها للباذة ولولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

كل سبب ونسب منقطع إلى يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي[(١)]، فإنما أطلب الوصلة بيني وبين رسول الله ﷺ.

ذكر غلوّهم في عليّ بن أبي طالب وفي ذريته رضي الله عنهم

اعلم أن الرافضة بالغوا في الغلو في علي رضي الله عنه وفي أولاه حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له.

وقد روى عبد الله بن أحمد في المسند بإسناده عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إن][(٢)] فيك مثل عيسى ابن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها ثم قال يهلك في رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني[(٣)].

قوله: «لحب مفرط» مثل الغلاة من الرافضة الذين يقولون: هو إله، ومنهم من يقول: هو شريك النبيّ في النبوة، والذين يقولون: إنه يرجع إلى الدنيا وإنه حيّ وأن الأرواح تعرض عليه إلى غير ذلك.

وقوله: «مبغض يحمله شنآني على أن يبهتني» مثل الخوارج الذين كفروه كالحرورية وأهل النهروان الذين أنكروا عليه التحكيم.

قال الجاحظ: الغلاة من الرافضة يقولون إن النبيّ ﷺ ولد مختونًا وأن الأنبياء تولد مختتنة وكذلك ولد علي والأئمة من ولده يولدون كذلك، وإنها حجتهم على الخلق وقالوا: إن الأئمة تكون في ظهورها لحمة نابتة كخاتم النبوة فمن لم يكن كذلك منهم فليس هو بإمام، وقالوا: إن النبيّ ﷺ أوصى إلى علي واستخلفه، وأن عليًا رضي الله عنه أوصى إلى الحسن وأمره أن يوصي الحسين وقال للحسين: إذا حضرتك الوفاة فأوصِ إلى ابنك علي واجعله الإمام ومره إذا حضرته الوفاة أن يوصي إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه جعفر فإنه الإمام، ثم كذلك إلى آخرهم حتى يقوم المهدي بها فإن رسول الله ﷺ أمره بذلك وسماهم له كما سميتهم، وكذلك هم عند الله، ومن أحب مجادلتهم وآثر ذلك فلينازعهم في التجسيم وفي العلم بالشيء قبل تكوينه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٣) عن علي بن الحسين والطبراني في الكبير (٣/ ٤٤) عن زيد بن أسلم عن أبيه... به. والضياء المقدسي في المختارة (١/ ١٩٧) عن جابر... به.

(٢) ما بين [ ] زيادة من المسند.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٢).

وفي البداء وفي الرجعة وفي الغيب والتجلي وفي المناسخة فإن منهم أصحاب عبد الله بن سبأ.

وروى الأصمعي عن المعتمر بن سليمان قال: أنشدنا إسحٰق بن سويد:

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليًا ... يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي ... واعلم أن ذاك من الصواب(١)

ذكر قولهم بتناسخ أرواح الأئمة

قال الجاحظ: يقولون بتناسخ الأرواح فيقولون: إن روح النبيّ ﷺ تناسخت في علي وروح علي تناسخت في الحسن ثم الحسين ثم في الأئمة من ولده.

قال: وحدّثني محمد بن قطن قال: كنت وأنا غلام في الكتاب الذي بباب بيضاء بن ربابة، فكنت إذا انقلبت نصف النهار أرى في كل يوم شخصًا شبحًا يومىء بيده إلى كلب في ظل البيضاء ويخاطبه طويلًا ويلعنه ويشتمه فدنوت منه فقلت: يا عم إني أسمعك هذا الكلب ونقول له يا عدو الله انظر إلى مصيرك ودارك كيف صارا لغيرك وانظر كيف صيرك الله كلبًا فقال: يا ابن أخي هذا عبيد الله بن زياد بن مرجانة قد صيره الله كلبًا وتناسخت روحه فهو يطلب الظل إلى جداره فأنا احتسب في هذا القول فاغمه واضربه واسمعه ما يكره. قال ابن قطن: فحدثت أبي بهذا الحديث فقال: يا بني هذا رافضي يقول بتناسخ الأرواح فلا تكلمه فلم أعد إلى كلامه. وناظرهم في فناء الجنة والنار فإنهم يقولون به وفي التعديل والتحوير وفي الإمكان والإيجاب وفي الإلهام والخواطر وفي التحريش وفي الحركة والسكون وفي الإمامة وعلم الغيب وفي المعرفة والاكتساب وفي الحجة وفي العلم والصوت وفي القلب والكون وما الفرق بين مسلم ومؤمن وفي دعائهم في صلواتهم وفي حجهم وفي طلاقهم وفي مناسكهم وفي زكاتهم وفرائضهم فإنهم يجعلون للبنت المال كله، ولا يجعلون للأعمام سهمًا، ولا يجعلون للجد قليلًا ولا كثيرًا فإن ذلك بعد نقص الأحلام وتوكيد الغيظ وأسلم للقلوب وأجدر أن لا يجدوا سبيلًا إلى الكذب عليك في حق الرسول ﷺ.

---

(١) الأبيات أوردها عن الأصمعي انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٢٩)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٦)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٢) ومنهاج السنة النبوية (٢/ ٥١١).

والرافضة الطيارة والغالية الذين يقولون: إن أولاد علي وفاطمة كالأنبياء في طهارتهم وأفعالهم ويقال: إن كثير عزة الشاعر كان إذا رأى أولاد علي رضي الله عنهم يمشون في الطريق حملهم على عاتقه وقال نبي الأنبياء الصغار، وكان كثير شيعيًا كيسانيًا وله في ابن الحنفية شعر كثير. ويقول إنه يقيم بجبل رضوى لم يمت وله فيه شعر كثير، وكان مفرطًا في سب الصحابة وقذف أزواج النبيّ عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم أجمعين، وكان يشرب الخمور ويقول بالرجعة والتناسخ قال له رجل: أتعطيني دينارًا بمائة دينار إلى الرجعة قال: نعم إن وثقت لي بمن يضمن أنك ترجع إنسانًا إنما أخشى أن ترجع كلبًا وخنزيرًا فيذهب مالي. قال الجاحظ: وأدنى ما يجب لبني هاشم وآل بيت الرسول عليه السلام الاحتجاج عنهم عند تكذيب الملبسين والمنتحلين محبتهم وجعلت التوقيف في أمرهم الرد على من أضاف إليهم ما لا يليق بهم وما هم له منكرون، وعن كثير منه غافلون مما يرميهم به الرافضة الذين يزعمون أن كتاب الجِفْرِ عند الإمام من ولد علي، فيه ألف باب من العلم منها علم الغيب وقالوا: الثمر الصفر درج كذراع البكر خصّ النبيّ ﷺ به عليًا، وكتمه جميعَ الأمّة، وفيه الأحكام والفرائض التي يقوم بها القائم ويعمل بها المهدي إذا ظهر.

ذكر كذب الرافضة

اعلم أن الغالية من الرافضة ينتحلون أشياء يخالفون فيها إجماع الأمة في الأصول والفروع وينسبونها إلى أهل البيت عليهم رضوان الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويفسرون بما تهوى أنفسهم في ذلك كاليهود الذين بدلوا التوراة وحرفوها واشتروا بها ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون فمن ذلك ما حكاه الجاحظ عن أبي إسحٰق قال: دخلت على إسماعيل بن جعفر بن محمد وهو يشرب الخمر فقلت: سبحان الله تحرمونها على الناس وتشربونها فقال: هي لنا في الثمر، وكتاب الجفر حلال لنا خاصة فأنكرت ذلك فلقيت عبد الله أخاه فقال: صدق فما تنكر من ذلك شيء فضلنا الله على العامة وخصنا به فأحل لنا ما علم أنه لا غنى بنا عنه كما حل المتعة لمن اضطر إليها من شيعته، فلقيت ابن الروماني فأخبرته فقال: تعجب من هذا فأمر الوقاية أعجب وقد أحله الله لنا فقلت: وما أمر الوقاية فقال: إذا اعتلّت امرأة أحدهم وحاضت وطمثت أتى مَن لم تكن امرأته معتلّة فأعاره إياها على أن لا يعرض لحرثٍ ولا نسلٍ فيرسلها معه فيصيب منها ما دون الفرج حتى تطهر امرأته ثم يردّها عليه إذا طهرت فإذا طمثت امرأة الآخر استعار امرأة المستعير كذلك فهذه هي الوقاية.

ومن الرافضة صنف يرون الخنف النبيح لمن خالفهم والقتل غيلة وجهارًا وهم الخربية.

وصنف يقال لهم الخطابية يقولون بشهادة الزور وهي فاشية فيهم بعض لبعض.

وصنف يقال لهم: الجارودية يتبايعون إلى الرجعة الدرهم بالدرهمين والثلاثة بالأربعة.

قال أبو المنذر: كان لنا جار طويل الخشوع والعبادة صاحب ليل وصيام ويقرأ القرآن فأنسنا به وأنس بنا فقرأ ذات يوم: (إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) وقرأ: (وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون) ثم قرأ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠﴾ [الصافات: الآية ١٣٠] وقال: أتدرون من هم آل ياسين آل علي بن أبي طالب. وقرأ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: الآية ٣٠] وفسر ذلك فقال: داود علي وسليمان الحسن والحسين. وقرأ آخر: (إن عليًا جمعه وقرآنه فإذا قرأنه فاتبع قرآنه). وقرأ بعضهم: (إن عليًا للهدى) وقرأ آخر: (إن الله وملائكته يصلون عليًا بالنبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليًا بالنبي وسلّموا تسليمًا) وقرأ آخر: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ [الحجر: الآية ٤١].

وحكى بعضهم قال: مررت على رجل يقرأ: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ [الكهف: الآية ٥١] بفتح اللام على لفظ التثنية يريد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقلت له: ويحك أضف إليهما عثمان واقرأ قراءة مستقيمة، وقرأ آخر: (ورفعنا لك ذكرك بعليّ صهرك) وهذا وأمثاله من قراءتهم أكثر من أن تحصى فإذا أنكر عليهم هذه الحروف المنكرة قالوا: هكذا قرأه أهل البيت.

قال الجاحظ: قال إبراهيم السندي حدّثني أبي أنه سمع في مسجد الكوفة رجلًا قرأ هذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النساء: الآية ٥١] خمس آيات وفسرها لأصحابه وقد سألهم عنها ففسرها له على الصواب فأنكر ذلك وقال: خالفتم الحق سمعت أبا عبد الله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: الآية ٥١] الشيعة و﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: الآية ٥١] أبو بكر وعمر ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: الآية ٥١] هم بنو أمية ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: الآية ٥١] يعني الشيعة من أهل كل ملة. وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: الآية

٥٢] قال: هم الناصبة من أهل كل ملة، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النساء: الآيتان ٥٢، ٥٣]: يعني بني مروان ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: الآية ٥٣] يعني بني فاطمة، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: الآية ٥٤] قال: النبوة وتولّد الطيب الطاهر ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: الآية ٥٥] قال: هم أهل المدينة وأهل الكوفة آمنوا به ومن صد عنه أهل الشام ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: الآية ٥٥] قال: لمن كذب بهذا التفسير.

وقال أبو عثمان الزيادي: سمعت رجلًا قرأ هذه الآيات ثم فسرها على خلاف ما أنزل الله وهي: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ [المرسلات: الآية ١٦] يعني من الأمم السالفة، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧﴾ [المرسلات: الآية ١٧] قال: يعني بني أمية ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: الآية ٣٤] قال: يعني بني العباس ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات: الآية ١٥] قال: أهل العصبية من كل بلد وأهل السوق فإنهم شرار الخلق.

وقوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن: الآية ١٩] قال علي وفاطمة: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: الآية ٢٢] الحسن والحسين أقسم بهم كما ترى.

ويقرأ بعضهم ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح: الآية ٧] بكسر الصاد أي انصب عليًا للإمامة قال الزمخشري: ولو صح هذا للرافضي لصح مثله للسني ذكره في تفسيره.

وقال بعض الرافضة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] قال: هي خلافة علي من بعد النبيّ ﷺ، وقال بعضهم في قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: الآية ٢٤] قال: عن ولاية علي. وقال آخر في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: الآية ١٠] هي ولاية علي رضي الله عنه وقال بعضهم: إن إبراهيم عليه السلام من شيعة علي وتلا قوله تعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ [الصافات: الآية ٨٣]. وقال آخر في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم: الآية ٥٠] يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال آخر في قوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢] هو علي بن أبي طالب هو الإمام المبين. وفسّر قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: الآيتان ٦٧، ٦٨] وقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: الآيات ١ - ٣] فقال: هو علي بن أبي طالب. وكل هذه التفاسير وأمثالها لا أصل لها وهي من أوضاع الرافضة وخرافاتهم.

مناظرة الرافضة واختلافهم في الإمام

قال الجاحظ: قال إبراهيم بن سياد ناظرت رجلًا من الرافضة فقلت: إمامك غلام ولم يختتن بعد وهو أقلف وهو لم يحتلم. فقال الأئمة: من ولد على تولد مختونة كما تولد الأنبياء وتؤتى الحكمة. قلت: والأنبياء يولدون مختنين قال: نعم وأزيدك أن الأئمة من أولاد علي إنما نعرفهم ونقر لهم بالإمامة إن الرجل منهم يكون في ظهره لحمة مثل خاتم النبوة الذي كان في ظهر رسول الله ﷺ وهم يتوارثونه فمن لم يكن منهم في ظهره خاتم النبوة الذي كان في ظهر النبيّ ﷺ لم يكن إمامًا فأظهرت التعجب. فقال: أزيدك تعجبًا قلت: هات. قال: الإمام من ولد عليّ لا تبدو عورته عليها حجاب وساتر من الله فلو تعرى وتكشف لما ظهرت عانته أبدًا ولا ما تحتها فضيلة خصّ الله بها ولد فاطمة فجعلت أتبسم من مكابرته وقلة حيائه فقلت: أنتم تقولون إن محمد ابن الحنفية حي لم يمت بعد وإنه بجبال رضوى بين أسدين في عيضةٍ وأنه لا يموت حتى يملك الأرض قال: قد كانت طائفة منا يقال لها الكيسانية تقول بذلك فانقرضوا ولكن فينا من يقول إن موسى بن جعفر لم يمت وهو بجبل طيبة بين ملائكة ليس يصل إليه أحد حتى يظهره. قلت: فالذين قالوا منكم إن عليًا في السحاب من هم؟ قال: كنا نقول هذا وهو مما لا اختلاف فيه عندنا لأنهم في اليوم الذي غسلوه وكفنوه أخرجوه ليرفع وقد حفروا له قبرًا فجاءت الملائكة فحملوه على عواتقهم وشيعوه وطافوا به حتى رفعوه في الجو فهو في السحاب حتى يوم الرجعة وكل من مات من شيعته فمعه تصير روحه حتى يرجع إذا رجع.

قال الجاحظ: وناظرني رجل من الرافضة لا أسميه بالعسكر فقال: إن لم يبعث رسولًا واحدًا إلى أمة في الأمم السالفة حتى يبعث مع الرسول نبيّ لا يوحى إليه يقويه ويؤزره على أمر الرسالة حتى يبلغها فالوحي من الله على رسوله ينزل، وفي الوحي الكتاب ويكون النبي معه صامت ذلك قول الله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: الآية ٤٤] أي اثنين فبعث الله إبراهيم ومعه إسماعيل عليهما السلام، ثم بعث إسحٰق ومعه يعقوب إسرائيل عليهما السلام، ثم بعث موسى ومعه هارون عليهما السلام، وبعث لوطًا ومعه أيوب عليهما السلام، وبعث داود ومعه سليمان عليهما السلام، وبعث يونس ومعه ذو الكفل عليهما السلام وبعث زكريا ومعه دانيال عليهما السلام، وبعث حزقيل ومعه أرميا عليهما السلام، وبعث عيسى ومعه يحيىٰ بن زكريا عليهم السلام، وبعث محمدًا ﷺ ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، محمد الرسول نزل عليه

الوحي ناطق به، وعلي صامت. وعلى باب الجنة مكتوب لا إلـٰه إلا الله المريد بعلي بن أبي طالب.

قلت: وبعض غلاة الرافضة يقول: ما بعث الله نبيًا قط إلا وعلي معه سرًا، وبعث مع محمد ﷺ جهرًا وهذا كفر بالله تعالى.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر بن راشد يرفعه قال: «لما استفتح جبريل عليه السلام باب السماء الدنيا قالوا له: من هذا معك قال: محمد. قالوا: ومَن محمد؟ قال: نسيب علي بن أبي طالب».

فهواهم كله كفر بالله العظيم وغلوّهم وإفراطهم، ونعوذ بالله من الكفر والله أعلم.

آخر الكتاب. والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريّاته وأتباعه وسلّم تسليمًا دائمًا كثيرًا كثيرًا.

وفرغ من جمعه وتأليفه الفقير إلى الله محمد بن يحيىٰ بن أبي بكر، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي القعدة من سنة تسع وتسعين وستمائة، وصلّى الله على سيدنا محمد النبيّ وآله وسلّم.

نجز كتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان (رض).

فهرس المحتويات